دار الثقافة

التفسير الحديث للكتاب المقدس

العهد القديم

سفر

عزرا ونحميا

التفسير الحديث للكتاب المقدس

العهد القديم

عــزرا ونحـميا

تـألـيـف

القس ديــريك كـيدنـر

نقـلـه إلى العربيـة

نجـيــب اليــاس

المحـــرر المســئـول

ق. أنـدريـه زكــى



EZRA and NEHEMIAH

An Introduction and Commentary

By: The REV. DEREK KIDNER.

This Book was first published in England by inter - Varsity press Copyright 1979 by inter - varsity press reprinted 1985

Translated by permission, and published in Arabic , 1996

طبعة أولي

عزرا ونحميا

صدر عن دار الثقافة - ص. ب ١٢٩٨ - القاهرة

١٠ / ٦٦٨ ط١ / ٢-٢/ ٩٦

رقم الإيداع بدار الكتاب: ٣٢١٨ / ٩٦

I.S.B.N 277 - 213 - 305 -9

جمع وطبع بمطبعة سيوبرس

مقدمـــة

تحرص دار الثقافة على تقديم كلمة الله مشروحة للقارئ العربى. فإن العالم العربى لا يوجد فيه تفسير واحد كامل حتى الآن للكتاب المقدس كله. إن الموجود حالياً هو أجزاء غير كاملة. وقد رأت دار الثقافة أن توفر للقارئ العربى مرجعاً كاملاً للكلمة المقدسة.

وقد اختارت دار الثقافة المسيحية Tyndale Commentaries وهى تشمل العهدين القديم والجديد. ،ودار الثقافة تقدم المجموعة كلها بالاتفاق مع الناشر الأصلى وهو Inter - Varsity Press وكان سبب الاختيار أنها مختصرة ومركزة، محافظة لاهوتياً، متمسكة بالأسس الكتابية الهامة، تهتم بالنص الذى يعاون الدارس على الدراسة، كما يعاون الواعظ على اكتشاف الأفكار الوعظية.

قد جاء هذا التفسير، رغم اهتمامه بتفسير النص، والرجوع إلى اللغات الأصلية التى صدر فيها الكتاب المقدس، لكنه تفادى كثيرا من التعقيدات الدراسية. وقد اهتم هذا التفسير بإلقاء الضوء على المعانى، ليكتشف القارئ ما هو المقصود بالمعنى.

قد اهتم هذا التفسير، بأن يدرس الكتاب المقدس فقرات فقرات، ليوضح المعانى العامة المقصودة، ثم شرح الآيات، آية آية، وفى حالة وجود مشكلات معينة حاول الإسهاب فى شرحها.

كما اهتم التفسير، بكتابة مقدمة كل سفر، توضح الكاتب، وتاريخ الكتابة، وظروفها. إن مقدمة السفر، تعاون الدارس أن يعرف الظروف المحيطة بالسفر، والموضوعات الرئيسية فيه.

اشترك فى كتابة التفسير مجموعة من العلماء العظماء المدققين، الذين قدموا الدراسة، بعمق وبأمانة. كما أشرف على تحرير العهد القديم D.J. Wiseman والعهد الجديد R.V.G. Tasker & Leon Morris.

ودار الثقافة ترجو أن يجد القارئ فى هذه السلسلة من الكتب مرجعاً مفيداً يعاونهم على التعمق فى كلمة الله، وإدراك المعانى العظيمة من خلالها ، فيعاونهم فى التعمق فى المعرفة والفهم الروحى.

دار الثقافة

مقدمة عامة

الهدف من نشر سلسلة تفاسير تنداأل «للعهد القديم» هو نفسه الغرض من نشر سلسلة العهد الجديد، وهو إعطاء دارس الكتاب المقدس تفسيراً حديثاً فى متناول اليد لكل سفر مع التأكيد بصفة خاصة على التفسير الاستدلالى - على أن تعالج المسائل النقدية الكبرى فى المقدمات والحواشى الإضافية - مع تحاشى الاصطلاحات التى لا لزوم لها.

وفى هذه السلسلة ترك لكل مؤلف الحرية فى تقديم ما يجود به قلمه تماماً وترك للمؤلفين حرية التعبير عن وجهات نظرهم فى كل المسائل موضوع البحث. وقد ذكر كل منهم، فى حدود المساحة المسموح بها، ما سبق أن قاله المفسرون حتى وإن لم يوافقوا عليه، ولكن ذلك لكى يضعوا أمام القارئ ما سبق أن توصل إليه زملاؤهم من استنتاجات.

إن سفرى عزرا ونحميا ظلا لمدة طويلة موضوعاً للجدل والمناقشة فى الدراسات الأكاديمية، فضلاً عن وجهات النظر المتعارضة، ولم يكن ذلك فحسب بالنسبة لترتيب الأحداث المتضمنة فى هذين السفرين. ولقد حافظ مستر كيدنر علي الترتيب التقليدى لهذه الأحداث حسب ضهورها على مسرح التاريخ فى زمن هذين الزعيمين والقائدين اليهوديين وما كان لهما من تأثير فعّال على مجريات الأمور لأمتهم فى وقت كانت تمر فيه بمرحلة حاسمة دقيقة من تاريخها القومى. ولا يعنى قولنا هذا أن مستر كيدنر قد أغفل أو تجاهل وجهات النظر الأخرى، ذلك أنه أفسح لها عن قصد مكاناً للمناقشة التفصيلية فى الملاحق، مستهدفاً من ذلك تركيز انتباه القارئ العام العادى على ما تتضمنه أسفار العهد القديم من تعليم شامل، وما تستهدفه من رسالة للبشر. ومناسبة كل ذلك لكافة العصور والأزمان.

وليس لدينا بالنسبة للعهد القديم ترجمة انجليزية تعطينا المعنى الدقيق للنص الأصلى. والنسخة الإنجليزية التى على أساسها وجدت هذه التفاسير هى النسخة

الدولية الجديدة (Niv the New International Version, ولكن مع الرجوع إلى بعض النسخ الأخرى أيضاً، وفى بعض الظروف كان المؤلف يركن إلى ترجمته هو للنص الأصلى... وعند الضرورة كانت الكلمات تكتب بلفظها العبرى بحروف لاتينية لمساعدة القارئ الذى يجهل اللغة العبرية، فيميز الكلمة موضوع البحث تمييزاً دقيقاً.

ومن المفروض أن يكون القارئ قد سبق له أن قرأ ترجمة انجليزية موثوق بها أو أكثر من ترجمة.

إن الاهتمام بمعانى العهد القديم ورسالته، ما زالت باقية دون أى تناقص، والمرجو أن تقدم هذه السلسلة دراسة منتظمة أخرى لوحى الله وإرادته وطرقه كما هو موجود فى هذه السجلات.

وصلاة المحرر والناشر وكذلك المؤلفين أن تساعد هذه الكتب الكثيرين ليفهموا كلمة الله ويستجيبوا لها فى هذه الأيام

د.ج. ويزمان

D.J. Wiseman

محتويات الكتاب

صفحة

مقدمة المؤلف

من دواعى سرورى أن تتاح لى الفرصة من خلال هذه المقدمة أن أعبر عن شكرى لكل من أسهم معى فى كتابى هذا. إننى مدين بالشكر الجزيل لمس آن براند شو Miss Ann Bradshaw لمهارتها فى حل طلاسم مسودات هذا الكتاب وكتابتها على الآلة الكاتبة بطريقة نظامية دقيقة، كما أتقدم بشكرى للدكتور هيوج ولياسون Dr. Hugh Williason لتوجيهه إلى بعض الأمور التى كان من السهل أن تمرّ عليّ دون أن ألتفت إليها أو أن أعيرها اهتماماً، وكذلك أشكر مكتبة تيندال التى زودتنى بمراجع المادة التى استلزمها إعداد هذا الكتاب، وأيضاً لمحرّر هذه السلسلة التى قدم إليّ هذا العمل الذى استغرقنى حتى أتممته.

وإننى لأرجو أن لا تكون هذه التعليقات بالشروحات والتفسيرات إضافة إلى هذا الكم المتراكم من التوافه، الذى يحيط بمدينة الله، وإنما ما أرجوه هو أن تكون عوناً على سد ثغرة أو ثغرتين فى دفاعاتها.

ولأسفى العميق، لم تكن ترجمة NIV (الترجمة العالمية الجديدة لسنة ١٩٧٩) قد خرجت بعد إلى النور من دور الطباعة، فلم يكن فى مقدورى أن أسترشد بها وأستفيد منها على نحو ما قدمته لي الترجمات الأخرى للعهد القديم.

ديريك كيدنر

مجموعة مختارة من تواريخ الأحداث

السنة	أسماء ملوك الفرس	أحوال الأمة اليهودية
٥٣٩- ٥٣٠ ق.م	كورش	٥٣٨ ق.م. العائدون الأوائل من السبى
		٥٣٧-٥٣٦ البدء فى إعادة بناء الهيكل- توقف العمل
٥٣٠ - ٥٢٢	قمبيز	
٥٢١- ٤٨٦	داريوس الأول حستابس	٥٢٠ استئناف العمل فى بناء الهيكل
		٥١٦ إتمام بناء الهيكل
٤٨٦- ٤٦٥/٤٦٤	إجزركيس (أحشويروش)	٤٨٦ أو بعد ذلك بقليل: «اتهام اليهود» (عزرا ٤:٦)
٤٦٤- ٤٢٣	أرتحشستا الأول لونجيمانوس	٤٥٨ قدوم عزرا إلى أورشليم
		قبل سنة ٤٤٥ توقف العمل فى تحصينات أورشليم (عزرا ٤:٧-٢٣)
		٤٤٥ قدوم نحميا إلى أورشليم
		٤٣٣ عودة نحميا إلى

		ارتجزركسيس
		بعد سنة ٤٣٣ عودة نحميا إلى أورشليم
٤٢٣-٤.٤	داريوس الثاني نوثوس	٤١. رسالة إلى يوناثان رئيس الكهنة في أورشليم من اليهود المقيمين في إلفنتين في مصر
		٤.٧ رسالة من إلفنتين إلى باغواس حاكم يهوذا وإلى أبناء سنبلط حاكم السامرة.
٤.٤- ٣٥٩	أرتحشستا الثاني منمون	
٣٥٩/٨ - ٣٣٨/٧	أرتحشستا الثالث أوخرس	
٣٣٨/٧-٣٣٦/٥	أرسيس Arses	
٣٣٦/٥- ٣٣١	داريوس الثالث كودومانوس	
٣٣١- ٣٢٣	الإسكندر الأكبر	

المدخل والدراسة التمهيدية

١- عزرا ونحميا فى إطار عصريهما

إن الأحداث المتباينة التى أوردها سفر الملوك (الأول والثانى) والتى غطت حقبة من الزمن استغرقت خمسة قرون تقريباً وانتهت بمأساة فاجعة فى سنة ٥٨٧ ق.م. حيث نُهبت مدينة أورشليم وقُضى على مملكة يهوذا ونُقل إلى بابل كل ما كان يُمكن أن يسهم فى وجودها السياسى.

ولقد كان من المتعذر إلى أقصى حد القيام بأية محاولة لبعث هذه الأمة.

كانت إسرائيل قبل ألف سنة من هذا التاريخ قد انتقلت إلى مصر لكى تعيش هناك لا كأسرة بل كأمة. [١]

وفى ظل هذه الظروف، سنجد أن الفترة الحالكة السواد والتى قضوها فى بابل ستشكل نقطة تحول أخرى فى تاريخهم، ولذلك لم تبرز إسرائيل كمملكة فحسب، بل كالقطيع الصغير الذى ستشكل منه جماعة الرب. وهذه هى النقطة التى يبدأ عندها سفر عزرا. ولسوف نستعرض قصة هذا السفر، ولو بعض خطوطه الرئيسية.

وسفر عزرا مع سفر نحميا يغطيان فترة من الزمن لا تزيد كثيراً عن المائة عام من سنة ٥٣٨ حين سمح الملك كورش، الفارسى للمسبيين بالعودة إلى وطنهم لإعادة بناء الهيكل، وإلى حوالى سنة ٤٣٠ أو إلى العقد التالى، حين شغل نحميا الفترة الثانية من حكمه فى أورشليم. [٢]. والسفر لا يتناول قصة متواصلة، وإنما يتمركز حول ثلاث حركات وشخصيات. كان هناك فى أول الأمر صراع لمحاولة إعادة بناء الهيكل وذلك فى أيام زربابل (مع يهوشع رئيس الكهنة ومع النبيين حجىّ، وزكريا). وقد

(١) ذكرت هذه النقطة بتركيز فى تث ٢٦: ٥.

(٢) هذا التاريخ موضوع جدل، انظر الملحق: الترتيب الزمنى هل هو عزريا- نحميا أم العكس.

استغرق ذلك الفترة من سنة ٥١٦ إلى ٣٥٨ قبل الميلاد، وهو ما تشغله الأصحاحات ١-٦ من سفر عزرا، بصرف النظر عن الاستطراد فى الأصحاح ٤:٦-٢٣. وبعد ذلك تنقضى فترة تقرب من ستين عاماً لا نكاد نسمع فيها شيئاً من أخبار جماعة إسرائيل، وحينئذ تخرج جماعة أخرى من المسبيين من بابل فى طريق العودة إلى الوطن. وفى هذه الفترة جاء هؤلاء بقيادة عزرا، الذى فوّضه الإمبراطور الفارسى للعمل على تطبيق شريعة موسى، وهو الواجب الذى كان من نتائجه المباشرة الخاتمة الفجائية المثيرة لهذا السفر. أما الشخصية العظيمة الثالثة التى يتناولها السفر فهى شخصية نحميا. والذى يحدثنا عن قصة مفعمة بالقوة والحيوية وهى قصة إعادة بناء أسوار المدينة، ومواجهته لأعدائه، وإعادة تعمير أورشليم وتوطين شعبه فيها والقضاء على الخونة حيثما وجدهم فى معسكره. وبنهاية هذين السفرين، تحققت لهؤلاء المسبيين السابقين المقومات الأساسية لبنيتهم كشعب: المرئية منها وغير المرئية، وترسخت جذورها، وتثبتت هويتهم القومية، وغُرست فى نفوسهم تعاليم الشريعة، وصار لهم افترازهم عن بقية الشعوب.

وعلى الرغم من إحساسهم باستعادة هويتهم القومية إلا أنهم فى الوقت نفسه لم يكونوا مستقلين سياسياً. ولقد كان من الأمور العجيبة حقاً، أنهم أصبحوا الآن أكثر إحساساً بتميّزهم. وأكثر إحساساً بيهوديتهم، ما كان عليه الحال فى أى وقت عندما كانوا دولة ذات سيادة. ولم يعد هناك الآن أى مجال لأحلام العظمة. لقد مرت بهم تجارب صعبة، وإن كان قد توافر لهم رجال ذوو عزيمة صلبة يتولون قيادتهم. فضلاً عن تدبيرات العناية الإلهية، والتى تمثلت فى التشجيع الإيجابى والعملى الذى أتاحته الإمبراطورية الفارسية للشعوب الخاضعة لها، حين سمحت لها بممارسة الطقوس والشعائر الدينية الخاصة بها فى حرية تامة وبالجدية الواجبة.

وهذا الأمر يأتى بنا إلى الخلفية الأشمل لهذين السفرين، فضلاً عن بعض الروايات الموجزة عن هذه القوة العالمية التى سيطرت على مسرح الأحداث فى تلك الفترة.

كان كورش الكبير هو مؤسس هذه الإمبراطورية الفارسية، وكان فى أول أمره ملكاً على دولة أنشان الصغيرة الواقعة على مقربة من الخليج الفارسى. وقد أطاح

كورش بسيّده استياجيز Astyages سنة ٥٤٩ ق.م. ومن ثم تسنى له أن يرث إمبراطورية مادى الشاسعة والتى امتدت إلى الشمال والشرق من بابل. ولقد وسع كورش إمبراطوريته هذه فى اتجاه الغرب البعيد إلى آسيا الصغرى عندما هزم كروسوس ملك ليديا فى سنة ٥٤٧، وأصبح بذلك خطراً على بابل ومصر، حلفاء الملك المهزوم. ولقد سقطت بابل فى يديه سنة ٥٣٩ بدون أدنى مقاومة، ولقد بدأ بغير إدراك منه فى إتمام تحقيق نبوات إشعياء ٢٨:٤٤، ٤٥:١-٣. بإعادة توطين رعاياه المسبيين فى الإمبراطورية البابلية من أصحاب الديانات فى أوطانهم الأصلية، مع السماح لهم بإعادة بناء هيكلهم، وطالبهم بأن يشفعوا عند إلههم. وسنقدم خلاصة لروايته والمدّونة على عمود كورش فيما بعد؟

توجه كورش للقتال فى الأقاليم الشرقية سنة ٥٣٠، حيث قضى سجنه هناك ليخلفه ابنه قمبيز، والذى استطاع بحملة خاطفة أن يضم مصر إلى إمبراطوريته فى سنة ٥٢٥ ق.م. ومما هو جدير بالملاحظة أنه بينما انتهك قدسية كثير من المعابد المصرية فى حملته العسكرية هذه، إلا أنه لم يمس معبداً يهودياً في إلفنتين، وهى تلك المدينة الحصينة على حدود مصر الجنوبية. (أنظر المكتوب عن السياسة الدينية لهذه الأسرة فيما يلى).

إلا أن قمبيز لم يقم بهذه الحملة العسكرية إلا بعد تأمينه لعرشه بقتله لأخيه سمرديس (والمعروف باسم برديس أو برديا) بطريقة خفية لم يعلن آمرها. وإذا كان لهذه الحادثة أثرها على المدى القصير، إلا أنها كانت مصدراً لمتاعب جمة حصد خليفته ثمارها. ومن بين الثائرين الكثيرين الذين تحركوا فى كل أرجاء الإمبراطورية عندما خلا العرش سنة ٥٢٢، ادّعى اثنان حقهما فى وراثة العرش. إلا أن الملك داريوس الأول (٥٢١- ٤٨٦) لكفائته وتحركه السريع تمكن من إعادة الاستقرار إلى الإمبراطورية بنهاية السنة الثانية من حكمه. ولقد كان ذلك سنة ٥٢٠ وهى السنة التى بدأ فيها حجى وزكريا نبواتهما، والتى فيها استؤنف العمل أخيراً فى إعادة بناء الهيكل، وهو ما جاء فى سفر عزرا الأصحاحين الخامس والسادس. وإن الرؤيتين اللتين رأى فيهما زكريا الفرسان يجولون الأرض (زك ١:٧-٩، ٦:١-٣) من الممكن أن تدين بشئ من صياغتهما إلى التحركات السريعة للرسل الذين كانوا يحملون

رسائل الملاك الفارسى إلى أطراف إمبراطوريته الشاسعة، ويوصلونها فى سرعة فائقة (أنظر أستير ٨:١).

أما الملك الذى جاء بعد ذلك فهو جزركسيس الأول (٤٨٦- ٤/٤٦٥) أو أحشويرش (وهذه هى الصيغ اليونانية والعبرانية والآرامية للاسم الفارسى خشايراش)، والذى ورد ذكره بصورة عابرة. فى عزرا (٦:٤)، وإن كان يشغل سفر أستير بكامله. ويذكره التاريخ بحملته الاستعراضية ضد اليونان سنة ٤٨٠ والتى انتهت بالفشل. ولقد أسبغ أبوه مجداً على اليونان بانتصارهم عليه فى مراثون فى سنة ٤٩١، أما حملته الفاشلة فقد أضافت إلى التاريخ اليونانى أسماء ثرمو بيلا وسلاميس.

ولقد كان خلفه الملك (أرتحشستا الأول ٤٦٤- ٤٢٣) هو الذى جعلنا على صلة قوية بسفرى عزرا ونحميا، ومن عزرا الأصحاح السابع إلى نهاية سفر نحميا حيث (ورد تحت اسم ارتحشستا)، (كما ورد أيضاً اسم داريوس الثانى فى نحميا ٢٢:١٢)- وذلك على الرغم من أن الكثيرين من علماء الكتاب المقدس يجعلون عمل عزرا فى عهد الملك ارتجزركسيس الثانى (أرتحشستا) (٤٠٤- ٥٣٩) أو ارتحشستا الثالث (٣٥٩- ٣٣٨) ولسوف نناقش بالتفصيل مسألة الاختلاف فى الترتيب الزمنى فى الملحق. وأيّا كان الأمر فإننا افترضنا أن عزرا قد أرسل فعلاً فى سنة ٤٥٨ لتنظيم الأحوال فى يهوذا، فإن مهمته هذه تكون فعلاً ذات جدوى من الناحية السياسية للملك ارتحشستا الأول، والذى تميزت السنوات الأولى من عهده بالثورة الجامحة التى قام بها إيناروس فى مصر، ومن ثم فقد كان يهمه بصفة خاصة أن يضمن استقرار الأحوال فى هذا الإقليم المجاور له. وبعد سنوات قليلة (٤٤٩) ثار ضده ميجابيروس وهو الوالى الذى عينه لحكم سوريا. وإننا لنرى حساسية الملك الفارسى بالنسبة لهذه المنطقة فى عزرا ٤:٧-٩، حيث سجلت مخاوفه من انعدام ولاء يهوذا له، مما جعله يوليها اهتماماً خاصاً. وهنا أيضاً نرى ألمعية الملك الفارسى وصدق فراسته فى منحه ثقته لنحميا باعتباره رجلاً يمكن الاعتماد عليه، ومن ثم عينه حاكماً على يهوذا فى سنة ٤٤٥ ومنحه حرية التصرف.

وهناك مصادر أخرى بخلاف الكتاب المقدس تعطى بعض الضوء على صراعات نحميا المحلية والآثار المترتبة عليها، ومنها نقف على أن أعداءه كانوا من ذوى المراكز الرفيعة فى الدولة الفارسية. فلقد كان سنبلط فى هذا الوقت أو بعد ذلك حاكماً على السامرة (انظر بردية إلفنتين «فيله» (كما كان جشم العربى زعيماً لمجموعة قوية جداً فى المجتمعات العربية، ومن المحتمل أن طوبيا العمونى كان حاكماً على عمون وأحد أفراد أسرة يهودية قوية. ومن المحتمل أن تلقيبه «بالعبد» هو اختصار تحقيرى لعبارة خادم أو عبد الملك. كما نعرف أيضاً من بردية إلفنتين أنه منذ سنة ٤٠٧ كان أبناء سنبلط دلايا وشلميا يمثلانه، كما نستدل من اسميهما أن والدهما سنبلط كان يتظاهر بعبادة يهوه، الأمر الذى زاد من صعوبة قيام نحميا بمعارضته. وتكشف لنا بردية السامرة والتى وجدت فى وادى داليه سنة ١٩٦٢ أن هذه الأسرة كانت لا تزال تمارس مهام عملها، وأنها كانت على نفس ديانة يهوه فى منتصف سنوات القرن التالى، حينما أصبح الابن الثانى لسنبلط حاكماً، ويحمل اسماً منسوباً ليهوه، وهو حنانيا، ومعناه «يهوه تحنن». أما آخر ملوك فارس الذين ذكروا فى سفر نحميا (ولكن فى الملاحظة التاريخية نح ١٢:٢٢) فهو داريوس الفارسى، ومن الواضح أن المقصود به هو داريوس الثانى (٤٢٣ - ٤٠٤). ولقد كُتبت فى عهده الرسائل المعروفة ببردية إلفنتين، والتى تقدم لنا حاشية من مصدر أساسى لقصتنا. إلا أن معلوماتنا عن الأحوال اليهودية بختام هذا القرن وإلى نهاية الإمبراطورية الفارسية عام ٣٣١ أخذت فى التلاشى حتى كادت أن تنعدم نهائياً اللهُم إلا إذا أخذنا بوجهة النظر التى أرفضها، والقائلة بأن عزرا شهد هذه الفترة، تحت حكم الملك ارتحشستا الثانى أو الثالث (٤٠٤ - ٣٥٩، أو ٣٥٩/٨ - ٣٣٨/٧). وهناك شذرات من المعلومات، إلا أن القليل منها هو الموثوق به أو الذى له أهميته. ولقد وُجدت بعض مقابض الأوانى فى رامات راحيل، وعليها بعض النقوش والتى يتبدى منها أنه كان هناك حكام يهود تولوا أمر الحكم فى يهوذا (وذلك على الرغم من أن بعض دارسى الكتاب المقدس لا يقرأون كلمة "phw" على أنها تعنى «الحاكم» وإنما يقرأونها على أنها "phr" وتعنى «الفخارى» الذى يصنع الأوانى الفخارية)، وهناك بعض المؤرخين القدامى ومن بينهم المؤرخ يوسابيوس الذين

يحدثوننا عن بعض الإجراءات العقابية التى اتخذت ضد صيدون وغيرها من مثيرى القلاقل، ويقولون بأن الملك ارتحشستا الثانى أجلى عدداً من اليهود إلى هركانيا (بالقرب من بحر قزوين). وذلك فى بداية حكمه، إلا أن كتاباتهم متأخرة لعدة قرون بعد هذه الحادثة. لكن الأمر المؤكد والذى له أهميته هو أنه فى فترة ما بين أيام نحميا والقرن الثانى قبل الميلاد (قارن سفر المكابيين الثانى الأصحاح ٦:٢، سفر حكمة سليمان الأصحاح ٥٠:٢٥ و٢٦)، بنى السامريون معبدهم الخاص بهم على جبل جرزيم المجاور لشكيم الأمر الذى أدى إلى انقطاع العلاقات الودية بينهم وبين اليهود، وصدعاً لم يكن فى الإمكان جبره فى غالب الأحوال. ويضع المؤرخ اليهودى يوسيفوس هذه الحادثة فى الفترة الانتقالية ما بين الحكم الفارسى والحكم اليونانى، أى حوالى سنة ٣٣٠ ق.م. حيث يذكر كيف أن سنبلط حصل على إذن من الإسكندرية لبناء هذا الهيكل وتنصيب زوج ابنه كاهناً له. هناك شئ كثير من الاختلاط والتشويش هنا فيما يتعلق بالأحداث الواردة فى نحميا ٢٨:١٣ (وهى تعود بتاريخها إلى قرن سابق) تجعلنا لا نعتبر يوسيفوس شاهداً يعول عليه بالنسبة لهذه الأحداث وتفصيلاتها، ومع ذلك من المحتمل أن يكون رأيه صحيحاً فيما يتعلق بزمن بناء هيكل جرزيم.

لقد شكل القرنان اللذان شهدا الإمبراطورية الفارسية فترات ذات أثر فعّال فى تشكيل التاريخ اليهودى. فمن بين أطلال مملكة يهوذا ظهر إلى حيز الوجود المجتمع الصغير الذى كان همه الأكبر أن يكون شعب الله بحكم انتسابهم إليه وواقعهم الذى شكل منهم تلك الأمة التى نلتقى بها فى العهد الجديد. وإننا لسوف نرى الأهمية التى أصبحت للهيكل وكهنته والناموس وكتبته. والعداوة التقليدية التى صارت طابع العلاقات بين السامريين واليهود. وإبان هذه الحقبة كان للحكم الفارسى دوره البالغ الأهمية سواء من ناحية إرسال ودعم ثلاث حملات بقيادة زربابل وعزرا ونحميا، أو المساندة الكاملة التى لاقاها هؤلاء الثلاثة من الحكم الفارسى.

والواقع أن الامبراطورية الفارسية لم تكن أول امبراطورية قدر لها أن تلعب هذا الدور فى التاريخ اليهودى، ولن تكون الأخيرة.

٢- السياسة الدينية لملوك فارس

السمة البارزة للإمبراطورية الفارسية تجلت في ذلك الدمج العنصري للعديد من الشعوب فى نظام إدارى واحد، مع الاحتفاظ فى نفس الوقت لهذه الشعوب بتقاليدها ومعتقداتها الخاصة بها. كانت ديانة الملوك الأخمينيين (وعلى الأقل منذ عهد داريوس الأول فصاعداً) تقوم على عبادة الإله الواحد أهورا- مازدا، إلا أن هذه العبادة لم تُفرض على الشعوب الأخرى الذين لهم معتقداتهم الخاصة. بل إنهم بالأحرى قد شجعوا على أن يعملوا من أجل الصالح العام للملك من خلال ممارستهم الصحيحة لشعائر وطقوس الديانات التى يدينون بها.

وكان كورش الملك الأول الذى يشارك رعاياه الجدد معتقداتهم الدينية إلى الحد الذى اعترف فيه بولائه وإخلاصه للإله مردوخ وغيره من آلهة بابل. وفى الوقت نفسه أعاد تماثيل الآلهة غير البابلية إلى المدن السابقة التى كانت مقراً لها، كما أعاد توطين عبدتها فى مواطنهم الأصلية. فضلاً عن إعادة بناء مقادسهم، والتماس رضاء هذه الآلهة عنه. وتعطينا اللوحة التذكارية المعروفة باسطوانة كورش ما دوّنه فى هذا الخصوص، وذلك فى هذه الخلاصة المقتطفة منها:

«لقد أعدت إلى هذه المدن المقدسة.. المقادس التى بقيت أطلال للمدى الطويل، والتماثيل (التى اعتادت) أن تعيش فيها وأقمت لها مقادس دائمة. لقد جمعت (أيضاً) كل السكان (السابقين). وأرجعت السكان إلى مواطنهم الأصلية.

وإنى لأرجو كل هذه الآلهة التى أعدت تسكينها فى مدنها المقدسة أن يسألوا لى يومياً الآلهة بيل ونبو ويطلبوا لى لكى يهبنى حياة طويلة... وأن يقولوا لسيّدى مردوخ «كورش الملك الذى يعبدك، وقمبيز ابنه..».

أما ما تعنيه هذه المقولة بالنسبة لليهود، وكذلك للعالم أجمع، فهذا هو ما يبدأ الأصحاح الأول من سفر عزرا فى بيانه.

ولقد وصلت إلينا بين الفينة والفينة تلميحات وإلماعات عن هذه السياسة وتطبيقها عملياً، وذلك من خلال مصادر أخرى، والتى عرفنا منها المنح المالية

والعطايا المادية التى قدّمها كورش وداريوس وأرتحشستا واللازمة لأمور العبادة، والتى لم يكن لها مثيل على الإطلاق. ولقد اتخذ كل من قمبيز وداريوس فى مصر الأسماء الملكية المصرية تكريماً للإله رع، وعلى الرغم من أن الملك قمبيز قام فى إحدى المراحل بسلسلة من الأعمال التخريبية للمعابد وسرقة مقدساتها، وعلى الرغم من أن مثل هذا العمل لم يكن مما يتلاءم مع سياسته، إلا أنه من الممكن أن يكون قد أقدم على القيام به انتقاماً من الشكوك التى ساورته عن تآمر كهنة هذه الآلهة ضده، والدليل على ما تذهب إليه هو أنه ترك هيكلاً يهودياً فى نفس المكان دون أن يمسه بأدنى ضرر. لقد سبق له أن أعلن الاحترام التقليدى للآلهة المصرية، كما دعم سلطان كهنة نيت Neith ومواردهم المالية والذين كانوا فى عاصمة ملكه. وبالمثل أفاض الملك داريوس من عطاياه المالية ومن الخدمات التى تتطلبها الديانة المصرية وكان ذلك، (كما قال عنه مؤرخه الكهنوتى المصرى): «من أجل دعم وتأييد اسم جميع الآلهة، ومعابدهم، ومواردهم، وشعائر وطقوس ومراسم أعيادهم إلى الأبد».

ولم تكن مصر بالحالة الشاذة فى هذا المضمار. فإن سكان جزيرة ديلوس اليونانية، والذين فروا منها عند اقتراب الأسطول الفارسى منها سنة ٤٨٠ ق.م. قد أعطوا تأكيداً باحترام داريوس لمثل هذا الموضع المقدس، والذى هو مسقط رأس الآلهة أبولو وأرطاميس، كما قدم القائد الفارسى داتيس تقدمات سخية هناك. ومن الأمور ذات المغزى الهام، أن نفس الملك داريوس الأول قد ذكر بصفة خاصة ما يدل على تلك السياسة الملكية الثابتة فى مثل هذه الأمور من خلال توبيخه لأحد ولاته فى آسيا الصغرى. ذلك أن جاداتاس الوالى الفارسى قد تخلف عن إعفاء بعض القائمين على الخدمة الدينية فى دفع الجزية، وهم بستانيو أبولو. ولقد ذُكرت نفس الامتيازات التى لجميع فئات العاملين فى حقل الخدمة الدينية لهيكل اليهود، وذلك فى خطاب التعيين الذى أصدره الملك أرتحشستا لعزرا (عزرا ٧ :٢٤).

وأخيراً، فإن اهتمام هؤلاء الملوك بالتأكيد على ضرورة الممارسة الصحيحة للديانات القومية يتضح لنا بجلاء من «بردية الفصح» الواردة ضمن نصوص برديات إلفنتين. وهى عبارة عن رسالة يرجع تاريخها إلى سنة ٤١٩ ق.م. صادرة عن موظف يهودى فى الإدارة المحلية يُدعى حنانيا إلى مجموعة من اليهود فى حامية المدينة

الحدودية المصرية إلفنتين، يُعلنهم بأمر صادر من الملك داريوس (الثانى) بأن على الحاكم المحلى أن يسمح لهم بالاحتفال بعيد الفطير. ولقد كان حنانيا كما يتضح من هذه الرسالة هو الشخص الذى فُوِّض إليه إبلاغهم بهذا الأمر، والقيام باجراءات تنفيذه، وهو ما قام به بحسب ما جاء عنه فى خروج ١٢:٦ و١٤- ٢٠. وهو يختتم رسالته بهذه الصيغة: «بأمر الملك داريوس». إن قصاصة البردية هذه ليست مكملة فحسب لرواية عزرا عن تفويضه بتطبيق الشريعة اليهودية. بل هى فى الواقع تؤكد ما تعنيه صيغة الأوامر الملكية الواردة فى هذا السفر، كما تدلنا على أن الأوامر الملكية الرئيسية والعامة فى مثل هذه الأمور كانت تصدر من الملك إلى المستشارين لإعداد المخططات اللازمة لتنفيذها، وأن هؤلاء المستشارين هم مواطنون من نفس الشعب الذى صدرت فى شأنه هذه الأمور الملكية، وبعد ذلك كانت هذه الوثائق تصدر إليهم باسم الملك.

إن هذه الأمثلة التى نجدها هنا وهناك عن السياسة الفارسية، وإن كانت ليست ضرورية لفهمنا لهذين السفرين، إلا أنها مع ذلك تساعدنا على تبين أن هذين السفرين لا يقفان بمعزل عن عصرهما، وإنما هما على علاقة وثيقة وأكيدة بالعصر الذى تتناولانه.

٣- بعض الموضوعات الرئيسية فى سفرى عزرا ونحميا

من الواضح تماماً أن هذين السفرين هما أكثر من مجرد عرض تاريخى للأحداث وفق تسلسلها الزمنى. إننا هنا أمام أحداث نتعلم منها، ولم تسرد لمجرد معرفتها فحسب. ومن المؤكد أن هناك علاقة معينة بين هذه الفترة الأخيرة من السرد الإخبارى فى العهد القديم وبين الفترة الأخيرة من السرد الإخبارى فى العهد الجديد، من حيث أن كليهما يأتيان بالقارئ إلى نقطة قدوم تُعد بمثابة طور مرحلى أكثر من كونها المرحلة التى تنتهى إليها الرحلة، داعية إياه بحنكة وبراعة إلى استكشاف مقصد الله البعيد المدى. فإننا مع نحميا فى أورشليم، كما هو الحال وبولس فى روما، نجد أنفسنا أمام انقطاع مفاجئ للرواية تاركة إيانا بدون شك أمام رحلة شاقة ننتظرها، وليس هذا فحسب وإنما أيضاً أمام مغامرة جيدة الإعداد للانطلاق وبإمكانيات

عالية. إن يد إلهنا (وهى عبارة أثيرة نستعيرها من عزرا ونحميا) قد اتضح بجلاء دورها فى توجيه الأحداث، ومن حيث أننا نتعرف بأن الله موجّه هذه الأحداث ومسيّرها، ولهذا فإن الموضوع الأول لدراستنا ما قيل عن الله فى هذين السفرين.

أ - الله:

لسنا هنا أمام إله صغير ومنعزل، مهما كان شعبه قد أصبح يشكل من بقية ضئيلة. بل هو الذى قالوا عنه بكل جسارة إنه خالق السماوات وسماء السماوات وذلك فى قولهم:

«أنت هو الرب وحدك. أنتَ صنعتَ السماوات وسماء السماوات وكلَّ جندها والأرض وكلَّ ما عليها والبحار وكل ما فيها، وأنتَ تُحييها كلها. وجندُ السماواتِ لكَ يسجد.» (نحميا ٩:٦)، وليس هذا مجرد فكر لاهوتى يلتزمون به سراً. إن جواب اليهود على رسل الملك الفارسى الذين سألوهم عمن أمرهم ببناء الهيكل كان: «نحنُ عبيدُ إله السماء والأرض» (عزرا ٥:١١)، وهذا الاسم أو اللقب الذى اختصر إلى «إله السماء» هو الاسم الذى كان معروفاً لدى جميع السلطات على أنه الصيغة الصحيحة والسليمة التى تُشير إلى إله إسرائيل (قارن على سبيل المثال عزرا ١:٢، ٦:٩). وكان مما يشجع هذا الشعب بصفة خاصة، تذكيرهم باسم أو لقب آخر بأن إلههم هو «السيد العظيم المرهوب» (نحميا ٤:١٤، قارن ٩:٣٣)، وتذكير كل منهم للآخر بأنه وعد أن يكون إلهنا.

وفى الواقع هناك تأكيد قوى على العهد الذى أقامه الله مع إسرائيل والذى ارتبط به معهم، ومن هنا فإنه يُصبح بالنسبة للفرد هو «إلهى» (وهى الصلة التى كان نحميا على وعى خاص بها).

إن اختيار الله لإبراهيم، وتخليصه لإسرائيل من مصر، وأناته وصبره على تحدياتهم تشغل الجزء الأكبر من اعتراف نحميا فى الأصحاح التاسع، وبدرجة أقل فى عزرا الأصحاح التاسع. وأنه من خلال محبته الأمينة قد أرسل روحه فى وسطهم، وإن كانوا لم يهتموا بذلك كثيراً سواء فى البرية أو من خلال أقوال الأنبياء (نحميا ٩:٢٠ و٣٠).

إن أمانة الله هذه هى أول شئ يقابلنا فى هذين السفرين. والمجرى الكامل للأحداث إنما جاء من أجل تحقيق وعد (عزرا ١:١). والشئ الظاهر بدرجة متساوية هو السيادة الإلهية. إننا لسنا أمام معجزات علنية صريحة، وإنما نحن أمام مراسيم إمبراطورية يأتى كل واحد تلو الآخر، بعد مبادرة إلهية للرب الذى نبه روح كورش، (عزرا ١:١)، ووضع شيئاً خاصاً فى قلب الملك (ارتحشستا)، ومن ثم فإنه حسن لدى الملك فأرسل نحميا ليقلب رأساً على عقب سياسة سابقة (عزرا ٢٧:٧، نحميا ٦:٢). وبالطبع، لقد كان الله، أيضاً، هو الذى نبّه روح كل متطوع، على ما قيل لنا، للعودة من السبى (عزرا ٥:١)، والذى جُعل فى قلب نحميا، أن يتفرس أولاً فى أسوار أورشليم المنهدمة (نح ١٣:٢)، ومن ثم ألهم الله أيضاً بإعداد القوة البشرية اللازمة للنهوض بهذا العمل (نحميا ٥:٧).

وأخيراً، فإننا نرى الله عاملاً أيضاً فى شعبه ومع شعبه، واقفاً بالمرصاد ضد رجال السلطة الذين يقاومون اليهود فى عملية إعادة البناء، بل وسخرهم لتحقيق هذا الهدف، إن قصة نحميا تتسم بالتزاوج ما بين الروحانية الكاملة بأولئك المتحجرى الرؤوس الذين لا يخجلون من أعمالهم المشينة. فصلّينا.. وأقمنا حراساً ضدهم نهاراً وليلاً بسببهم، (نح ٩:٤) «أذكروا السيد.. وحاربوا، (نح ١٤:٤). ولقد دونت النتيجة الرائعة لكل ذلك بمزيد من الشكر، بدون أية إشارة إلى حقيقة أن نحميا قد تفوّق على أعدائه حيلة ودهاءً، وذلك على الرغم من أنه كان أمراً واقعاً، وإنما ذُكر بالأحرى أن «الله أبطل مشورتهم» (نح ١٥:٤). وعلى كل كان هذا كله لبّ الموضوع وعلامة على أشياء أعظم سوف تحدث. بل إن العدو نفسه قد أدرك ذلك، فعندما تم بناء الأسوار فى ما لا يزيد على ٥٢ يوماً، فإن الشعوب المحيطة باليهود «سقطوا كثيراً فى أعين أنفسهم»، ليس لأنهم رأوا اليهود قد أصبحوا مصدراً لقلقهم وانزعاجهم بدرجة لا يستهان بها فحسب، وإن كانوا فعلاً قد أصبحوا كذلك، ولكن لأنهم «علموا أنه من قِبل إلهنا عُمل هذا العمل» (نح ١٦:٦).

وإذا كان هذا هو شأن الإله الذى معهم، فمن ذا الذى يستطيع أن يقف فى وجههم؟ وسواء اختار الله أن يحميهم من خلال يقظتهم، وعملهم الجاد، كما ذكرنا سلفاً، أو من خلال الموظفين الإمبراطوريين والفرسان الذين رافقوا نحميا فى مجيئه

إلى أورشليم (نح ٢:٩)، أو فعل ذلك بصورة غير مرئية وبهدوء، كما سبق له أن حمى عزرا فى رحلة مماثلة حينما «خجل أن يطلب من الملك» مساعدة عسكرية لنجدتهم على أعدائهم فى طريق مسيرتهم إلى أورشليم (عزرا ٢٢:٨)، إنما الواقع أن العمل كله كان «عمل الرب» وما يزال الأمر عجيباً فى أعيننا.

ب - شعب الله :

لقد سبق وأنبأ إشعياء أنه: «وإن كان شعبك يا إسرائيل كرمل البحر ترجع بقية منه». (إش ٢٢:١٠)- إن هذا الرجوع لا يعنى العودة من السبى فحسب، وإنما الرجوع إلى «الله القدير» (إش ٢١:١٠). إن سفرينا يقدمان لنا جانبى هذه المسألة:«ضآلة عدد البقية والإحساس بكوننا مع ذلك شعباً متفرداً».

وعلى الرغم من أن عدد العائدين من السبى كان يُقارب الخمسين ألفاً (عزرا ٢:٦٤-٦٦) فإن هؤلاء العائدين إلى الوطن كانوا يشعرون أنهم مجرد حفنة وذلك بالمقارنة بأسلافهم: «لأننا بقينا ناجين» (عزرا ١٥:٩). ولكن حقيقة نجاتهم فى حد ذاتها ما هى إلا تأكيد «رأفة» ومحبة الله الثابتة ورحمته لهم (عزرا ٨:٩ وما بعدها)- بحيث أصبح مصطلح «أهل السبى» (The gola وهو اسم جمع) لقب تشريف وتكريم. وهو فى الحقيقة يعد مرادفاً لمصطلح «إسرائيل الحقيقى». وهذا ما يقفز إلى خاطرنا من إعلان عزرا فى ٨:١٠ الذى يهدد فيه بعض العاصين «بالفرز من جماعة أهل السبى» وذلك على الرغم من انتهاء السبى ذاته منذ ثمانين عاماً.

وهناك أمران تم التركيز عليهما فى هذا العهد الجديد، أولهما الاستمرارية مع إسرائيل التاريخى، والذى تحمل هذه البقية اسمه وميراثه (قارن عز ٢:٢ ب)، والثانى الانفصال عن وصمات الوثنية. إن التسجيل الصبور للأسرات ومدن توطّنها المدوّن فى الأصحاح الثانى من سفر عزرا يعكس صورة دقيقة لأول هذه الاهتمامات، وهذا ما أكد عليه بعمل قوائم لبعض الجماعات كما هو وارد فى (٥٩:٢-٦٠). والذين لم يستطيعوا أن يبيّنوا بيوت آبائهم ونسلهم، هل هم من إسرائيل، ولم يكن هؤلاء فحسب من الكهنة (الآيات ٦١-٦٣) والذين كان عليهم أن يُقدّموا ما يُثبت انتسابهم إلى سلالة الكهنة.

أما الاهتمام الثانى، وهو الطهارة والنقاء الدينى، كان تطبيقه أكثر صعوبة وخطورة، فقد كان يحمل مخاطر الجيتو أو الأحياء المنعزلة والمقفلة على أفرادها من اليهود، وما يؤدى إليه من إثارة العداوة وتنمية الكبر والغطرسة. ولقد أحسوا بالعداء فور رفضهم الأول للعرض المريب للتعاون معهم والمذكور فى الأصحاح الرابع من عزرا، أما الاعتزال عن غيرهم فقليلون كانوا يرون فيه شيئاً من التعالى ذلك أنه كان أمراً ضرورياً في هذه المرحلة. فلقد كان هذا يشكل ضرورة دفاعية وليست هجومية، وفى كل قطاعات المجتمع كان هناك الكثيرون ممن يعتبرونه مدعاة للضيق والقلق. وطالما أن هذا الأمر قد ألقى على عاتق الرؤساء للأخذ به والتأكيد عليه، فإنه من الممكن توجيه الاتهام إلى كل من زربابل وعزرا ونحميا بالغلوّ فى الوطنية، إلا أنه من الإنصاف الإشارة إلى أنه كان من واجبهم الحفاظ على هويّة إسرائيل باعتبارها «الزرع المقدس» (عزرا ٩:٢، قارن ملاخى ٢:١٥). ثم إن ولاءها للرب بصورة كاملة مطلقة، كان يتطلب ألا تتدنس وتتلوث بثقافات الشعوب المحيطة بها.

ولقد كانت هذه كلها أموراً حاسمة وعصيبة. إن الإشارات التى نجدها فى حزقيال وإرميا (مثل حزقيال ٨، إرميا ٣٣:١٥-١٧) إلى الديانة الشائعة بين عامة الناس فى بداية السبى، والإلماعات الأخرى فى برديات إلفنتين عن يهود مقتربين فى أيام نحميا، والذين كانوا يرون أنه ليس هناك أدنى تضارب أو تعارض بين يهوه والآلهة الكنعانية توضح لنا الاتجاه الذى كان من السهل على يهودية ما بعد السبى أن تنزلق إليه. كما أنه من الواجب علينا أن نضيف هنا أن أحكام الانفصال والافتراز عن بعض الجيران: «ليس لكم أن تعملوا شيئاً معنا» و «ليس لكم نصيبٌ ولا حقٌ ولاذكرٌ فى أورشليم» (عز ٤:٣، نح ٢: ٢٠) قد توازنت واستضاءت بالترحيب الذى قوبل به المهتدون الحقيقيون، إن احتفال عيد الفصح الذى كان علامة على إتمام بناء الهيكل، قد قيل لنا عنه: «وأكلهُ بنو إسرائيل الراجعون من السبى مع جميع الذين انفصلوا إليهم من رجاسة أمم الأرض ليطلبوا الرب إله إسرائيل» (عز ٦:٢١). ومجرد الانتساب إلى الشعب اليهودى لا يوفّر للشخص أية امتيازات أخلاقية.

وقبل أن ينفض بولس ثيابه إعلاناً لبراءته من مواطنيه الرافضين للإيمان (أعمال ١٨:٦) نرى أن نحميا قد سلك نفس هذا المسلك منذراً المرابين اليهود والحانثين فى

أقسامهم، وأضاف إلى ذلك أنه نفض حجره قائلاً: هكذا ينفض الله كل إنسان لا يقيم هذا الكلام من بيته ومن تعبه وهكذا يكون منفوضاً وفارغاً، (نح ٥:١٣) وعلى الرغم من تشديد هذين السفرين على المظاهر الخارجية، إلا أن السبيل إلى اختبار إيمان الفرد هو الأسلوب الذى يعامل به رفاقه. وإننا لنجد هنا أيضاً شيئاً يشابه إلى حد كبير توجهات بولس الرسول، حين نرى نحميا يرفض التمتع بامتيازات الحاكم من أجل خوف الله، «ولأن العبودية كانت ثقيلة على هذا الشعب»، (نحميا ٥:١٤-١٩، قارن ١كورنثوس ٩:٣- ١٨). وعلى هذا فإن شعب الله كان عليهم أن يلتزموا بمتطلبات العهد وبالنداءات التى تحضهم على التمسك بالإيمان والذى تضمنه أقوال الأنبياء. ولكن مراكز النشاط الثلاثة المتتابعة فى هذين السفرين، وهى: الهيكل، الشريعة وأسوار أورشليم، تعطى الأهمية الخاصة لشخصية إسرائيل كالبقية الضئيلة لشعب الله فى عالم غريب، وشعبه الخاص الذى له بين جميع الشعوب، وعلى هذا فإن مجتمعاً كهنوتياً: مدعواً لتقديم العبادة، ليس فقط من خلال الذبائح المادية، وإنما أيضاً بالتراتيل والصلوات والتى من أجلها أعدت وبشكل تام جماعة خاصة للقيام بها (انظر بصفة خاصة نح ١١:١٥- ٢٤). ولقد أصبح فى المقام الثانى «شعب الكتاب» ليس فحسب بمعنى أن شريعة موسى قد وضعت الآن موضع التنفيذ الإلزامى (وبصفة خاصة بالنسبة للزواج المختلط)، ولكن لأنه قد تم تفسير الشريعة وأعطى لها المكان العظيم فى العبادة (قارن عزرا ٧: ١٠، نح ٨:٣ و٨، ٩:٣). وبهذا التأكيد وبالمثل الذى كان عليه عزرا الكاتب، نرى أن دور الكاتب فى إسرائيل كان قد بدأ فى الظهور فى شكله المتطور. أما البذرة الثالثة فى القصة، فتدور حول إعادة بناء الأسوار، والتى يمكن النظر إليها باعتبارها رمزاً لانفصال إسرائيل وافترازها عن سائر الشعوب والأمم، والتعبير المادى للتواصل العقلى، وفيما أن هذا الأمر ليس عادلاً بالكلية، حيث أن الأسوار نُقضت فى حملة للافتراء أو التشويه، وقد أعيد بناؤها بروح الإيمان، فإن الواقع أن نحميا قد استخدمها ليس كوقاء طبيعى فحسب، وإنما بمثابة حجر صحى روحى، للدفاع عن السبت وعدم نقضه (نح ١٣:١٥- ٢٢). ومن الأمور الحقة أيضا أن الانفصال والافتراز قد أخذ صورة حاسمة جديدة كمطلب من مطالب الشريعة: «قد ميزتكم عن الشعوب لتكونوا لى»

(لاويين ٢:٢٦.) ومن هذا اختلف الأمر فى هذا الشأن، ولم يعد مجرد سور للمدينة، وإنما أصبح بمثابة وسيلة كتابية بالحفاظ على تفرد هذا الشعب.

وبالاختصار فإن ما نراه فى عزرا ونحميا هو إسرائيل بعد تنقيته، وأنه الآن يستمد حيويته وطعامه الروحى من مصدره الأصيل الذى طالما تجاهله وهو الشريعة الموسوية، وأنه يبدى الآن آيات هلى اهتمامه المتجدد بالطهارة والنقاء، وذلك من خلال يهوديته المتنامية، والتى نلتقى معها فى ظروفها المتباينة فى العهد الجديد.

جـ : وسائط النعمة

لكى نُبقى على الموضوع فى نطاق حدوده فإننا يجب علينا أن نحصره فى نطاق ثلاثة مجالات متداخلة جزئياً: العبادة والصلاة والكتاب المقدس.

١- وفى نطاق العبادة يمكننا أن نلاحظ وجود التدابير المنظمة لأمورها. لقد أقيم المذبح فى أول فرصة سنحت لإقامته، حتى لا تكون خطية لم يُكفر عنها، أو الاستخفاف بالولاء لله، سبباً فى إضافة عدم رضا السماء عنهم إلى عداوة الناس لهم (لأنه كان عليهم رعبٌ من شعوب الأرض عز ٣:٣). ومهما يكن الأمر فقد بقى الهيكل مهجوراً لسنوات عديدة، أولاً بسبب ما أملته الضرورة، وبعد ذلك بسبب الإهمال، حتى انتهى به الأمر إلى أن أصبح مجرد أنقاض غدت مهانة لله وتحدياً لأنبياءه (حج ١:٤، زك ٤:٩).

وبإتمام بناء الهيكل أصبح مرة أخرى مركزاً مرئياً لإسرائيل، وصار هناك دور معلوم لجيش من الكهنة واللاويين والمغنين والبوابين وخدم الهيكل الذين سارعوا جميعاً للعودة من السبى (عز ٢: ٣٦- ٣٨). ويمكننا أن نحصل من عزرا ٣: ١٠- ١٢، ٦:١٦- ١٨، نحميا ١٢: ٢٧- ٢٩، على بعض الأفكار عن المظهر الخارجى والنشاط الدينى فى المناسبات العظيمة للعبادة، وما كان يصاحبها من الضاربين على الآلات الموسيقية والمغنين والمنشدين للتراتيل الدينية على التناوب، وما يصاحبها من هتافات ابتهاج المصلين أو نوحهم، مع منظر الذبيحة المتوهجة بالنار. وحتى الخدمة الدينية اليومية كان لها بعض هذه المواصفات، وذلك بالنسبة للذبائح الصباحية والمسائية والتى كان يصاحبها فرقة من المنشدين كانت لها قياداتها المعروفة، وكذلك

الذين يجاوبونهم بانشاد التراتيل الدينية (قارن نح ١١: ١٧ و٢٣، ١٢: ٨و ٩ و٢٤). وكانت كل هذه المظاهر تجرى بصورة مكثفة خلال الاحتفالات والمراسم الدينية، والتى كانت تضيف بُعداً حياً للتذكير بأعمال الله الخلاصية، إما بالنسبة لخروف الفصح أو عيد الفطر (عز ٦: ٢٠- ٢٢)، أو بالنسبة لاحتفالهم بعيد المظال الذى تتحول فيه أورشليم إلى المحلة التى تعود إلى زمن الخروج (نح ٨: ١٤- ١٦).

٢- الصلاة: لقد نسجت الصلاة فى بنية هذين السفرين بصورة شاملة. ولقد اتخذت صيغاً متنوعة، من ومضة لحظية للصلاة العقلية إلى خطاب فصيح يصاحبه إحساس بالحاجة إلى التوبة مع بعض الإيحاءات والمظاهر الخارجية كالصوم، ونتف الشعر، وتمزيق الملابس، والبكاء، والانطراح على الأرض (قارن عز ٩:٣، ١٠:١) أو لبس المسوح وتعفير الرأس بالتراب (نح ٩:١)، أما فى مناسبة الفرح والابتهاج فكانت تصاحبه تسابيح الحمد الموسيقى وهتافات الابتهاج، وهو ما سبق لنا أن ألمحنا عاليه فى الفقرة السابقة.

وكان محتوى ومضمون هذه الصلوات يعكس الإيمان الناضج الذى للعهد القديم. ونلاحظ فيها أيضاً إحساساً قوياً بالتاريخ وبالتماسك والتضامن، وهذا لا يظهر فى الأحوال المطمئنة فحسب بفضل الاختيار والعهد وذكرى الفداء (نح ٩:٧-١٥)، بل يظهر أيضاً وبنفس القدر فى حالات المذلة والخزى. فها هو عزرا يحس بالعار والخجل من أجل آثام وخطايا الحاضر والماضى (عز ٩:٦)، على الرغم من أنه لم يكن له أدنى نصيب فى أى منهما، وبالمثل نجد أن الاعتراف التام الذى جرى على لسان نحميا: «قد أخطأنا إليك أيها الرب» سرعان ما نجده يضفى عليه الصفة الشخصية «فإنى أنا وأهل بيتى قد أخطأنا» (نح ١:٦)، ولا يقدّم لذلك أعذاراً. إن الله عادل وبار (عز ٩:١٥، نح ٩:٣٣)، والواقع أن مجازاة الله لهم كانت «أقل من آثامنا» (عز ٩:١٣).

إن هذا الاتضاع الذاتى، فى حد ذاته قد يأخذ صورة سالبة مرضية، ومهما يكن الأمر، فإن نتاج هذين المثلين كان صحياً من وجهتين: فالأمر لم يقتصر على التشدد والتشجع المستمد من الوعود الكتابية ومن إلماحات المحبة الإلهية المستمرة لهم فحسب (نح ١: ٨ و٩، عز ٩:٨ و٩)، بل نجد أيضاً أنه فى كل حالة كان

الاعتراف يؤدى إلى عمل مكلف. فالأصحاح التاسع من سفر عزرا يليه مباشرة الأصحاح العاشر، كما أن الأصحاح الأول من سفر نحميا يقودهم إلى المواجهة مع الملك حتى ولو كان عاقبة ذلك الموت.

ومن حيث أن الصلاة تنظر إلى الأمام. «النجاح .. اليوم» (الآية ١١)، فإننا لابد أن نتوقع أن نحميا كان على معرفة يقينية بما كان يصله حين سمح لنفسه أن يظهر مكتئباً فى حضرة الملك ليجذب انتباهه، وأخيراً نجد أن الأصحاح التاسع من سفر نحميا جاء متضمناً القرارات الإصلاحية المطلوبة لتثبيت العهد.

إن الصلوات التى تتضمن طلبات والتماسات، كانت تتسم بروح التناسب والانسجام مع بعض الأوضاع الواقعية المحددة، تعد بدورها من السمات البارزة الأخرى التى تُميز هذين السفرين. صلاة نحميا الاستهلالية، وعلى نحو ما لاحظناه، تنامت من مجرد الاعتراف والمناشدة (الفترة امتدت لعدة شهور- انظر التعليق على نحميا ٢:١) إلى التماس دقيق ومحدد بإحكام مشيراً إلى «اليوم» و«هذا الرجل» (نح ١:١١).

أما التماسه الثانى فكانت صلاته الموجهة كالسهم والواردة فى نح ٢:٤. إذ لم يكن أمامه فسحة من الوقت للتعبير بالكلمات. ويستبين لنا من ثنايا هذين الملتمسين وعلى نحو واضح دقيق حقيقتين توأمتين هما أن على الإنسان مسئولية أن يصلى على الدوام بمثابرة وبلا ملل، وفكر عميق، واستغراق فى التأمل والمناجاة، ذلك لأن استجابة الله لصلواتنا لا تعتمد على العبادات المنمقة أو ما تتضمنه من اقتراحات. وتقدم لنا صلوات الضراعة الأخرى نفس هذا الانطباع . فمن ناحية نجد أن عزرا أثناء مرافقته الجماعة التى يُعدّها لرحلة العودة إلى الوطن من بابل، لم يسمح إطلاقاً أن تكون صلاته روتينية تعوزها الحماسة: وناديت هناك بصوم على نهر أهوا لكى تتذلّل أمام إلهنا لنطلب منه طريقاً مستقيمة لنا ولأطفالنا ولكل ما لنا، (عز ٨:٢١). ومن ناحية أخرى كانت هناك فترات لا تسمح سوى بقليل من الكلمات: «اذكروا السيد.. وحاربوا » أو «والآن.. شدّ يديَّ» (نح ٤:١٤، ٦:٩). إن فصاحة هذه الصلوات كانت فى إيجازها الدقيق.

وهذا يقودنا أخيراً إلى الكلمات الجادة لنحميا، والتي هي في معظم الأحوال «اذكرني..» (نح ٥:١٩، ١٣:١٤ و ٢٢ و ٣١). وأحياناً ما تكون «اذكرهم» أي الأعداء الذين أقسموا على معاداته والانهزاميين والخونة (نح ٦:١٤، ١٣:٢٩)، وفي إحدى المناسبات تحولت صلاته ضد هؤلاء الأعداء إلى لعنة «ردّ تعييرهم على رؤوسهم.. ولا تستر ذنوبهم» (نح ٤:٤ و٥). إن الصلة بين هذه الصلوات وبعض المزامير قد تُعطينا مفتاح هذين النوعين من التعجب من الناحيتين الإيجابية والسلبية. إن نحميا يضع نفسه وأعداءه تحت تصرّف حكم الله. وبكلمات أخرى إنه ينظر إلى ما وراء النجاح أو الفشل، بل إنه ينظر إلى ما وراء الإجراءات التي يتخذها، بل والتي عليه أن يتخذها ضد المقاومين، وكذلك إلى ما وراء حكم التاريخ. إن توقّعه واشتياقه هو أن يكون الله على أتم استعداد للعمل معهم ومساعدتهم، وفوق كل شئ أن يرى الله أن كل ما عملوه «حسن جداً» كل هذا كان توجيه نحميا في صلواته وتضرعاته إلى الله. ومن هنا فليس عجباً أن يختتم سفره بهذه الصلاة «اذكرني يا إلهي».

٣- الكتاب المقدس: وعلى وجه التحديد شريعة موسى، هو الوسيط الثالث الهام للنعمة في سفري عزرا - نحميا. والواقع أنه كانت هناك إشارات إلى أجزاء أخرى من الكتاب المقدس، فالقصة الكاملة تستهل باتمام تحقيق نبوة إرميا، ثم ما نلبث أن يتطرّق إلى أسماعنا كلمات من أحد المزامير (عز ٣:١١)، إلاّ أن القوة الدافعة والمسيطرة على السفرين هي الشريعة.

وسوف نناقش في موضوع آخر تلك النظرية التي يدين بها الكثيرون، وهي أن هذا المؤشر الفعّال يرجع إلى حد ما إلى شئ جديد وهو: أن عزرا قدِم من بابل ومعه الأسفار الخمسة بصورة أوسع وأشمل مما كان معروفاً من قبل، وذلك بفضل عمل الكهنة ودارسي الكتاب المقدس الذين على شاكلته، والذين (كما يُقال) قاموا بجمع وإعادة صياغة الشرائع والتقاليد المستمدة من مراكز متنوعة في إسرائيل ثم دمجها جميعاً في الأسفار التي كانت معروفة في ذلك الوقت، حيث نسبوا إلى موسى حشداً من المواد والتي تنامت منذ زمنه، والتي كان يظن أنها تمثل تعليمه أو الصورة القانونية أو الشرعية التي تطور إليها. وإنني لست من المنحازين لهذه النظرية، كما

(أننى أرى) أن الحاجة إليها لتفسر لنا السمات التى ميزت سفرى عزرا ونحميا موضوع بحثنا. وبينما يمكن للمعلومات والحقائق والبيانات المتوافرة لدينا أن تفسر على امتداد سطور الفقرة الأخيرة، فإنه فى الإمكان أيضاً تقديم تفسير لها فى ضوء سفر ملاخى، الذى يقدم لنا صورة توضيح معالم المسرح الدينى الذى كان على المصلحين الدينيين مواجهته. والذى يمكن اعتباره بوجه عام منتمياً إلى هذه الفترة المعاصرة لها. لقد كان موقفاً استدعى الإجراءات التى اتخذها، وكان السبب الرئيسى لها هو فشل الكهنة فى تعليم الشريعة. إن التأثير العظيم لسفر شريعة عزرا يمكن مقارنته من حيث السبب الداعى إليه والتأثير الذى أحدثه بذلك الذى كان للكتاب المقدس فى زمن الاصلاح الدينى والذى استمد تأثيره ليس من جدّته، بل بتعبير أدق لقدمه وإعادة استكشافه، وتقديمه للشعب وتقسيمه وشرحه لجموعهم، واعتباره مصدراً موثوقاً به. ومنه تصدر الأحكام على الكهنة أنفسهم (قارن عزرا ٩:١- ٣، ١٠:١-٣؛ نح ٨:١-٣).

وهناك قصة أبوكريفية وردت فى إسدارس الثانى الأصحاح ١٤ تعتبر عزرا موسى الثانى، سامعاً صوت الله من عليقة، ومتسلماً منه الأمر الذى يُوجب عليه أن يدون فى مدى أربعين يوماً، بمعاونة خمسة من الكتبة، تسعة وأربعين سفراً خلال هذه المدة، والتى من بينها أربعة وعشرون سفراً (أى أسفار العهد القديم بحسب عددها الذى تقول به التقاليد) يجب أن يُعرَف بها تماماً، فى حين يظل الباقى فى طى الكتمان. إن هذه المبالغة التى يُصورها هذا الخيال الجامح، هى التى دفعت عزرا إلى أن يعطى لليهودية توجهها الجديد إلى الأسفار المقدسة. وعلى هذا النحو قدمها إلى الشعب. وأخيراً بدأ أخذ ما جاء فى تثنية ٦:٦ بطريقة جدية. حتى صارت الكتب المقدسة مرجعاً يجب دراسته ولم تعد قاصرة علي الكتبة أو تقرأ للتعليق عليها فقط (مرقس ٧:١-١٣، لوقا ١١:٥٢؛ يوحنا ٥:٣٩). وفى نفس الوقت، ومهما يكن الأمر فإن عزرا قدم مثالاً كان الأمر فى مسيس الحاجة إليه للأسلوب الصحيح الذى يتحتم على المتخصصين والخبراء فى الكتاب المقدس أن ينتهجوه، والذى تلخصه كلمات عزرا الشهيرة فى ٧: ١٠ والتى سارت فيها الدراسة المكرسة جنباً إلى جنب مع الطاعة الشخصية والتعليم. وحقيقة أن التوراة، بكل ما لها من قوة تشريعية، كانت بالنسبة

إليه أكثر من مجرد نص ناموسى، عبّر عنها بكلمة تكشف هذه الحقيقة وردت فى عز ٧:٢٥ (قارن ٧:١٤): «حكمة إلهك التى بيدك». ومع أن هذه كانت عبارة الملك الفارسى إلا أنه يجب ألا يساورنا شك فى أنها كانت تعكس موقف عزرا.

وعلى هذا فإننا نرى أن الكتاب فى هذين السفرين هو الشريعة التى يتحتم إطاعتها وعلينا أن نتقبلها باعتبارها إعلان إلهى، كما أنه علينا اعتبارها أيضاً كوعود وتحذيرات تدفع إلى الصلاة والعمل. ويتأكد مظهر السفر باعتباره الشريعة فى هذه العبارة: «الذين يخشون الوصية» (عز ١٠:٣ قارن ٩:٤؛ ١٠:٩). وكذلك من خلال الوداع الإنسانى والدينى، والذى يدعم ذلك (عز ٨:٢٦، ٩:١٤). والكتاب كإعلان إلهى كان يتحتم قراءته بوضوح وعلانية، (وللوقوف على ما يتضمنه هذا الأمر انظر التعليق على نح ٨:٨). أفهموا الشعب الشريعة... ببيان وفسّروا المعنى وأفهموهم القراءة (نح ٨:٧ و٨)- ولقد كان هناك فريق من المعلمين كان من واجبهم التأكد من ذلك. وبالإضافة إلى هذا قامت جماعة من العلمانيين الكهنة بدراسة الشريعة بصورة يمكن أن نصفها بأنها عبارة عن حلقة دراسية (نح ٨:١٣). أما كون السفر كعادة للصلاة والعمل، فإننا يمكننا أن نقف على استخدامه على هذا النحو فى اعترافات عزرا فى الأصحاح التاسع ونحميا فى الأصحاح التاسع أيضاً. ومدى ما أحسوه من سعادة بتذكيرهم الموثوق فيه برحمة الله فى هذين الأصحاحين وأيضاً فى الأصحاح الأول من سفر نحميا. وإننا لنجد فى هذا الأصحاح الأخير، وهو الأصحاح الأول من نحميا كما ذكرنا، وبصفة خاصة الصيغة المقتبسة الوعود القديمة والتى على أساسها ناشد نحميا الله.

ومن هنا يظهر الكتاب المقدس كوسيط من وسائط النعمة والتى وإن كانت لا تحل محل أى من الوسائط الأخرى كالعبادة والصلاة الخاصة (بل إنه بالأحرى يفيض عليها بغنىً ويمدها بما تحتاج إليه من معرفة)، إلا أنه على الرغم من ذلك وصل إلى مكانة جديدة فى هذا الوقت. هذه المكانة التى ستلازمه إلى الأبد.

سفر عزرا

عزرا أصحاحات ١ - ٦
هيكل يُقام من بين أطلاله

على الرغم من أن هذا السفر يحمل سفر عزرا، إلا أن الجزء الأكبر منه يروى لنا أخبار الروّاد الأوائل الذين رجعوا من السبى إلى أورشليم منذ فترة طويلة قبل ظهور عزرا. إننا لن نلتقى بعزرا حتى الأصحاح السابع. وعندها، سيكون قد مضت ثمانون عاماً من الاستقرار فى هذا البلد القديم، نلقاه وقد أتى إليه يحمل علم الإصلاح الدينى وتدعيم أركان المجتمع وإقامته على أسس مستقرة ثابتة، وليس كبانٍ للهيكل كشأن سلفه زربابل، وأيضاً ليس كمعيد لبناء أسوار المدينة شأن معاصره الأصغر منه سناً نحميا.

وحينئذ، فإن أول ما نقرأه فى الأصحاحات الستة الأولى من هذا السفر، هو ما كان فى انتظار العائدين الأوائل إلى الوطن من بابل. وكيف حاولوا أن ينهضوا بأعباء المهمة التى وُكلت إليهم لبناء هيكل جديد، والمقاومات التى صادفتهم من المستوطنين المحليين، الأمر الذى اضطروا معه إلى التخلى عن محاولتهم قرابة عشرين عاماً، وكيف أنهم فى آخر الآمر وحّدوا صفوفهم وانتهى بهم الأمر إلى إتمام بناء الهيكل. على الرغم من التهديدات والمناورات السياسية. لقد تحدّوا التهديدات. إلا أن المناورات السياسية كانت تحمل فى ثناياها عوامل فشلها. وقد انتهى هذا الجزء من القصة وقد غمر الجميع شعور بالفرح والابتهاج.

إن أكثر من نصف قرن تفصل ما بين الذروة الأولى وأحداث الأصحاح السابع، إلا أن استطراداً مبكراً (٦:٤-٢٣) سوف يملأ الصورة التى أمامنا بالقدر الكافى ليبين لنا كيف أن اليهود فى أثناء ذلك استمروا يقابلون بعداوة مريرة من جيرانهم، وذلك لإعدادنا لتفهم فاتحة سفر نحميا التى تتحدث عن الخراب والدمار. وبغض النظر عن تلك الدلالة المنذرة، فإن مجموعة الأصحاحات التى نحن بصددها (عزرا ١-٦)،

تغطى جيلاً واحداً (٥٣٨- ٥١٦ ق.م.) وتهتم بعمل واحد عظيم ألا وهو إعادة بناء بيت الرب، وهو موضوع يشترك فيه اثنان من الأنبياء المعاصرين فى ذلك الحين، وهما : حجى وزكريا.

عزرا الأصحاح الأول
الحرية !

أعداد ١ – ٤ كلمة من لدن الملك:

العدد ١ : هذه الآية الاستهلالية تتميز بالصلابة والعمق وهما من السمات البارزة للتاريخ الكتابى المقدس، حيث نرى الاهتمام بالتفصيلات الخارجية للحدث وفى الكشف عن معانيه الداخلية. والحدث هنا مؤرَّخ (٥٣٨ ق.م.)، ويمكن أن يتخذ له مكاناً بين السياسات الجديدة التى نبعت من سقوط إحدى الإمبراطوريات وقيام أخرى. ولكن فى حين كانت لدى كورش أسبابه الوجيهة الخاصة التى تتناسب مع ما فعله، إلاّ أن الربَّ كانت له أيضاً أسبابه ودوافعه، على النحو الذى ألفناه على الدوام والتى تتمثل فى العناية الإلهية التى يشمل بها شعبه (انظر: تك ٥٠:٢٠؛ إش ٥:١-٧؛ أع ٢:٢٣؛ ٣:١٧ و١٨؛ ٤: ٢٧ و٢٨، ١٣:٢٧)، وهى الأمور التى تُمثل لبَّ الموضوع، ومفتاح أحداث المستقبل.

إننا نعلم أن الرب هو الذى نبه روح كورش لكى يعمل، كما أنه أيضاً قد نبّه روح جماعة من المسبيين للاستجابة (الآية ٥). إنه هو نفس الربّ، والذى يجهله كورش، هو الذى نبّه روح هذا الملك [انظر إشعياء ٤١:٢٥؛ ٤٥:١٣ حيث استخدم نفس هذه الكلمة العبرانية. وانظر أيضاً إش ٤٤:٢٨-٤٥:٧ للوقوف على كيفية تحقيق الملك كورش للدور الذى أعدّه له الرب للقيام به]. لقد نبّه الرب روح كورش منذ سنوات مضت، ليبدأ سيرته عبر العالم، ومهّد له الطريق ليحُرز انتصاره، لكى ينفذ دون أن يدرى العمل الذى قصده الرب. إن العمل الأعظم والذى كان على العكس تماماً من مفهوم البشر، لم يكن إقامة إمبراطورية عظيمة، وإنما هو كما قال الرب: «يبنى مدينتي ويطلق سبيي» (إش ٤٥:١٣). وأكثر من هذا ، فإن الله أعطى كلمته ليهوذا، أن السبى سوف ينتهى بانقضاء سبعين سنة. وأنه بحسب قوله: «لأعطيكم آخرة ورجاء» (إرمياء ٢٥:١٢ و١٣؛ ٢٩ :١٠ و١١). [(١)]

---

(١) تذكر دانيال هذا الأمر وصلى لأجل تحقيقه وقد كافأه الله برؤيا من هذا النوع تكررت على نطاق أوسع وبنهاية حاسمة (دا ٩:٢ و٢٤ وما بعدها) ولقد حدث أيضاً سنة ٥٢٠ ق.م. أن انتهى السبى البابلى. ولكن الهيكل لم يكن قد بُنى بعد. ويسمع زكريا الملاك يتضرع من أجل نهاية السبعين سنة من الغضب الإلهى وقد جاء الوعد «فيبنى بيتى فيها» زك ١:١٢ - ١٧.

ولكن الله كان أكثر صلاحاً من الكلمة التى أصدرها. حيث أنه بالكاد قد انقضت خمسون سنة منذ سنة ٥٨٧ ق.م. وهى السنة التى سقطت فيها أورشليم، وكانت عملية سبى قد سبقت ذلك (٥٩٧)، وثمة عملية رمزية تعود إلى عام ٦٠٥ ق.م. (٢ مل ٢٤: ١٠-١٧، دا ١: ١ - ٣)، إلا أن أطول هذه الفقرات لم تأت إبان السبعين سنة. ولم تكن هذه هى المرة الأخيرة التى تُقصر فيها رحمة الله مدة التجربة (متى ٢٤: ٢٢).

وهكذا أصدر كورش نداءه، إن هذا النداء (لو أخذ النموذج المألوف) يكون بطواف رسل الملك فى مدن الإمبراطورية الرئيسية والهامة، بل إنه قد يُلصق أيضاً على اللوحات الإعلانية. إلا أنه سواء كان ذلك ما حدث أم لا، إلا أن الجماهير عرفت ذلك، وكانت محفوظة فى السجلات مع غيرها من التفصيلات الإدارية اللازمة لكى يأخذ هذا النداء طريقه إلى التنفيذ الكلى. أما الأهمية التى لهذا الأمر، فلسوف تظهر فيما بعد انقضاء عشرين سنة وذلك ضمن أحداث الأصحاح السادس.

العددان ٢و٣: وتُلقى لنا اسطوانة كورش ضوءاً هاماً على هذا المرسوم الإمبراطورى. وتحدثنا النقوش عن ولاء كورش لمردوخ الإله الرئيسى لبابل، واحترامه لآلهة رعاياه. وفى الوقت الذى عامل فيه أسلافه تماثيل هذه الآلهة كغنيمة وكنصب تذكارية، إلا أنه أعادها إلى مدنها المقدسة وأعاد بناء معابدها، وأعاد توطين عبّادها فى مواطنهم الأصلية، ولذلك عبّر الملك كورش عن أمله أن تصلي هذه الآلهة يومياً من أجله إلى آلهة بابل: بيل Bel ونبو Nebo ، وعلى رأسهم جميعاً الإله مردوخ. وتأسيساً على وجهة نظره فإن إعادة بناء بيت الله فى أورشليم، لم تكن إلا مثالاً واحداً من سياسة ثابتة. ولقد تبعه أكثر من واحد من أسلافه فى هذه السياسة الدينية السليمة. إن الولاء للرب والذى نراه فى الآية الثانية، وإن يكن فى واقعه أسلوباً دبلوماسياً مؤدباً لكنه كان يدل على الاخلاص فى نفس الوقت. لقد كان من الضرورى أن يوضع هذا المرسوم فى إطاره الصحيح بالنسبة لكل مجموعة من الراجعين إلى الوطن، أما «إله السماء» فكان هو الاسم الذى يصف به اليهود إلههم. وأكثر من ذلك فإنه بالنسبة لملك مثل كورش يؤمن بتعدد الآلهة، يفصح عن تعاطف جميع الآلهة الذين أرادوا له هذا النصر العظيم، ومن ثم فمن واجبه أن يُقدم لهم، كل

بدوره، وفى نطاق الإطار الذى يرتضيه، الشكر العميق على معروفه.

وبحسب المؤرخ اليهودى يوسيفوس (الآثار ٦:١١)، نعرف أنه عرض على كورش نبوة إشعياء ٤٤:٢٨، التى ورد فيها اسمه [1]. وكان تواقاً إلى تحقيقها. وإن كان هذا الأمر ليس مستحيلاً، فإنه ليس هناك ما يُعززه، كما أن النقش الخاص بكورش نفسه يبين أنه مهما كانت معرفة كورش بالرب فقد كانت فى أفضل الأحوال إذ أن ما جاء فى إش ٤٥: ٥-٦ يؤكد على أن معرفة الرب تتضمن ألا يُعترف بأى إله آخر سواه.

عدد ٤: وبالنسبة لأى يهودى ورعٍ وتقىٍّ، نجد هنا تعبيران يسرعان بشد انتباهه. وأولها كلمة «بقى»، وهى فى العبرية تذكرنا بالرسالة التى كان إشعياء يُلح عليها أن بقية ستعود (قارن إشعياء ١٠: ٢٠- ٢٢). أما الكلمة الأخرى فكانت صدى لما جاء فى سفر الخروج، فى دعوة اليهود المتغربين جيرانهم بأن ينجدوهم «بفضة وذهب» وبعطايا أخرى وهم فى طريق عودتهم وهو نفس ما فعله المصريون منذ قرون مضت (خر ١٢: ٣٠- ٣٦). وفى هذا ما يتوافق مع إشعياء عن خروج ثان (إش ٤٣:١٤-١٦؛ ٤٨: ٢٠ و٢١ الخ)، والذى ارتفع بالعمل كله إلى أعلى مستوى.

وإلى جانب هذه العطايا التطوعية، قُدمت لهم دفعات مالية من الخزانة الملكية كما أفرج الملك كورش عن آنية بيت الرب التى أخذها نبوخذ نصر وجعلها فى بيت إلهه، وهذه دُوِّنت فى وثيقة خاصة حفظت فى دار السجلات الملكية. ولقد لعب هذا التسجيل دوراً حيوياً فى الأزمة التى نشبت بعد ذلك، حسب ما رواه الأصحاح السادس، كما يمثل الإفراج عن آنية الهيكل ذروة هذا الأصحاح الذى نعرض له الآن.

---

(١) يرى بيكرمان أنه من المحتمل جداً أن اليهود قاموا بعرض هذا الجزء على كورش. فمن غير المحتمل أن لا يشير اليهود إلى هذه النبوة عند تقدمهم إلى كورش، كما أنه لا يطرح جانباً هذا الصوت الإلهى. لذا فقد يكون يوسيفوس على حق فيما قاله.

أعداد ٥ - ١١: كنوز لأورشليم :

عدد ٥ : بعد انقضاء قرابة مائتى عام على تحطم مملكة إسرائيل، فإن بقايا مملكة يهوذا الصغيرة والتى ضمّت على الدوام بعض أفراد من الأسباط الأخرى (قارن ٢ أى ١١:١-٤ و١٣-١٦). بقيت متماسكة إلى حد ما وصار لها الحق فى أن تحمل اسم إسرائيل (قارن عز ١: ٣ب؛ ٢:٢ب). والآن فإن الرب، كما لو كان يريد أن يؤكد على أنه ليس الإله الذى يحتاج إلى الجماعات الكبيرة (قارن زكريا ٤: ٦ و١٠)، يستثير بقية من هذه البقية وينبّه روحها إلى العمل. إن هذا التخفيض للأعداد والقوات، كان على الدوام منذ العهد الذى كانت فيه الملكية فى أوج مجدها وذروة قوتها، فيه تذكير لنا بالطريقة التى تعامل بها الله مع جيش جدعون، وبعد ذلك جموع الجليل اليهودية. ولكن التأكيد الأكثر وضوحاً هو على كلمة «نبّه» والتى هى صدى لما قيل عن كورش فى الآية الأولى، للمضاعفة من وضوح الأمر فى أن هذا العمل هو من الرب. وإلا وعلى نحو ما يعرضه لنا المزمور ١٢٧، فباطلاً يكون عمل البنائين والحراس.

عدد ٦ : وفيما يتعلق بصدى قصة الخروج هنا أنظر التعليق على الآية ٤. لأنه فى الآية الرابعة نجد توضيحاً لعبارة كل ما تبرّع به حيث تشير إلى العطايا التى قُدمت من أجل الهيكل نفسه، أما باقى العطايا فمن الواضح أنها كانت للمغتربين. ولم يكن هناك ما يدعو إلى عدم قبولهم لمثل هذه الأموال من غير المؤمنين، بل بالأحرى، وكما قد يشير إليه ما جاء فى حجى ٢:٧ و٨، فمن حيث أن ثروات الأمم هى جميعها ملك الرب، فإن من حقه أيضاً أن يجعلها تحت تصرف شعبه [١].

عدد ٧ : ونظراً لأنه لم يكن لإسرائيل تماثيل شأن غيرها من الأمم الوثنية (انظر التعليق على الآيات ٢-٤)، فإن آنية بيت الرب أو أدواته (الكلمة هنا عامة إلى حد

---

(١) وهذا يختلف فى حالة ما إذا كانت العطايا مقدمة نتيجة ممارسات شائنة (تث ١٨:٢٣) أو إن قُدمت بهدف اعطاء امتياز خاص باعتباره الولى أو الراعى.

بعيد، من الواضح أنها جاءت بديلاً عنها. إن الأمر المكتوب لرجوعهم، ولإعادة بناء الهيكل على نفقة الملك، محفوظ فى ٦:١- ٥.

عدد ٨ : ونقف من أسمى الموظفين الفارسيين عن لمحة من الادماج بين النظامين الجديد والقديم، إن مثرداث Mithredath هو اسم فارسى يعطى على شرف الإله متراس Mithras إله الشمس، ويعنى (متراس قد أعطى) [1] وكلمة «الخازن» التى تصفه هى أيضاً فارسية. ومن الناحية الأخرى نجد أن اسم شيشبصر يحتمل أن تكون له علاقة باسم إله الشمس عند مملكة بابل والتى قهرها الملك الفارسى. ومن الأفضل أن نصف شيشبصر «بالرئيس» أو الحاكم (على نحو ما جاء فى الترجمة الإنجليزية الجديدة للكتاب المقدس NEB) من أن ندعوه بالأمير، ذلك أن الكلمة العبرانية لا تحمل أية سمة من السمات التى تدل على انحداره من أصل ملكى. ولسوف نناقش مسألة هويته فى الملحق الثانى فى الملحق: وهناك رأى يقول إن شيشبصّر هو الاسم الثانى لزربابل، والمستخدم فى كل التعاملات مع السلطات الحاكمة (قارن التسميات الأخرى، ومثالها فى ٢ مل ٢٤:١٧؛ دانيال ١:٧). وربما كان شيشبصّر وزربابل بالتبادل هما الزعيمان لهذا العمل، أحدهما هو الزعيم الرسمى والآخر هو الزعيم غير الرسمى. وكل من هذين الرأيين تقف فى مواجهته كثير من الصعوبات.

أعداد ٩ - ١١ : ومن خلال قائمة الجرد الواقعية (والمشاكل المتعلقة بالنص الناجمة عنها- انظر الملاحظة الإضافية التى سنقدّمها). تُرك لنا أن نتصور ما تعنيه أن ترى النور ثانية قطع من الذهب والفضة المكرسة لبيت الله، والتى حفظتها العناية الإلهية إلى هذا اليوم، كدليل على أمانة الله لعهده مع إسرائيل وعلى سيادة الله المطلقة على مجريات الأحداث التاريخية واستمرارية العهد. لقد زالت المملكة السياسية، ولكن بقيت المملكة الكهنوتية. وطريقة نقل هذه الأوانى والمعدّات وعدّها وتسليمها من خازن إلى آخر (الآية ٨) كانت فى ظاهرها عملية مملة، إلا أنها فى

---

(١) ذكر ميثرداث أيضاً فى عز ٧:٤. وقد كان اسماً معروفاً، كما كان اسمه اليونانى ميثروات أكثر شهرة.

الواقع كانت ذات أهمية بالغة. والعبارة الختامية لهذا الأصحاح: «من بابل إلى أورشليم تمثل إحدى نقط التحول الهامة فى التاريخ.

ملاحظات إضافية عن قائمة الأوانى (١:٩ - ١١) يوجد غموض فى المفردات المستخدمة فى النص والأعداد التى ذكرت به. فالطسوت لفظة دخيلة، وهى حقيقة قد تدفعنا إلى القول بأن كاتب السفر استخدم قائمة جرد جمّعها أجنبى لعله الدرج المذكور فى (الأصحاح ٦:١ - ٣). المباخر (قارن اسدراس الأول ٢: ١٣). وهى إحدى التخمينات العديدة للكلمة العبرية mahalapim وفى الترجمة الإنجليزية المنقحة Rv استخدمت لفظة سكاكين، فى حين استخدمت فى الترجمة السبعينية غيارات الملابس أى (ثياب الكهنة). ولا يبدو أن اللفظة مشتقة من كلمة عبرية بمعنى يُغير أو يُبدل ، ولكن من المحتمل أن تعنى إما ثياباً بديلة أو متنوعة (قارن الترجمة الإنجليزية الجديدة NEB).

أما مشكلة الأعداد فترجع إلى أنه فى النص العبرانى والذى تدعمه الترجمة السبعينية نجد أن مجموع الأشياء الأخرى يكاد يصل إلى أقل من نصف المجموع الكلى للأرقام المسجلة. ومن هنا وجدنا الترجمة الإنجليزية المنقحة RSV (بخلاف الترجمات الأخرى) تتبع الأعداد الدقيقة التى جاءت فى إسدراس الأول ٢: ١٣ و١٤ (انظر هامش RSV للتفصيلات). ودفاعاً عن النص العبرى يتحتم على الفرد القول بأن المفردات المذكورة إنما هى نخبة للأدوات والأوانى، ولكن الآية ١٠ ب جاء بها: «وألف من آنية أخرى». وهو الأمر الذى يجعلنا نولى اهتماماً بالباقى. ومن هنا قد يبدو أنه إما أننا لم نفهم المجموع الكلى (إذا كانت العلامات قد استخدمت عوضاً عن الأرقام)، أو أن الأعداد قد نُسخت خطأً. وربما كان هناك ما يشير إلى حدوث تلف فى النص العبرانى فيما يخص لفظة Misnim (فى الآية العاشرة) والتى معناها العادى إما « ضعف» أو « الثانى». إلا أن هذا الأمر ليس بالضرورة مناسباً فى هذه الحالة. على أن الكثيرين يظنون أن الأعداد المذكورة فى قائمة جرد الأوانى هى عن بقية العدّ. أما إسدراس الأول ٢ :١٣ فهو ما استخدمته الترجمة المنقحة

RSV ، حيث ذكر «ألفان» بالنسبة لهذه النقطة. وهذه مجرد تخمينات، إلا أن قلة من الشراح يشكّون فى كون الكاتب كان يستمد معلوماته من قائمة موجودة بالفعل، والتى تدلّ نسختها الأصلية على سلامة أعداد الأوانى الخاصة بهيكل أورشليم والتى تم تسليمها [1].

---

(١) يبدو من ٢ مل ٢٤ : ١٣ ب أنه لم يُترك أي إناء سليماً سنة ٥٨٧ ق.م. لكن فى دا ١: ٢ وما بعده ومن النص الذى ندرسه يتضح أن ما كُسر هو الأوانى الكبيرة فقط التى لم يكن نقلها سليمة.

الأصحاح الثانى
(المسبيون)

هذا الأصحاح وإن كان يبدو غير جذاب، إلا أنه أثر باق يُذكّرنا بعناية الله وبحيوية إسرائيل. إن آلاف العائدين من السبى إلى الوطن لم يكونوا على هيئة كتلة متراصة معاً، ولكن تجمعهم (بحسب النمط الذى يتميّز به الأسلوب الكتابى) كان مرتبطاً بالصلات العشائرية والمحلية التى تطبع المجتمع بالسمة الإنسانية وتوّجه أفراده. وهذا هو منهج الله «مُسكِن المتوحدين فى بيت» (مزمور ٦٨:٦). أما بالنسبة للشعب ذاته فإنهم كانوا وما يزالون يحملون بين جوانحهم وفى ثنايا صدورهم ذكريات الأماكن التى سبق لهم أن عاشوا فيها، وما كان لهم فيها من علاقات وارتباطات، وذلك على الرغم من انقضاء جيلين عليهم فى السبى، وهذا ما يوضح لنا أنهم يرفضون أن يُسلب منهم ماضيهم أو أن يسدل ستار على مستقبلهم.

تلك كانت الأجزاء الحية من إسرائيل، بأصولها وجذورها وبكل ما لها، والتى كان من المحتم إعادة غرسها فى وطنها. ولكن الدافع الرئيسى لهذا التجمّع البشرى المنتخب، لم يكن اجتماعياً بل دينياً. هذه هى الأمة المقدسة، وقد أتيحت لها الآن الفرصة لأن تحيا بحسب دعوتها. ولا يجب أن يكون هناك أى شئ عرضى فى استعداداتها. وإذا كان الأمر بالنسبة للكهنة يتضمن اثباتهم لنسبهم الكهنوتى (٦١- ٦٣)، فإن هذا الأمر كان أيضاً لازماً بالنسبة لكل فرد من أفراد هذا المجتمع العائد إلى وطنه (٥٩ و٦٠)، فإما أن يكون إسرائيلياً بحسب المولد أو عضواً فى بيت إسرائيل (٦٥) أو عضواً فى إحدى الطوائف (قارن ٤٣ - ٥٨)، وأيضاً (وبحسب ما عرفناه بعد ذلك من ٦ : ٢١) أن يكون دخيلاً اعتنق الديانة اليهودية. لقد كان أمراً ليس متعلقاً بالتراث القديم لهذا الشعب الذى دفع نحميا بعد حوالى مائة سنة، أن يقدم لنا تلك القائمة الطويلة المحصة للمجتمع الذى أعاد تكوينه وأن يُعيد كتابتها ثانية فى مذكراته وفى سيرته (نح ٧: ٥- ٧٣).

وتعرض لنا الفقرات الأخيرة من الأصحاح الثانى مظهراً آخر للحيوية الإسرائيلية (٦٨ و٦٩) ولمحة أخرى من بنية المجتمع الذى تألف من مكونات متنوعة متميزة (٧٠) وتمركزهم وتوحدهم حول إلههم كرجل واحد (٣:١).

العددان ١ و٢ أ : القادة :

تُرينا عناوين الأقسام المذكورة أدناه، التنظيم الدقيق للرواية المذكورة عن هؤلاء الذين يتكون منهم المجتمع الجديد من حيث مكوّناته كجماعات، كل جماعة منها على حدة، في مسيرة عودتهم من المنفى إلى وطنهم. وللوقوف على الأهمية الخاصة لهذا الأصحاح، علينا الرجوع إلى الفقرة السابقة، أما الملاحظات التى سوف نعرضها هنا فهى عن نقاط صغرى من التفصيلات.

عدد ١ : الكورة أو المدينة، والمقصود بها هنا يهوذا، وهى مقاطعة صغيرة فى القطاع الإدارى الكبير المعروف باسم ما وراء النهر أى سورية وفلسطين (أنظر التعليق على الآية ٤ : ١٠). وربما تكون يهوذا قد اقتطعت من الأقاليم المتاخمة وأعطيت حديثاً هوية خاصة بها - ذلك أن شيشبصر كان قادماً إليها كحاكم (قارن ٥ : ١٤). وإذا كان الأمر على هذا النحو، فإن مشاعر غضب الحكام بسبب اقتطاع جزء من مناطق نفوذهم ساعدت على ظهور النغمة العدوانية التى تبنوها هم وخلفاؤهم. وعلى المستوى المحلى نجد أن استخدام اسم الجمع «المسبيين» وبالعبرانية gola قد أصبح مع الوقت مدعاة للاستياء وإثارة المشاعر، إذ أنه ميز الجماعة التى اجتازت ضروباً من المحن فى بابل، عن الجمهور المشكوك فيه الذى هرب من عملية التطهير.

عدد ٢ أ : نحن هنا أمام قائمة بأسماء أحد عشر شخصاً. أما القائمة التى فى سفر نحميا فإنها تضم فرداً زائداً هو نحمانى فى (نح ٧: ٧) والذى من الواضح أنه قد سقط من هذه الآية خلال عملية النسخ. واختيار الاثنى عشر، شأنه فى ذلك شأن اختيار يسوع للاثنى عشر رسولاً، كان إعلاناً ضمنياً على أن المجتمع الذى يتولون قيادته لم يعد مجرد بقية أو شظية من شعب، ولكن هو تجسيد «لشعب إسرائيل» (لاحظ الكلمات الأخيرة من هذه الآية) والوارث المشترك للوعود. قارن ما يذكرنا بقصة الخروج فى الملاحظة على الآية ٤:١ وتقديم الجماعة العائدة لاثنى عشر ثوراً

كمحرقات فى كل إسرائيل (عز ٨: ٣٥). «زربابل» حفيد الملك يهوياكين [١] ومن الطبيعى أن يكون هو القائد أو الزعيم لمثل هذه الجماعة، سواء أكان ذلك من الناحية الرسمية أو غير الرسمية. وكوارث لشألتئيل، يصبح الأول فى النسل الملكى من حيث وراثة العرش. ومن المؤكد رسمياً فى زمن النبى حجى (حج ١ :١) أن زربابل هو القائد والزعيم الرسمى لهذه الجماعة العائدة. أما من حيث صلته بشيشبصر يلزم الرجوع إلى الملحق الثانى، يهوشع (يشوع) رئيس الكهنة (زكريا ٣:١) والذى اسمه فى اليونانية (يسوع) أو يهوشع فى سفرى حجى وزكريا. وهو القائد المرافق لزربابل. وفى الواقع كانت المشاركة فيما بينهما لصيغة رأى فيها زكريا رمزاً للنظام الكامل الذى سيأتى، حينما يتحد الكهنوت والملك فى شخص واحد: «الرجل الغصن اسمه»، (انظر زكريا ٦: ١١ - ١٣) وهى ترجمة صحيحة للنص العبرى. وتبدو بعض الأسماء المتبقية مألوفة لدينا، إلا أن الزمن والمكان يستبعدان تحديد هويتهما بالشخصيتين المشهورتين نحميا أو مردخاى، أو مع سرايا والد عزرا، أو بغواى الوارد فى نح ١٠ : ١٦، ويوجد رجل آخر يحمل نفس الاسم، مع اختلاف فى النهجية، وهو بغواس حاكم يهوذا حوالى سنة ٤١٠ ق.م. والمذكور فى برديات الفنتين. ومـــن الملاحـظ أن مثل هذه الأسماء كانت شائعة فى ذلك الحين [٢].

---

(١) ويُعرف بأنه ابن شألتيئل (٣: ٢) وهو الابن الأكبر ليهوياكين. لكن النص العبرى للآية الموجودة فى ١ أخ ٣ : ١٩ يذكر زربابل على أنه ابن فدايا وهو الأخ الأصغر لشألتئيل. فإن كان الأمر كذلك فهذا يدل على زواج فدايا من أرملة شألتئيل أخيه بحسب الشريعة، وبذا سمى الابن الأول على اسم شألتئيل «لئلا يمحى اسمه» (تث ٢٥ : ٥ و ٦ وراعوث ٤ : ١٠) وباعتباره الوارث لشألتئيل فإنه يصبح الأول بالنسبة للمستحقين للعرش.

(٢) يرى بعض الشراح أننا نجد هنا نحميا المعروف وأن كل الأسماء ربما تعرّض لبعض الاضطراب نتيجة عمل النساخ المتأخرين أو الاختلاف مع إدراس الأول ٥ :٨ ، ٤٠ إذ يذكر نحميا باعتباره الحاكم. أو أن هذا السجل يشمل مجموعات متلاحقة من المسبيين. كما يقال إن سرايا الذى ذكر فى نح ٧ : ٧ مرادف لعزريا وهو اسم مشابه لعزرا. وهناك افتراض ضعيف ليس له ما يسنده بأن مردخاى المذكور هنا هو قريب أستير والذى صار مسبياً فى أواخر حياته.

أعداد ٢ ب - ٣٥: الإسرائيليون العلمانيون : نجد هنا طريقتين لتحديد هوية الشخص وتحديد مكانته. كان لبعض الإسرائيليين سجلات للسبط أو للعائلة المعترف بها (٣- ٨ أو ٢٠)، فى حين كان آخرون يعرفون موطنهم التقليدى والمدينة التى كانت أسرتهم أو سبطهم يعيشون فيها (٢٠ أو ٢١ - ٣٥). وهناك ملحق للقائمة سوف يذكر فيه القوم الذين هناك شك فى موقفهم (٥٩ و٦٠)، وحتى هؤلاء ذكروا فى جماعات بحسب استيطانهم فى السبى بالنسبة لعشائرهم. أما أن يكون الفرد مجهول الأصل أو بلا هوية محدّدة فلقد كان ذلك آخر شئ يرغب الإسرائيلى أن يكونه.

ومقارنة هذه القائمة بالقائمة الواردة فى نسخة نحميا (نح ٧: ٧ ب و٨ و٩) تكشف لنا تشابهاً مذهلاً بين عملية نقل الأسماء وكذلك الأعداد- ففى حين نجد أن الاختلافات فى الأسماء الواردة فى القائمتين يسيرة:[1] مع أن نصف الأعداد فى القائمتين لا تتفق معاً حتى تبدو كما لو أنها دونت عشوائياً. والحقيقة أن ترحيل إحدى الوثائق إلى مكان آخر بصورة مختلفة يعطى قيمة حقيقية لعملية ضبط الكثير من البيانات التى يتضمنها العهد القديم. كما يُلقى مسئولية عدم تطابق الأعداد على النسّاخ. فالاختلافات مسألة عارضة. فقد نجد قائمة هنا لكننا نجدها فى مكان آخر تقدم عدداً أكبر. وتتفاوت الفروق من الآحاد إلى العديد من المئات [2]. أما عن المجموع الكلى فانظر إلى التعليق على الآية ٦٤.

---

(١) إن الاختلاف الجوهرى الوحيد هو غياب اسم مغبيش من قائمة نحميا ٧. كما أن هناك اختلافين فى الترتيب: ما بين عزرا ٢ : ١٧ و ١٩ ونحميا ٧: ٢٢ وما بعده وأيضاً عزرا ٢ : ٣٣.

كما أن اسم يورة فى عز ٢ : ١٨ حل محله اسم حاريف فى نح ٧: ٢٤ وجبار فى عز ٢: ٢٠ حل محله جبعون فى نح ٧: ٢٥، ومما يثير التساؤل هل هذا الاسم هو اسم آخر العشائر أو اسم أول المدن فى هذا الأصحاح.

(٢) نجد اختلافاً فى رقم واحد فى الأعداد المقابلة للأعداد ٦، ١٠، ١١، ١٣، ١٧، ٣٣. كما نجد فرقاً قدره ١١٠٠ فى عدد ١٢ كما نجد بعض الاختلافات الأخرى فى سياق القائمة. وهذه الاختلافات يتم بحثها فى ضوء العلامات الدالة على الأرقام (فى كتابى Basor & 4.L. Alrik).

أعداد ٣٦ – ٣٩ الكهنة : إن الأعداد الخاصة بالكهنة تصل فى مجموعها إلى ٤٢٨٩: أى حوالى عشر جماعة المسبيين. لقد نظّم الملك داود الكهنة فى أربع وعشرين فرقة تقوم بالمناوبة على الخدمة الدينية، إلا أن أربع فرق فقط كانت ممثلة بين جموع العائدين إلى الوطن، ونفس هذه العشائر الأربع هى بذاتها المذكورة فى ١٠ : ١٨– ٢٢، بعد ذلك بعدة أجيال. وعلى هذا فإنه من بين هذه الفرق الأربع بحسب توزيفتا Tosephta (جـ ٢ و ١، ٢١٦) قد أعيد تنظيم مهامها الكهنوتية فى أربع وعشرين فرقة اتخذت نفس أسماء الفرق التى كانت فى زمن الملك داود [ولقد ذكرت أسماء هذه الفرق فى أخبار الأيام ٢٤ : ٧– ١٨. ولو أردنا الوقوف على استمرارية بقاء هذه الفرق فى القيام بمهامها الدينية، يمكن مقارنة ١ أى ٢٤: ١٠ مع لوقا ١ : ٥].

ويُقرّر ولهاوزين Wellhausen بلا مبرر أن يشوع الذى ذكر ٩٧٣ فرداً من سلالته فى الآية ٣٦ هو ذاته يشوع رئيس الكهنة فى هذه الأصحاحات (على الرغم من أن ذلك لم يُذكر هنا، كما أن هناك يشوع آخر مجهول الهويّة فى الآية ٤٠)، وعلى هذا يُمكن الزعم بأن الراوى قد أخذ هذه الأعداد من قائمة متأخرة جداً، دون أن يدرك ما الذى يضمّنه من أعداد فى قائمته. ومع ذلك فإن المعنى الطبيعى للآية، يتشابه مع ما جاء فى الآية ٤٠، حيث أشير فيها إلى فروع عشيرة أو سبط بأسماء محورية من تاريخها الماضى. فشحور (الآية من تاريخها الماضى.

فشحور (الآية ٣٨) هو اسم لا نجده فى ١ أى ٢٤، ولعله يشير إلى فرع متبق من جماعة ملكيا فإذا كان ما جاء فى ١ أخ ٩:١٢ يشير إلى ملكيا المذكور فى ١ أخ ٢٤:٩. ومع ذلك فإن كلاً من فشحور وملكيا كانا من الأسماء الكثيرة الشيوع فى ذلك الوقت بحيث أن تحديد هويتهما يكون من الأمور المشكوك فيها. قارن الاثنين معاً فى إرميا ٣٨ : ١ واثنين آخرين فى إرميا ٢٠:١؛ ٣٨:٦.

أعداد ٤٠ – ٤٢ اللاويون : أما اللاويون الذين عادوا من السبى إلى الوطن فى هذه المرحلة فلقد كانوا أقلية مثل الكهنة. وبينما كان المذكورون فى هذه الآيات الثلاث من سبط لاوى، فإن كلمة اللاويين فى الآية ٤٠ من المحتمل أن تعنى أولئك

الذين كانوا يعاونون الكهنة بصفة مباشرة، وذلك بالتباين مع أولئك الذين كانوا ينتمون إلى الطوائف المذكورة فى الآيتين ٤١ و٤٢، والمذكور نشأتهم فى أخبار الأيام الأول ٢٥ : ١- ٢٦: ١٩.

وهنا يُلقى شعاع هام من الضوء، وإن كان بصورة عرضية، على عراقة ناموس موسى وخلّوه من أية مدخلات عليه. ذلك أن اللاويين والذين بمقتضى شريعة العشور يفوقون الكهنة بدرجة عظيمة فى أعدادهم، قد أصبحوا أقلية ضئيلة وأصبح نصيبها جزءاً ضئيلاً من إعانة المجتمع لهم، وذلك بالمقارنة بما كان لهم فى الماضى. ومع ذلك فالشريعة تُعطيهم كل شئ: «كل عُشر فى إسرائيل» ولا تطلب منهم سوى أن يُعطوا العُشر من هذا إلى الكهنة: «عُشر العُشر» (عدد ١٨: ٢١ و٢٦). ولو كان الناموس فى طريقه إلى الإعداد أو إعادة صياغته فى هذه المرحلة على حد ما يزعم الكثيرون، فإنه ما كان يمكن أن يصلنا على هذه الصورة التى هو عليها. وهنا نقتبس من ى. كوفمان Y. Kaufmann الذى أراد أن يلفت انتباهنا إلى هذه الحقيقة بقوله: «ليس هناك من شئ يوضح بأكثر جلاء مدى خطأ الرأى القائل بأن فى أزمنة ما بعد السبى، أن كتاب التوراة كان ما يزال موضعاً للإضافة والتنقيح... إن مؤسسى اليهودية فى أزمنة ما بعد السبى، لم يكونوا هم كاتبوها، وإنما كانوا هم الذين جمعوا مادة التوراة. إنهم لم يغيروا أى شئ مما وجدوه مكتوباً، وبالتالى لم يضيفوا إليه شيئاً.

أعداد ٤٣ - ٥٤ خدام الهيكل : قيل لنا فى ٨ : ٢٠ أن داود ورجاله هم الذين أسسوا نظام مساعدى اللاويين. واسمهم العبرى هو النثنيم Nithinim . وكما يشير هامش الترجمة الإنجليزيةRSV ، وتعنى «الموهوبين» للرب أو المكرسين له. وهى شكل مختلف لإحدى الصفات التى للاويين أنفسهم، والذين قيل عنهم: لأنهم موهوبون لى هبة (عدد ٨: ١٦).

ويبدو أن أكثر المهام حقارة كان يُعهد بها إليهم للقيام بها، كما أن وجود بعض الأسماء التى تبدو غريبة فى القائمة قد يدلّ على أن بعض هذه الجماعات جاءت إلى إسرائيل من فتوحات داود، إما كمهاجرين أو ربما كأسرى حرب. ومن المؤكد أنه كانت توجد وحدات أجنبية فى جيشه (٢ صم ١٥: ١٨ - ٢٢)، ومن مرحلة مبكرة (وإن

كان السبب هنا مختلفاً) انخرط الجبعونيون فى إسرائيل كفريق عمل (يش ٩ : ٢٧) مخصص لخدمة الهيكل.

ولقد سبق أن أوصى حزقيال قبل زمن أحداث هذا الأصحاح من فترة ليست طويلة، بعدم استخدام الأجانب غُلف القلوب والأجساد كخدام للهيكل (حز ٤٤ : ٦– ٨). ولقد رأي البعض فى هذا القول مهاجمة لنظام النثينيم. وربما كان حزقيا يقصد البعض من هؤلاء النثينيم عندما أطلق قولته هذه، ولكن ليس نظام النثينيم كفريق للعمل، وذلك أن هجومه كان منصباً على أولئك الذين يصرّون على اغترابهم عن إله إسرائيل ويرفضون الوفاء بالتزامات العهد. ويتضح لنا من خروج ١٢ : ٤٨ أن أى عشيرة غير إسرائيلية تقبل الختان، فإن بركات العهد تُصبح لها (قارن عد ١٥:١٤ و١٥) فلو كان هناك أى شك فى نظام النثينيم من حيث المبدأ، فإنه ما كان يُمكن أن يكون لهم وضع فى هذا الأصحاح.

أعداد ٥٥ – ٥٨ بنو عبيد سليمان : ترتبط هذه الجماعة ارتباطاً وثيقاً بالجماعة السابقة، ومجموع كلى واحد ينطبق على الاثنين فى الآية ٥٨. وهذه الحقيقة تُوحى لنا بأن سليمان ربما يكون قد جنّدهم لمساعدة نثينيم الملك داود، وإنما خصصّهم للقيام بالمهام المدنية. وربما نجد عينات من المهام المكلفين القيام بها، أو تلك التى كان يقوم بها أسلافهم، ربما نجدها محفوظة فى كلمة «هسوفرث» (ومعناها الكاتب: عدد ٥٥)، بنو فوخرة الظباء الآية ٥٧) [١] (أى حارس الظباء). أما الذكر الوحيد لهذه الطائفة فإننا نجده فى الفقرة المماثلة لها (نح ٧: ٥٧ – ٥٩). (وفى نحميا ١١:٣، حيث نجدهم أيضاً مذكورين بعد طائفة النثينيم مباشرة.

العددان ٥٩ و٦٠ الذين لم يستطيعوا اثبات دعاويهم :

أ– من حيث انتسابهم بمولدهم إلى إسرائيل: يبدو أن أسماء الأماكن هى تلك التى

---

(١) وكلا الاسمين جاءا فى صيغة المؤنث، مثل كلمة «قوهيلت» (التى أطلقت على سليمان كاتب سفر الجامعة) والتى استُعملت كصفة لمذكر. ويبدو أن الصيغة تشير إلى وظيفة أو القائم بها.

كانوا مسببين فيها، وذلك على الرغم من عدم إمكاننا تحديد ماهيتها بعد [1]. وثمة أهمية مزدوجة لسلسلة نسب الأسرة: من حيث حسم دعاوى الملكية، وللتأكد من أن المجتمع العائد إنما يضم جماعة من أنقياء النسب إلى إسرائيل. إلاّ أن التأكيد لم يمض إلى أبعد من هذه النقطة: ذلك أن الذين عجزوا عن الانتساب إلى بيوت آبائهم لم يبُعدوا عن هذا المجتمع، لكن من الواضح أنهم أُعطوا بصفة مؤقتة نفس الوضع الذى كان للمختونين الأجانب، والذين قد سبق الاعتراف بما لهم من حقوق على النحو الذى أوضحناه فى شرحنا للآيات ٤٣ - ٥٤.

ومع ذلك، فإنه على الرغم من الأهمية التى كانت لهذا الاحتياط من أهمية فى الحفاظ على نقاء الشعب المختار، فإما التأكيد على نقاء إسرائيل كانت له مخاطرة التى لا يُستهان بها، وهو ما يظهر لنا من مهاجمة العهد الجديد لأولئك الذين يفتخرون بما يحققه انتسابهم إلى الشعب المختار. ومن المحتمل أن يسقط المسيحى فى خطأ مماثل وعليه أن يستخلص العبرة الخاصة بهذا الوضع من القول البولسى المأثور: «لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون» (رومية ٩:٦؛ قارن رومية ٢:٢٨ و٢٩).

أعداد ٦١- ٦٣ الذين لم يستطيعوا اثبات دعاويهم:

ب - الانتساب إلى النسل الكهنوتى : إن المصير الذى ألمَّ بقورح وجماعته حينما حاولوا أن يقحموا أنفسهم على الكهنوت، كان موقفاً حاسماً يُذكّر إسرائيل بمخاطر مثل هذا الطريق: «فأخذ ألعازار» الكاهن مجامر النحاس التى قدّموها وطَرَقُوها غشاءاً للمذبح تذكاراً لبنى إسرائيل «لكى لا يقترب رجل أجنبى ليس من نسل هرون ليَبخّر بخوراً أمام الرب فيكونَ مثل قورحَ وجماعته» (عدد ١٦ : ٣٩ و ٤٠). وعلى هذا فإن الاحتياطات التى اتخذت الآن فى هذا الشأن لم تكن من قبيل التطّرف أو المغالاة وإنما كانت أمراً واجباً.

عدد ٦١ بنو هقّوص : من الواضح أن دعواهم قد لقيت التأييد فى نهاية الأمر،

(١) أما كلمة «تل» الواردة فى الآية ٥٩ فهى تشير إلى كومة أو تراكم تكون نتيجة نمو المدينة على طبقاتها المتعاقبة: والمكان الذى كان حزقيال مسبباً فيه هو « تل أبيب» (حز ٣ : ١٥)، إلا أن لفظة «تل» كانت مستعملة أيضاً فى فلسطين (أنظر يش ١١ : ١٣).

وهذا إذا كان معاصر عزرا «مريموت الكاهن» ابن أوريا (٨: ٣٣) هو نفس «مريموت ابن أوريا، ابن هقُّوص» المذكور فى نحميا ٣: ٤ و٢١. ولكن يمكن أن يقال ما يخالف هذا الرأى أن مريموت المذكور فى نحميا ٣: ٢١ يظهر مُصنّفاً مع جماعة اللاويين فى الآيات ١٧-١٩، إلا أنه لم يذكر المدى الذى تتسع إليه هذه القائمة، وفى الواقع أن أملاء مريموت فى أى من الجانبين كانوا فى الظاهر كهنة. انظر الحاشية فى التعليق على ما جاء فى نحميا ٣: ١٧ - ١٩.

«برزلاى»: اسم برزلاى له وزنه الخاص به: كان حامله من المؤيدين الأوفياء، للملك داود، كما كان رجلاً موسراً (٢ صم ١٩ : ٣٢). وربما كان اتخاذ لقب هذه الأسرة (وصيرورته وارثها؟) مدعاة لتوجيه الاتهام إلى الجد الأعلى لهؤلاء المطالبين بحقهم فى الكهنوت، بأنه قد تخلى عن حقوقه فى البكورية وفى الكهنوت. ولقد كان من الأوضاع المقررة كجزء من مقتضيات الكهنوت. والمكافأة عليه. (كما قال الله لهارون): «لا تنال «نصيباً فى أرضهم»، ولا يكون لك قِسمٌ فى وسطهم. أنا قِسْمُكَ ونصيبُك فى وسط بنى إسرائيل» (عدد ١٨: ٢٠).

عدد ٦٣ : إن الكلمة الدالة هنا على الحاكم ، هى المصطلح الفارسى الترشاسا وقد ذكرت أربع مرات فى سفر نحميا (٧: ٦٥ و٧٠؛ ٨: ٩؛ ١٠: ١). ومن الواضح أنها تشير هنا إلى شيشبصَّر (قارن ٥: ١٤، حيث تستخدم الكلمة الأعم peha الوالى، وفى الإنجليزية governor أيضاً. والتى أساسها أشورى) ولسوف نناقش هويته فيما بعد. ومن المهم هنا أن نلاحظ أنه هو وليس رئيس الكهنة الذى كان عليه أن يحسم هذه المسألة الكهنوتية. وليس الواضح تماماً ما إذا كان الأوريم والتميم (والذى من خلالها يأتى الجواب) [1] قد فُقدا فى السبى، أو أنه قد سُحبت القدرة

(١) أنظر خروج ٢٨: ٣٠، عدد ٢٧: ٢١. وفى ضوء النص اليونانى المطول لصموئيل الأول ١٤: ٤١ (كما فى RSV , NEB) يعتقد أن اليوريم والتميم هما زوج من أشياء صغيرة تلقى ويعرف من أحد وجهيها أو عكسه موافقة الرب أو عدم موافقته وذلك بظهور الوجهين معاً أو العكس معاً عند القاء القرعة. وربما فهم أن الرب يرفض الاجابة فى ١صم ٢٨: ٦ عندما لم يتفق الوجهان معاً فكانا مختلفين فى كل مرة. وقد أكد يوسيفس أن الإجابة كانت تعرف بلمعان معجزى للأحجار التى على صورة الكاهن. لكن هذا توقف منذ أمد بعيد.

على استخدامهما، وإن كان ذلك يبدو ضمنياً من الصياغة اللفظية للجملة. قارن مزمور ٧٤:٩ : «آياتُنا لا نرى. لا نبيٌّ بعد. ولا بيننا من يعرفُ حتى متى» وهنا أيضاً مناسبتان فى المكابيين الأول (٤:٤٦؛ ١٤:٤١)، حيث كان لابد من تأجيل اتخاذ القرارات للافتقاد إلى الإعلان الإلهى. ويبدو أن السماء قد أُغرقت فى الصمت، على الرغم من أن حالة الصمت هذه ما تلبث أن تُنقض بمجئ النبوة مرة أخرى (عز ٥: ١).

أعداد ٦٤ - ٦٧ : المجاميع الكلية :

عدد ٦٤ : يظهر العدد ٣٦٠ ر٤٢ أيضاً كالمجموع الكلى فى نحميا ٧ : ٦٦ وفى إسدراس الأول ٥ :٤١؛ ومع ذلك فإننا لو جمعنا مفردات كل مصدر، فإننا نحصل على ثلاثة مجاميع كلية مختلفة تماماً، فنجد ٨١٨ ر٢٩ فى عزرا؛ ٨٩ ر٣١ فى نحميا؛ ١٤٣ر٣٠ فى إسدراس الأول. ولقد جرت محاولات لتفسير الآلاف الناقصة، على أنهم أعضاء الأسباط الشمالية، أو النساء، أو الأحداث. إلاّ أن الرواية هنا تصمت عن مثل هذه النقاط. وفيما يتعلق بالأسباط الشمالية، فإننا لم نجد تمييزاً بينهم وبين يهوذا فى القوائم التصنيفية السابقة، ذلك أن الجموع العائدة من السبى إلى الوطن نُظر إليهم باعتبارهم شعب إسرائيل (٢:٢ب و٥٩) وليس باعتبارهم أقلية سبطية [١]. وبالنسبة للنساء. فهل تفوّق الرجال على النساء بأكثر من نسبة ٢ إلى ١ ؟ أما ذكر سن الاثنى عشر فصاعداً فى إسوراس الأول ٥:٤١ فقد تطلب الأمر ذلك لمقابلته بأعمار الراشدين فى قائمة كل جماعة على حدة (كما يشير كيل Keil إلى ذلك)، وهذا إذا ما كان كاتب إسدراس الأول كان يقصد التوفيق بين الأرقام بذكره هذه العبارة. وهناك اتفاق عام على أن هذه الاختلافات العددية هى أخطاء فى النسخ، ناجمة عن صعوبة خاصة فى الفهم، أو فى إعادة كتابة القوائم. وعن هذا الأمر علينا أن ننظر إلى الفقرة الثانية من التعليق على الآيات ٢ب - ٣٥

---

(١) وجد بين الجماعة الباقية أعداد من القبائل الأخرى غير يهوذا (١ أخبار ٣:٩) لكن ليس بهذا العدد- على حد علمنا.

السابقة. انظر أيضاً التعليق على الآيتين التاليتين:

عدد ٦٥: إن العدد المغالى فيه من العبيد Slaves (وهو اللفظ المفضل على لفظة Servants قارن NEB) ونسبته ١:٦ من الرجال الأحرار، يتوافق مع ما كانوا عليه من ثراء (الآية ٦٩)، وهو الأمر الذى يجعل من الفقر والذى وصفه النبى حجى بعد فترة زمنية تقل عن ٢٠ عاماً، يجعل منه درساً وعبرة موضوعية عن غير يقينية الغنى أن توالى الحصاد السيئ مع توالى ارتفاع الأسعار (حجى ١:٦ و٩- ١١؛ ٢:١٧)، ناهيك عن تدخل الأعداء (عز ١: ٤)، فإنه لن يُترك للشعب شيئاً سوى البيوت المترفة الغالية التكاليف (حج ١:٤) كمذكِّر لهم عن حالة الرخاء السابقة التى كانوا عليها.

أما عن «المغنين» فكانوا غير فرقة الإنشاد الدينى فى الهيكل والمذكورة فى الآية ٤١، وقد كانوا مجرد علامة من علامات الترف الزائد (قارن ٢صم ١٩ :٣٥) (١)

العددان ٦٨ و ٦٩ التبرع لبناء هيكل الرب : التبرعات كما ذكرت هنا وفى عز ٣:٥ أيضاً كانت تُعد دلالة على صحة أى مشروع وازدهاره، والأكثر من ذلك عندما تقدم منحة رسمية كعلامة من علامات الرضا (إذا كانت لفظة منحة هي الترجمة الصحيحة لكلمة grant الواردة فى عز ٧:٣. أما عبارة «حسب طاقتهم» ففيها تكريم للمتبرِّعين، وربما كانت هذه العبارة فى ذهن بولس عند حضّه للكورنثيين أن

---

(١) إن النسخة الأخرى من هذه القائمة والمذكورة فى نحميا ٧ تقدم مثالاً لأحد مصادر الأخطاء فى الكتابة فقد انتقل بصر الناقل من العدد مائتين الذى يلى (فى العبرية) كلمة «المغنين» إلى نفس الكلمة فى الآية التالية، التى يعقبها الرقم ٤٥ لذا ففى نحميا ٧ : ٦٨ نجد أن الكلمات الوسيطة غير موجودة فى النص العبرى تاركة عدد المغنين ٢٤٥ مع عدم ذكر الخيل والبغال.انظر نحميا ٦٨:٧ فى RSV . وهذا يوضح ما يعترى هذه القوائم من اختلافات.

يعطوا بما يتناسب مع دخولهم (١ كورنثوس ١٦: ٢)، وربما أيضاً فى إعجابه بأولئك الذين أعطوا ليس فقط حسب الطاقة بل «فوق الطاقة» (٢كورنثوس ٨: ٣).

والفقرة المماثلة لها فى نحميا ٧:٧- ٧٢، أكثر منها تفصيلاً من هذه الناحية، إذ تذكر بطريقة منفصلة إسهامات الحاكم، وبعض رؤوس البيوت، وبقية الشعب، كما تسجل المنح والعطايا حسب نوعها، مفضلة ذلك على ذكر قيمتها المالية [1]. ومما هو جدير بالملاحظة بالنسبة لهذه النقطة التقييم المذكور فى عز ٨: ٢٧: «عشرين قدحاً من الذهب قيمتها ألف درهم».

عدد ٧. الإقامة فى المدن : إن عبارة عاشوا فى أورشليم وما يجاورها مستعارة من إسدراس الأول ٥: ٤٦ فى الترجمة الإنجليزية RSV والعديد من الترجمات الإنجليزية الحديثة للكتاب المقدس، برغم أنها قد سقطت عرضاً من النص الحالى للكتاب المقدس. لقد كان نسخ هذا الأصحاح أمراً شاقاً. وهو ما لمسناه فعلاً، وإن ذكر أورشليم كموطن للكهنة واللاويين وغيرهم من الطوائف، يحمل فى ثناياه معنى

---

(١) يمكن تصنيف جملة العطايا كما يلى :

	عزرا ٢: ٦٨	نحميا ٧: ٧٠ - ٧٢
درهم ذهب	٦١٠٠٠	٤١٠٠٠
مَن من الفضة	٥٠٠٠	٤٢٠٠ (٤٧٠٠ ؟)
منضحة	-	٥٠
قميص	١٠٠	٥٩٧ (٩٧ ؟)

والأرقام التى بين قوسين ناشئة عن أن العدد خمسمائة فى نحميا ٧: ٧٠ موضوع فى مكان غريب يدل على أن (المن من الفضة) قد سقط من النص تاركاً الـ ٥٠٠ على ما يبدو مرتبطة بتمييز غير صحيح. والدرهم كانت العملة المستخدمة عندئذ زمن داريوس الأول الذى جاء بعد كورش. ولم يتم تداول الدرهم فى فلسطين إلا بعد ٢٠٠ سنة.

والدرهم الذهب يساوى أكثر قليلاً من الجنيه الإنجليزى. أما المنا من الفضة فهو يقدر برطل ويساوى ٦٠ شاقلاً. وكان منه نوعان: عادى وملكى وخفيف وثقيل.

حسناً. ولسوف يكون هناك ذبائح يومية لتقديمها، وعديد من العابدين يحضرون مناسبات تقديمها، كما كان عليهم الإشراف على الكثير من الأعمال (عز ٣: ٤ -٦).

الأصحاح الثالث
المذبح والهيكل

أعداد ١ - ٦ أ : ترتيب الأولويات : كان من السهل على العائدين أن يهنأ بالهم بعد أن تحقق أملهم فى العودة إلى الوطن والاستيطان فى رحابه. لكن كان هناك أمامهم العمل الملكى - الهيكل - الذى كان عليهم أن يقوموا على خدمته، أما الأمر الذى كانت له الأولوية والسبق، فهو الدعوة الأساسية لإسرائيل. وكانت هذه الدعوة وما يستتبعها -كدعوتنا نحن أيضاً وهى أن يكونوا «كهنوتاً مقدساً» لتقديم ذبائح روحية (وبالنسبة لهم كانت ذبائح حيوانية) مقبولة عند الله، اقرأ (١ بطرس ٢:٥؛ قارن خروج ١٩:٦).

وعلى هذا فإن الشئ الأول الذى كان يجب أن يُبنى هو المذبح (الآية ٢)، وذلك حتى قبل تأسيس الهيكل (الآية ٧). ولقد سبق لأبرام أن خلد قدومه إلى أرض كنعان بمثل هذا الأسلوب. وذلك بإقامته مذبحه تعبيراً عن إيمانه الواضح بالوعد (تك ١٢:٧). وإذا كان الذى دفع هؤلاء المستوطنين إلى ذلك هو الخوف، إلا أن الإيمان كان وبنفس القدر له دور فى ذلك. ذلك «لأنه كان عليهم رُعب من شعوب الأراضى» (الآية ٣). ويمكن أن يؤخذ هذا الأمر على أنه يعنى أنه لم تكن لديهم الجرأة للإقدام على أية محاولة طموحة مثل بناء هيكل، إلا أنه على ضوء ما جاء فى الآية ٧، حيث تراهم يعدون للعمل، فإن الأكثر احتمالاً هو أنها تلمح إلى أن التهديد الذى كان يواجههم جعلهم يحسّون بحاجتهم إلى العون، ومن ثم كان فى مقدورهم أن يجدوه فى القدوم إلى الله «عند المذبح»، بحسب وعده القائل: «اجتمع هناك ببنى إسرائيل» (خروج ٢٩: ٤٣).

وهذا الأمر قد جعلهم كذلك يُدقّقون فى التفصيلات ومن ثم أقاموا المذبح فى مكانه (الآية ٣)، أى فى مكانه الصحيح والتقليدى، ونقرأ أن كل شئ قد عُمل «كما هو مكتوب.. (الآيتان ٢ و٤)، وكذلك كان الحال فى أعداد الذبائح بالعدد كالمرسوم أو اليوم بيومه، والذبائح التى تُقدم أيضاً فى عيد المظال (الآية ٤)، والتى وُصفت فى ٢٧ آية فى سفر العدد (عد ٢٩:١٢- ٣٨). وعلى هذا بدأوا العمل

بنظام الذبائح والمواسم والأعياد، بدءاً من اليوم الأول من الشهر السابع (الآية ٦) بالأبواق (لاويين ٢٣: ٢٤)، وهو الشهر الذى يُعدُّ ذروة للسنة اليهودية. وتلك كانت بداية حسنة لعصر جديد، وقد لقيت هذه الخطوة تأييداً من كل الشعب الذين اجتمعوا «كرجل واحد إلى أورشليم» (الآية ١) وكانت الأسرة التى تقودهم هى أسرة زربابل، وشاركهم الكهنة فى إقامة المذبح. ومن الصواب أن تُنسب هذه المبادرة فى هذه المناسبة إلى يسوع الذى يجئ اسمه هنا فقط سابقاً على زربابل (الآية ٢).

أعداد ٦ب - ٩ الاستعداد لبناء الهيكل : إن وضع الأساس للهيكل ما هو إلا أحد معانى كلمة عبرية مفردة يمكن أن يُعنى بها العملية الكاملة لإقامة مبنى مهيأ للاستعمال. وهى مهمة تضمنت هنا عمل النجارين والبنائين، والتى كان معناها فى ٢ أخبار الأيام ٢٢: ١٢ - ١٤ ترميم المبنى الذى لم يكن فى ذلك الوقت منهدماً. وتصف لنا الآية ١٠ بوضوح أولى هذه المراحل والتى سبقت غيرها، فى حين أنها فى حجى ٢ : ١٨ تمثّل استئنافاً للعمل بعد عدة سنوات من التراخى والإهمال. (أنظر الملحق ٢ للوقوف على ما يتضمنه هذا الأمر).

عدد ٧ : وإننا لنجد فى التعامل الذى تم مع صور وصيدا- وربما كان تقليداً مقصوداً- للاستعدادات التى قام بها سليمان من أجل بناء الهيكل الأول، فقد طلب هو أيضاً أن يُرسل إليه ما يلزمه من الأخشاب بطريق البحر إلى يافا، وكان يدفع ثمن هذه الواردات من صادرات بلاده من الحبوب والخمر والزيت (٢ أى ١٠ و١٥ و١٦)، والتى قيل إنها كانت تُحمَّل على السفن العائدة. ولقد كان هذا الأمر ميسوراً ليس فحسب بسبب المنح والهبات التى ذكرت فى عزرا ٢:٦٨ - ٦٩، وإنما نتيجة «إذن كورش». والإذن هنا من المعقول أن نأخذه على أنه يتضمن التصريح وتقديم الإمدادات، وذلك لأنه لم يكن فى مقدور هؤلاء المستوطنين الجدد أن يصدروا شيئاً من منتوجات بلادهم فى مقابل ما يستوردونه. ولقد كان هذا صورة بالغة الصغر لغنى الأمم و«مجد لبنان» الذى وُعد بأنه سيفيض يوماً «لزينة مكان مقدس» (إش ٦٠: ١١ و١٣). أى مقدس الله.

العددان ٨ و ٩ : وكان من المناسب هنا أيضاً أن يبدأ العمل فى الشهر الثانى من

السنة الجديدة، ذلك أن السنة الأولى كانت الصفة التالية عليها هي الاحتفال بعيد الفصح. وإلى جانب هذا- وهو الأمر الذى كان من الصعوبة بمكان أن لايكون محلاً لاهتمامهم- كان الشهر الثانى هو الشهر الذى بدأ فيه العمل فى هيكل سليمان (١مل ٦ : ١). ولقد كان من الأمور المؤثرة فى هذا المضمار التخطيط الجيد للعمل وتسجيل خطوات هذا العمل. ولقد كان هناك الحماس الملتهب للعمل متمثلاً فى أن «الجميع» قد تقدّموا للعمل (الآية ٨ب)، ولكن كان هناك اهتمام دقيق بمعايير العمل ومستوياته، كما يتضح من ثنائية ذكر كلمة «للمناظرة» أولاً على العمل (الآية ٨)، وثانياً للمناظرة على العمال (الآية ٩). ومن الواضح أن اللاويين فى مجموعهم كانوا يشرفون على أعمال المدنيين [1]، كما كانوا هم أنفسهم يعملون بتوجيه من الأسرة [2] القائدة للعمل (الآية ٩).

أعداد ١٠ – ١٣ الذروة والهبوط المفاجئ : وعلى هذا المنوال استمر التصعيد فى العمل إلى أن وصلنا إلى الختام الغريب للأصحاح. ومرة أخرى، كانت هناك أصداء ملموسة لما جرى فى احتفالات الملك سُليمان، وهذا فى الوقت الذى توجد فيه تناقضات أيضاً. ففى هذه المرة لم يكن هناك تابوت العهد، وليس هناك تراثى لمجد

---

(١) اختلف السن المناسب للخدمة من زمن لآخر كما اختلفت طبيعة الأعمال وربما العدد المطلوب لكل خدمة. فحمل الأوانى المقدسة عند الرحيل كان يستلزم العمر ٣٠ (العدد ٤ :٣ وما بعده) وللخدمة العامة فى خيمة الاجتماع ٢٥ (العدد ٨ :٢٤) ونجد هذا العدد هنا وفى ١ أخ ٢٣ :٢٧ (لكن انظر ٢٣: ٣) وفى ٢ أخ ٣١ :١٧ هو عشرون فقط.

(٢) يرى بروكينجتون أن التعبير : «عاملى الشغل» (٩) قد يعنى المسؤلين (نح ٢: ١٦، استير ٩:٣، ٣:٩). ففى هذه الحالة مثلاً قد يعنى المشرفين من اللاويين. وهناك رأى آخر وإن كان أقل احتمالاً هو أن اللاويين كانوا مسئولين عن الجزء الفنى من العمل. أما العائلات المذكورة فى هذا الأصحاح فكانت مسئولة عن النظام.

ومن ضمن الأسماء المذكورة فى عدد ٩ نجد عائلات يشوع وقدميئيل فى أول قائمة اللاويين فى ٢: ٤ بينما يظهر اسم هودويا بدلاً من يهوذا. وربما كان الاسمان واحداً فى العبرية لذا يظهر الاسم الأسهل فى النص. كما نجد عائلة هودويا تظهر مرة أخرى مع هذه المجموعة فى نح ١٠ :٩، (١٠ فى العبرى).

الرب، وفى الواقع ليس هناك هيكل، وإنما بعض البدايات، وهى فى ذاتها بدايات ضئيلة. ولكن الله يُعظَّم ويُمجَّد فى تسبيحات إسرائيل، ومن ثم فسوف تكون هذه الاحتفالات مجيدة كما كان الحال فى زمن سليمان، بل ربما تكون أكثر من هذا، إذ بينما نراهم يقلدون المناسبة القديمة بالتفصيل كلمة بكلمة، وأداة بأداة (٢أى ٥ : ١٣)، إلاَّ أن آذانهم كانت تطن من وطأة الظروف التى كانت تقتادهم بالأكثر إلى الخنوع والذلّة أكثر من كونها دافعاً لهم إلى الإحساس بالزهو والمجد، وكانت فى أشد الحاجة إلى التماس الإيمان الذى يستند إلى السماويات لا الأرضيات.

إن الآيتين الأخيرتين تشيران إلى الحقيقة التى لم تكن متوقعة. إن الصرخة العفوية الناجمة من خيبة الأمل، والتى دوّت فى الاحتفالات كانت دلالة منذرة بالكثير مما سوف يلى بعد ذلك. ولقد أدرك حجى تلك النغمة وكرز ضدّها (حجى ٣:٢ - ٥). وكان على زكريا أن يتحدّى أولئك الذين يزدرون «بيوم الأمور الصغيرة» (زك ٤ : ١٠). إلا أن كل من النبيين قد فعل ذلك بمثل هذه الكلمات التى حفرت فى الذاكرة والتى تدعونا إلى أن نذكرهم بالحمد والشكر لمواجهتهم لمثل هذه الحالة والرد عليها بالجواب الحاسم.

الأصحاح الرابع
المواجهة

لقد بدأ الصراع فى هذه النقطة فصاعداً حتى نهاية سفر نحميا. وليس هناك من عمل يُقصد به تمجيد الله يمضى بدون أن يواجه بالتحدّى، ومن النادر أن يمضى أى تخطيط مضاد بدون أن يُكتشف. ويصف هذا الأصحاح بداية العداوات وأول نكسة طويلة بالنسبة للعمل، ولكنه قبل أن يخبرنا عن النتيجة المباشرة، يتابع موضوع الافتراء والتآمر والذى استمر إلى نهاية القرن التالى، وحتى وقوع الكارثة التى دفعت نحميا إلى الإسراع بالمجئ إلى أورشليم. فإذا ما كنا نتابع هذا الموضوع فحسب فما علينا إلا أن نمضى مباشرة من الآية ٢٣ إلى الأخبار المرتبطة به فى الأصحاح الأول من سفر نحميا، ولكن كانت هناك أحداث كبرى تقع فى غضون ذلك، وتعود بنا الآية ٢٤ إلى النقطة التى وصلت إليها الرواية فى الآية ٥ السابقة على الاستطراد.

وبدون تلك الدلالة التاريخية المنذرة التى تكشف عن الخطورة الكاملة للمقاومة، ما كان لنا أن ندرك على الوجه الصحيح قيمة المعجزات المدوّنة فى الأصحاحين التاليين (الخامس والسادس)، ولا الأخطار الكامنة فى حالات الزواج المختلط التى أوقف عزرا نفسه لكى يقضى عليها القضاء المبرم (الأصحاحات ٧- ١٠). ومن هنا تتضح أهمية الاستطراد وفعاليته، إلاّ أنه قد يكون مضللاً لو أن أحداً تجاهل السمات المميزة والواضحة لهذا الزمن والتى عينت مجرى تلك الأحداث وما لبثت أن عادت بنا إلى نقطة بداية رحلتنا، لنكون على استعداد لاستقبال الأصحاح التالى. هذا الاستطراد يحتاج منا فحسب إلى تلك الوسيلة الحديثة فى الكتابة وهى وضعه بين حاصرتين، بدءاً من الآية السادسة وختاماً بعد الآية ٢٣، وذلك لضمان الوضوح التام ومن أجل أن نزيد الموضوع وضوحاً فإن الأمر يستحق أن نستخدم هاتين الحاصرتين على النحو الذى بينّاه.

أعداد ١- ٥ عرض مرفوض :

عدد ١ : من السهل علينا أن نغفل وصف هؤلاء المندوبين باعتبارهم «أعداء» ومن ثم يكون انطباعنا عن تلك المواجهة أنها رد فظ لبادرة مخلصة ودية. وبديلاً عن ذلك فإننا نهيئ أنفسنا للنظر إليها باعتبارها بداية معركة للحصافة والفكر السليم: وكانت الجولة الأولى تتمثل فى الانقضاض على وحدة مركز عبادة الأمة، وهى محاولة ركّزوا عليها كل الأساليب والوسائل التى فى جعبتهم، قاصدين تجريدهم من أسلحتهم الدفاعية، أو تهديدهم بكونهم خارجين على سلطة الإمبراطورية، أو بالافتراء عليهم وتشويه العمل الذى يقومون به والإقلال من قيمته، أو وضع العراقيل والعقبات التى تقف فى طريق إتمامه، وهم فى كل هذه التخطيطات والتكتيكات إنما كانوا على الدوام يكيّفون أنفسهم ويهيئونها لمنع اليهود من إتمام بناء الهيكل.

وأثناء تصفحنا فإننا سنلاحظ ذكر سبطى «يهوذا وبنيامين»، وهما السبطان اللذان مع سبط لاوى كانوا نواة المملكة الجنوبية (٢أى ١١:١٢ و١٣). كما أن نثاراً متفرقاً من الأسباط الأخرى قد كانوا بين الفينة والفينة يجعلون نصيبهم معهما (قارن ٢ أى ٣٠: ١١ و١٨؛ ٣٤:٩). إن الترجمة الحرفية لتعبير «المسبيين العائدين» هو «بنو السبى» انظر التعليق على الآية ٢ : ١.

العددان ٢ و ٣ : إن ذكر عبارة ملك أشور الذى أصعدنا إلى هنا [١] يعطينا مؤشراً إلى القصة المذكورة فى ٢ مل ١٧:٢٤- ٢٦، وأيضاً مظهراً آخر عن المتكلمين وديانتهم.

إن تلك القصة باختصار، تحدثنا عن المجتمعات الأجنبية التى أرغمت على الاستقرار فى أرض إسرائيل التى أُفرِغت من سكانها بعد سقوط السامرة. ومن أجل تعليمهم «شريعة إله الأرض»، أرسل إليهم أخيراً كاهن إسرائيل، ولكن النتيجة

---

(١) اسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩) بدأ ملكه بعد سقوط السامرة بأربعين سنة، لكن توطين سكان كان من الواضح أنه سياسة طويلة الأمد. وقد كانت تمارس فى عصر لاحقه آشور بانيبال (أسنفر المذكور فى عدد ١٠) كما يشير عدد ١٠ إلى أن ما ذكر عن «مدن السامرة» فى ٢ مل ١٧ لم يكن محصوراً فى مساحة صغيرة لكنه أثر على باقى المقاطعة.

كانت مزيجاً من الديانات: «كانوا يتّقون الرب ويعبدون آلهتهم»، وتلّخص لنا الفقرة المعنى الحقيقى لهذا الأمر:«إلى هذا اليوم يعملون كعاداتهم الأول. لا يُتقُون الرب» (٢ملوك ١٧:٣٤).

هذا إذن هو حكم الكتاب الذى لا يحيد عنه على دعوى هؤلاء القائلين: «لأننا نظيركم نطلب إلهكم»، ذلك أن الدعوى هنا جاءت على شكل اقتراح عبادة متعددة الآلهة [(١)]. ومن الواضح أن السبب الكامن خلف إجابة اليهود على السامريين، وإن كان لم يُذكر، كان الرفض الصريح وإشارة إلى أمر الملك كورش. وكان التعبير عن هذا الرفض فى صيغة مألوفة لدينا من الأناجيل: «مالى ولك» (مر ٥:٧، يو ٢:٤٢) باستثناء أن أمامنا هنا عبارة تصيغها الترجمة الإنجليزية الجديدة NEB صياغة جيدة: «هذا ليس شأنكم».

العددان ٤ و٥ : إن المعركة التى نجمت عن هذه المضايقة لليهود من هؤلاء القوم شعب الأرض [(٢)] كان من نتائجها تلك القوة المضاعفة للمقاومة من جانب اليهود (وفى النص العبرانى استمروا يفعلون هذه الأشياء) مع تنوع فى أساليبها. وكانت محاولات القوم المحليين لإرخاء أيدى شعب يهوذا عن العمل (الآية ٤أ) تعتمد على أسلحة خبيثة لبث الذعر فى نفوسهم والاستهزاء والاستخفاف بما يقومون به من

---

(١) نجد هنا مشكلة صغيرة فى النص «وله قد ذبحنا» عدد ٢ إذ أن النص فى العبرية هو «لم نذبح» بدلاً من له ذبحنا مما يعتبر خطأً فى الكتابة. فالكلمتان فى النص متشابهتان فى النطق مما يسبب خطأً فى أماكن كثيرة، مثلاً (إش ٩:٣أ فى A.V يقول أكثرت الأمة ولم تعظم لها الفرح). ولكن ترتيب الكلمات هنا تؤيد (له قد ذبحنا) إذ أنها تتمشى مع الطلب. أما إن كانت «لم نذبح» قد تعنى «لأنه ليس عندنا هيكل» لكن لأن المكان المطلوب للذبيحة ليس إلا مذبحاً (أنظر ٣:٦) فلن يصبح لهذا المنطق معنى.

(٢) إن الكلمات «شعب الأرض» عامة حتى أن معناها مفهوم من السياق مع أنها أصبحت اصطلاحاً معروفاً يدل على الجهلاء والعامة. وهنا تعنى السكان المحليين على وجه العموم الذين أظهروا عداوتهم بواسطة الجماعة المذكورة فى الأعداد من ١-٣ وفى حجى ٢:٤ كما أنها تعنى على نفس المستوى نوع المجتمع اليهودى.

أعمال وإكراههم بالتهديد للتوقف عن العمل (الآية ٤ ب). ولم يقنعوا بكل هذه الوسائل، بل لقد حاولوا إبطال مشورة ضحاياهم وتشويه العمل الذى يقومون به فى نظر السلطات الحاكمة، بل لقد كانوا على استعداد للاستعانة بمأجورين (الآية ٥) يساعدونهم على تحقيق مآربهم الماكرة.

ولنا أن نعجب للنجاح الذى حققوه. فقد كانت خطوط الإمداد من لبنان (٣:٧) طويلة، وقابلة للعطب، ومن ثم أحسّ المجتمع الجديد بأنه مكشوف أمام هجمات الأعداء وأنه محاط بهم من كل جانب، وكما كشفت عنه كرازة حجى كان معرضاً للإغراءات التى تحمله على تلمّس الأعذار لتأجيل العمل فى بناء بيت الرب بدعوى ضخامته وفداحة تكاليفه (انظر حجى ١:٢-٤). ولقد استمرت الضغوط الموجهة ضدهم قائمة قرابة ١٦ سنة، حتى سنة ٥٢٠ قبل الميلاد، ولقد كان لها تأثيرها الواضح كما يتبين من الآية ٢٤.

أعداد ٦ – ٢٣ فترة فاصلة اضطهادات أخرى

إن أية فكرة تنطوى على أن اليهود قد غالوا فى تقييمهم لأعدائهم ما تلبث أن تتبدد حين نلقى نظرة خاطفة على الأشياء التى سوف تأتى (انظر الملاحظات الافتتاحية على هذا الفصل فيما أسلفناه)، وأيا كانت الحقيقة فإن الأمر الذى يبدو لنا هو أنهم قللوا من تقييمهم لله.

عدد ٦ : «أحشويروش»: هو اسم مألوف لنا من سفر أستير، وهو الصيغة العبرانية للاسم الفارسى والذى صيغته اليونانية اجزركسيس. ومن الواضح أنه الملك أرتحشستا الأول (٤٨٦ – ٤٦٥ ق.م.) وذكره هنا يميز ببساطة فترة زمنية لم تفتر فيها مقاومة الأعداء. ولكن من الواضح أنها لم تُسفر فيها محاولاتهم عن أى شئ.

أعداد ٧ – ٢٣ : «ارتحشستا الأول حكم من سنة ٤٦٤ إلى سنة ٤٢٣، وهو الملك الذى غطى حكمه (فى رأيى) [١] الأحداث التى عرض لها الأصحاح السابع من سفر عزرا إلى نهاية سفر نحميا. وتوضح لنا الشكاوى التى قُدمت إليه ونتائجها ليس

---

(١) سنذكر وجهات النظر الأخرى فيما بعد عند مناقشة الترتيب لعزرا ونحميا أو نحميا ثم عزرا.

فقط المقاومة التى لا هوادة فيها من جانب أعداء إسرائيل، وإنما أيضاً عدم يقينية الاعتماد على رعاية ملك عظيم- حيث أن هذا الملك هو الذى تحمل أعباء إرسال عزرا المصلح إلى أورشليم. كما يتضح فى غير لبس أو غموض دقة وحساسية مهمة نحميا. من حيث أنها كانت تستلزم الوصول إلى تغيير سياسة الملك إلى عكس ما كانت عليه سالفاً، وقد أتيح لنا أن نرى فى الآية ٢١ المنقذ الذى دبرته العناية الإلهية والتى أفسحت المجال لمثل هذا التغيير.

عدد ٧ : نستطيع أن نحكم على هذه الآية من خلال قائمة الأسماء الجديدة فى الآية ٨ ب. حيث أنها على الأرجح قائمة بذاتها، وتذكر ببساطة (كما هو الحال فى الآية ٦) بعث رسالة وإن كانت لا تقدم أية تفصيلات عنها. وفى تلك الحالة فإن الآيات ٦- ٢٣ تخبرنا ليس فقط عن شكوتين بل عن ثلاث شكاوى منفصلة، وأن الأخيرة هى التى نجحت فى هدفها.

«بشلام»: قُرئت Bishlem فى الترجمة السبعينية «بسلام» والتى تسمح الحروف الساكنة بقراءتها على هذا النحو، ومن هنا جاءت العبارة فى الترجمة الإنجليزية الحديثة على هذا النحو: بالاتفاق مع مثردات [١] قام طبئيل.. «بالكتابة إلى». وقد تكون هذه الترجمة صائبة، وذلك لعدم وجود لفظة "and" (أى حرف العطف) بين الكلمتين فى الأصل.ويتكرر التعبير فى الأرامية فى ختام الآية أى أنها كتبت باللغة الأرامية المقروءة والمنطوقة [٢].

---

(١) جاء ذكره فى ٨:١، ومن الواضح أنه موظف فارسى كانت مساندته للعمل مفيدة. أما طبئيل فهو اسم أرامى لقائد محلى غالباً.

وقد ذكر شئ عن شخص آخر هو «ابن طبئيل» فى إش ٦:٧ فى إطار مخطط أرامى.

(٢) إن الرسالة مكتوبة بالأرامية ومترجمة بالأرامية قد تعنى الرسالة المكتوبة والمقروءة أو المنطوقة وكلمة مترجمة مأخوذة من الأصل العبرى ترجوم والتى تعنى أساساً الترجمة الشفوية للمقطع الكتابى إلى الأرامية بعد قراءتها فى المجمع.

أعداد ٨ وما يليها: إن هذه الرسالة والإجابة عليها، ليست فحسب ما «دوِّن بالأرامية»، ولكن كل ما كُتب حتى الآية ٦:١٨ قد كُتب بالأرامية أيضاً، وهكذا أيضاً ٧:١٢- ٢٦.

ولكى تقف على الأسباب المقترحة لهذا الأمر (انظر الملحق).

ولقد جاء تكرار الآيات التالية القليلة من ناحية بسبب الصيغة الجارية لكتابة الرسائل (حيث الكلمات "and now" (.١ج ، ١١ج) هى المرادف لعلامة البدء بفقرة جديدة) ومن ناحية أخرى بسبب قرار الكاتب إعادة صياغة التمهيد ورفع المستوى (٩ و.١) جنباً إلى جنب مع الإطار الخاص لروايته (٨ و١١أ). وتقدّم لنا ترجمة NEB صيغة أكثر حداثة تعرض لنا الآيتين ٩ و.١ بمثل هذا التمهيد (من رحوم.. الخ)، والآية ١١ (أ) باعتبارها ملاحظة للكاتب، وبعد ذلك الآية ١١ ب، ١٢- ٢٤ كالعنوان وصُلب النص.

العددان ٩ و.١ : كان هدف القائمة الطويلة، وكذلك الثناء المفرط على صفات الطاغية أستفر (أشور بانيبال ٦٦٩ - ٦٢٧ ق.م) أن يكون لها تأثيرها على هذا الملك الطاغية، والذى استأصل مثل أسلافه شعوباً بأكملها (قارن الآية ٢). إن اللقبين «العظيم والشريف» يذكرانا بالتعليقات اللاذعة على مثل هذه الألقاب، والتى نجدها فى لوقا ٢٢ : ٢٥ و٢٦؛ وإشعياء ٣٢: ٥- ٨ على التوالى. ولكن كتبة الرسالة إلى الملك لم يكن يعنيهم شيئاً من الحقيقة قدر عنايتهم بالإفراط فى التأنق اللفظى: إذ كان كل همهم هو الضغط عليه بادعاء أن رسالتهم معبِّرة عن جميع من يقيمون فى الولاية [١]، وأنها صادرة عن خوفهم على المصالح العليا للمملكة (قارن ١٣- ١٦).

---

(١) التعبير المذكور «عبر النهر» يستخدم دائماً كاسم لمكان وليس كصفة لبلاد على شاطئ النهر وأما تعبير (ولاية) المستخدم فى بعض الترجمات الأخرى فلا وجود له فى الأصل. وكان يحكم تلك المنطقة الواسعة التى تشمل سوريا وفلسطين حاكم أو والى يقسم المنطقة إلى ولايات مثل السامرة، يهوذا، عمون.. الخ. انظر أيضاً ٥:٣.

عدد ١٢ : «إن اليهود الذين صعدوا من عندك» أى من عند الملك قد يكونون جماعة عزرا التى خرجت فى عام ٤٥٨ ق.م. (انظر الأصحاحات ٧- ٩)، أو جماعة أخرى جاءت بعد ذلك. وعلى أى حال، فلقد انقضت فترة من الزمن قبل أن يتهيأوا للإقدام على عملية بناء الهيكل والتى كانت الدافع وراء بعث هذه الرسالة، وذلك بعد إصلاحات عزرا الدينية وما نجم عنها من أسى ساحق للقلوب. وإن كل شئ يشير إلى تاريخ يقترب من سنة ٤٤٥، وهى السنة التى سمع فيها نحميا الأخبار التى لها صلة (كما أرى) بالآية ٢٣ (نح ١ :٣).

وليس هناك من حاجة إلى التأكيد على أن « الأسوار» والأسس هى تلك الخاصة بالمدينة، وليست الخاصة بالهيكل، ولكن كان هناك فى غالب الأحوال خلط بين العمليتين. ففى عهد الملك الفارسى أرتحشستا كان قد انقضى نصف قرن على إقامة الهيكل الجديد، وسوف تعود بنا الرواية إلى قصته فى الأصحاح الخامس.

ولقد بقى الموقف المتصل بالولاء فى حالة من الاستمرار، وتقوّى بإلماح الكاتب إلى أكل ملح الملك فى الآية ١٤، بمعنى أنهم يعتبرون أنفسهم على صلة ورباط وثيق بالملك من خلال تمتعهم بروابط الضيافة. ولكن الأمر فيما يتصل بالقارئ الذى له إلمام بالوضع الخطير الذى كان عليه اليهود فى ذلك الوقت، فإنه يرى فى هذا القول نوعاً من السخرية من هذه المبالغة فى الإنذار بالخطر، ومع ما صاحبه من تصعيد لما سوف يؤدى إليه الموقف من امتناع اليهود عن أداء الجزية المفروضة عليهم مما يضر بخزانة الملك (الآية ١٣). وأنه لو حدث مثل هذا الأمر منهم، فإنه سوف تكون لهم اليد الطولى على المنطقة التى عبر النهر بحيث لا يعود للملك أى سلطان عليها (الآية ١٦).

أعداد ١٧ - ٢٣ : والأمر الذى يثير الدهشة فى هذا الموقف هو رد الفعل الرسمى عليه: الذى قام على نتيجة غير مألوفة استخلصت من البحث فى أخبار الملوك بطريقة لا تدل على الفهم. ذلك أن الأيام العظيمة لداود وسليمان (الآية ٢٠) وحتى غالبية أسلافهما الملهمين، لم تعد سوى ذكريات عن عهد مضى وانقضى. ولكن هناك ومضة من الفطنة والوعى السليم نجدها فى الجملة الأخيرة من الآية ٢١: «حتى يصدر منى أمر». وهذه قد جعلت من الممكن إعادة النظر فى السياسة القائمة

يصاحبها وبمقتضى عناية الله وإعادة النظر أيضاً فى إرسالية نحميا. ولقد أحبط المرسوم إلى حد ما، مشورة الذين سعوا إلى إلغاء ما سبق أن أصدره الملك كورش من أمر إلى اليهود. ذلك أن الأمر كان يتضمن التوقف عن العمل وليس هدم وإحراق ما تم فعلاً (نحميا ١ :٣). ومن هنا فإن تخطى السلطات المحلية لحدود اختصاصهم استدعى تأنيبهم على ما أقدموا عليه. ما أضعف مركزهم.

عدد٢٤ استئناف الرواية : إن كلمة «حينئذ» قد تُشير للوهلة الأولى إلى الآية السابقة لهذه الآية مباشرة، بيد أنه لن يكون لها معنى، إلا إذا التقطت الخيط من الآية ٥ والذى سقط بسبب الاستطراد الطويل الذى كان من المحتم وضعه بين الآيات ٦- ٢٣. إن الوقت الآن هو وقت زربابل، كما أن الآية تنتهى بنفس العبارة التى وردت فى الآية الخامسة، «من ملك داريوس» ملك فارس، ولكن ما قيل لنا الآن هو ما توقفت العبارة القصيرة السابقة عن قوله: إن العمل لم يُعوّق فحسب وإنما توقف، كما عرفنا فى أية سنة من حكم داريوس انتهت هذه الورطة.

الأصحاح الخامس
التشدّد لإعادة البناء

شأن كل تقدم روحى، منذ زمن إبراهيم إلى زمن المدّ المُرسلى فى سفر أعمال الرسل، كان أيضاً شأن هذا العمل الجرئ الذى بدأ بكلمة من الرب. وكأمر مشترك مع الباقى، سرعان ما أصبح محلاً للامتحان والتهديد. وهذا الأصحاح والذى يليه يعرضان لنا نتاج ما حدث، ويوجزان الجزء الأول من قصة إسرائيل بعد زمن السبى.

العددان ١ و٢ : الله يكسر الصمت : من الأمور السعيدة أننا نمتلك نفس كلمات النبيين حجيّ وزكريا، وأنه فى مقدورنا أن نرى فى سفريهما ليس فقط المغايرة الآسرة بين هذين النبيين (حجى المتكلّم الصريح الذى يضع النُّقط على كل حرف، فى حين أن زكريا كان غامضاً ولغزاً ومتحدثاً بلغة الرؤيا) ولكن كان هناك فى نفس الوقت الإصرار على الكرازة التى تتناسب مع الموقف القائم وتطورات المشروع. ولقد كان خلف هذه الكلمات البسيطة «ومعهما .. يساعدونهما» شئ أعمق مما تقع عليه العين: أربع سنوات من العون الصادق الأمين والاحتضان الواقعى للمشروع القائمين على تنفيذه.

ولا يجب أن يخفى علينا التذكير الرقيق بمسئولية البشر ومعونة السماء فى التعبير: «إله إسرائيل (كان) عليهم» بنهاية الآية الأولى من عزرا ٥ [(١)]. إن هؤلاء العاملين لم يكونوا يعملون اعتماداً على أنفسهم، بكل ما تحمله هذه العبارة من معنى.

---

(١) وردت هذه العبارة بحروف مميزة، ومع ذلك فإنها فى الأرامية تأتى فى كلمة واحدة، قد تعنى «لهم» أى أنهما تنبآ لهم.

بيد أن هذا لن يضيف شيئاً لما سبق قوله، والكلمة التى نحن بصددها مأخوذة فى هذا السياق من الفعل «تنبأ» وهو أول كلمة وردت فى العبارة الأرامية (وكذلك العربية).

أعداد ٣ - ٥ الموظفون الرسميون يرتابون : لقد حدث التدخل من جانب الرسميين حالما تبيّن لهم أن عملية البناء تمضي وبحماس. ولقد كان هذا أمراً مفهوماً. كانت الإمبراطورية تموج بالثورة على امتداد العامين الأولين من حكم داريوس، والآن يبرز إلى الوجود هذا النمط من النشاط المحلي. لقد فكّروا في أنفسهم لماذا البناء «بحجارة عظيمة» (الآية ٨)؟ أهذا مجرد هيكل ، أم أن وراء هذا أمر آخر يستهدفه اليهود ؟. ومن الواضح أنه كان من واجب الحاكم المحلي أن يبحث وينقب عن دوافع هذا العمل، طالما اجتذب انتباهه. وليس هناك من شك من أن الأعداء المحليين لليهود قد سارعوا من جانبهم بإخباره. وتذكر الوثائق البابلية التي تعود بتاريخها إلى سنة ٢٠٥ ق.م، اسم «تتناى» (وهو أمر مشكوك فيه) ووظيفته وهو أمر مؤكد «حاكم عبر النهر» [١]. كانت يهوذا داخلة في نطاق ولايته بالإضافة إلى سورية وفلسطين، ويبدو أن تتناى هذا كان مسئولاً أمام موظف آخر أعلى منه شأناً يُدعى أوشتاني Ushtani وكان والياً على تلك الولاية الفارسية المكونة من بابل وعبر النهر. ومن المسلّم به أن «شتر بوزناى» كان مساعد تتناى، في حين تذكر الآية ٦ «رفقاءهما» كحكام أو مفتشين [٢] (حسب ما جاء في الترجمة NEB). ومن هنا يتبيّن لنا أن هؤلاء كانوا عُصبة كبيرة. ولقد كان طلب المسوغات، وخاصة الأسماء، من الأمور التي تنذر بمخاطر جديدة. كانت المسوغات والمستندات موجودة فعلاً، وإن كان يصعب العثور عليها لاقتضاء سنوات طويلة على صدورها، كما أن الأسماء المدّونة في هذه الوثائق يمكن أن تكون عوناً، ويمكن في الوقت نفسه أن تكون سبب إزعاج وخطر، وهذا أمر متروك للحظ. إلا أنه «كانت» على شيوخ إسرائيل «عين إلههم» وهي أفضل من ضروب الحظ والصدف. ولقد ظهر بوضوح استقامة هؤلاء القادة اليهود ، ما لم يدع لخصومهم أي مجال للعمل المباشر ضدهم، ولم يتعد الأمر سوى رفع تقرير ضدهم لم يكن له أي مبرر. إن ما أجرته كلمة الله (عزرا ١:١) كان

---

(١) انظر كتاب ريني A.F. Rainey المرزبانية، وهي ولاية فارسية قديمة عبر النهر.

(٢) الكلمة لم ترد إلا في هذه الآية وفي (٦:٦). ويبدو أن كلمة الأفرسكيين ترجع إلى أصل فارسي. وقد جاءت للتمييز بينها وبين كلمة «والي» الواردة في الآية ٣.

مشمولاً بعنايته، وعلى النحو المألوف على الدوام، ذلك أن عينه الفاحصة كانت ترعاه. وهنا لم يكن هناك من شئ سوى الخوف يمكن أن يوقف العمل.

أعداد٦ - ١٧ التقرير إلى داريوس :

لقد كان كاتب هذا السفر مؤرخاً جيداً، إذ أنه يقدم لنا مادة من الدرجة الأولى من الأهمية حيثما كان الأمر فى مقدوره، وهنا كما فى ٤:١١ نجد أن «صورة الرسالة» شأن ما جاء فى ١:٢-٤، ٦:٢-٥، أخذ مادتها جميعاً فى السجلات ثم بعد ذلك من مذكرات كل من عزرا ونحميا.

عدد ٦ : راجع التعليق على الآية ٣ فيما يختص بعبارة «عبر النهر» (والتى تعنى غرب نهر الفرات) وكذلك بالنسبة للفظة الوالى.

عدد ٨ : إن استخدام شخص من خارج شعب اليهود لتعبير «الإله العظيم» من المحتمل أنه لا يعنى أكثر من «إلههم الرئيسى». وكما لاحظنا فيما سلف (من التعليق على الآيتين ٣-٥). فإن عبارة «الحجارة العظيمة» قد أثارت الشكوك فى أن الدافع وراء هذا المشروع أمر خفى. أما ذكر عبارة «يوضع الخشب فى الحيطان» فتبين أسلوب البناء المتبَّع فى عهد سليمان (١ ملوك ٣٦:٦، قارن عز ٤:٦ والذى يصف نفس نسبة الحجر إلى الأخشاب وعلى النمط الذى جرى استخدامه فى عهد سليمان). لقد كان من المألوف فى ذلك الحين وضع صفوف من الخشب من وقت لآخر بين الأحجار أو الأجرّ، وقد استمر هذا الأسلوب فى البناء سمة بارزة لمدة طويلة فى مبانى الشرق الأوسط القديم، وقد يكون مرجعه الحاجة إلى تقوية المبانى لمواجهة خطر الزلازل [١].

العددان ١١ و١٢ : إن لقب الله الذى ذُكر فى هاتين الآيتين ربما كان له «نغمة مألوفة لدى الملك داريوس»، والذى كان عابداً غيوراً للإله أهورا مازدا «إله

(١) أنظر ما كتبه طومسون «وصف من روافد من خشب الأرز» ويلفت أكرويد الانتباه إلى هذا وما جاء فى (٦:٣-٥).

السماء»، ولا يستتبع ذلك أن نقول إن اليهود كانوا دبلوماسيين فى استخدامهم مثل هذا التعبير، كما لو كان الأمر يحتمل إمكانية عبادة «إله السماء» تحت أسماء وأساليب متنوعة. إن مثل هذا الأمر قد انتهى الحسم فيه بالنسبة لهم[١]. بل إن استخدام مثل هذا اللقب كان فيه نوع من التحدّى أكثر من كونه يتضمن التوافق، وتؤكّد لنا الآية ١٢ أن السبى لم يكن هزيمة لهذا الإله العظيم، بل كان مَظهراً من مظاهر ممارسته لقوته وعصا تأديبه.

عدد ١٤ : إن شخصية «شيشبصر» كانت فى واقع الأمر موضوعاً لمناقشة مطوّلة، ولسوف نعرض لها بالبحث والمناقشة فيما بعد. وهذه الآية الحالية هى وسيلتنا لمعرفة تعيينه والياً (بالعبرانية Peha) [٢]، وهو المنصب الذى يشغله الآن زربابل (حج ١:١).

عدد ١٦ : إننا نقف من هذه الآية فقط على أن شيشبصر هو الشخص الذى افتتح استئناف العمل فى المشروع الذى توقف فجأة كما ذكر فى الأصحاح الثالث. وعدم ذكر اسمه فى ذلك الأصحاح يمكن تفسيره إما بكونه قد لعب دوراً رسمياً فقط فى العمليات الجارية، أو بحسب النظرية التى تقول بأن شيشبصر كان الاسم البديل والرسمى لزربابل، ومن ثم كان هذا هو الاسم الصحيح الذى يجب البحث عنه فى السجلات (قارن الآية ١٧).

عدد ١٧ : إننا أمام قدر ضئيل من التثبّت من أننا نقرأ نسخة أصلية من الرسالة (قارن ١٦أ). والتى تطلبت البحث عنها فى سجلات بابل، حيث نجد معلومة عنها فى مكان آخر، وذلك ما يبينه الأصحاح التالى.

---

(١) انظر على سبيل المثال إش ٤٢:٨، ٤٣:١ الخ، ٤٤: ٦- ٨، ٤٥:٥ - ٧ و٢٢- ٢٥.

(٢) كلمة «رئيس» (عزرا ١:٨) فى حد ذاتها، ربما لم تكن تعنى سوى أنه كان العنصر البارز فى المجتمع اليهودى، أما فى عز ٢:٦٣ فلم يذكر اسم للحاكم.

الأصحاح السادس

إتمام بناء الهيكل

يصل بنا هذا الأصحاح إلى الخاتمة السارة للسنوات العشرين الأولى من العودة إلى أرض الوطن، وتختم ما نعرفه عن زمن زربابل ويهوشع. إن عهداً جديداً يبدأ، هو عهد عزرا ونحميا، ويستهل فى الأصحاح السابع بحياة بعيدة تماماً عن هذه الأحداث.

أعداد ١ - ٥ اكتشاف مرسوم كورش :

إن اتساع رقعة الإمبراطورية الفارسية والتأخير الذى قد تستدعيه تلك المسافات المتباعدة والذى يستبين بوضوح من الفترة التى انقضت ما بين الاستعلام الصادر من فلسطين، والذى أرسل إلى بابل، وتم الرد عليه أخيراً من السجلات الموجودة فى اكبتانا [١] ومهما كان ما تسفر عنه النتيجة، فإن البنائين فى تلك الأثناء توفرت لهم الفرصة للإسراع فى عملية البناء وقد أحسنوا استغلالها.

وقد صادف الرأى الذى انتهى إليه أ. ج بيكرمان قبولاً عاماً، وهو أن النداء العبرانى المذكور فى عزرا ١ :٢- ٤، والبيان الأرامى أو «المذكرة» (بحسب ما جاء فى ترجمة NEB) فى عزرا ٦ :٢ج- ٥ لها كل دلائل المصداقية والحجيّة، وأنهما ليسا نمطين متنوعين لنفس البيان بل هما فى الواقع بيانان مستقلان لقضية واحدة . البيان الأول كان للمنادين لكى يقوموا بإعلانه فى حين أن البيان الأخير كان بياناً دقيقاً لسجلات رسمية متسماً بالاهتمام البالغ بالتفاصيل الإدارية المشار إليها بالقرار،

---

(١) بحسب ما يقوله بيكرمان فى موضوع المرسوم العالى الذى أصدره كورش فى عزرا (ص١) يشير إلى أن كورش أقام فى «أكبتانا» فى صيف أول سنة تولى منها الحكم كملك بابل، وهى السنة التى أصدر فيها المرسوم المشار إليه فى (١:١).

ليكون بمثابة وثيقة رسمية يمكن الرجوع إليها عند الحاجة. وهناك مذكرات مماثلة وجدت مدونة على أنواع مختلفة من المواد المستخدمة للكتابة (قارن الدَّرج المذكور فى الآية الثانية) اكتشف الكثير منها فى مراكز عديدة فى الإمبراطورية الفارسية. وهنا فإن الرد على الاستعلام المرفوع من تتناى ورفقائه ورَجاء متضمناً فقط المسائل المتعلقة ببناء الهيكل وآنيته والتى استخلصت بالقطع من وثيقة أخرى مطوّلة.

عدد ٤ : «إن الحجارة العظيمة» التى أثارت الريبة والشكوك من نوايا اليهود، وُجد الآن أنه مصرح بها رسمياً، إذ أن تعبير great stones مرادف لتعبير huge stones فى عز ٥:٨- وهى فى الواقع حجارة كانت لضخامتها تُدحرج ولا تُحمل بأية وسيلة من الوسائل. أما بالنسبة للنفقة.. فتعطى من بيت الملك، وهذه ليست إشارة رومانتيكية أو وهمية، بقدر ما كانت ضمانة منطقية للمشروع، مدفوعة برغبة الملك فى الحصول على رضا وشفاعة الآلهة التى أعاد كورش توطينها (انظر التعليق على عز ١:٢-٤). وليس هناك استخدام للمال العام أفضل من هذا، وإلى جانب ذلك فقد قضى بتحميل هذا الأمر على أموال الجزية التى تُجمع من ولاية عبر النهر وتوجيهها للإنفاق على هذا المشروع، وهو الأمر الذى لم يغفل داريوس الإشارة إليه (عز ٦:٨ و٩). ومن هنا فلن يحس سكان العاصمة بعبء هذا الأمر.

عدد ٥ : لقد ذكر الإفراج عن «آنية» الهيكل فى عز ١:٧-١١. أما هنا فإن الأمر القاضى بإعادة كل شئ إلى مكانه جاء ضمن التفصيلات الجيدة التى تتوافق مع اهتمام كورش بالرضا الإلهى الذى كان يتوخّاه. والأمر لا يحتاج إلى القول بأن العبادة المقبولة، يجب أن تكون صحيحة من جميع النواحى. وهنا نجد أن داريوس يؤمن بهذا القول، بل إنه قد يتقبل تضميناتها الأخرى بتزويد اليهود بالمواد التى يتطلبها تقديم المحرقات المقبولة من إله السماء وبطلبه الصلاة من أجل الملك وبنيه (عز ٩:٥ و١٠). إن الممارسة الحقة للديانات المحلية كانت فى الواقع من الاهتمامات الدائمة للسياسة الفارسية [١]، وكان لها نتائجها البعيدة المدى والتى تمثلت فى إرسالية عزرا للإصلاح الدينى، وهى موضوع الأصحاحات المتبقية.

---

(١) أنظر المقدمة : تحت عنوان : السياسة الدينية لملوك فارس.

أعداد ٦ - ١٢ داريوس يقرر رسمياً السماح لليهود بالعمل :

ليس هناك من حصيلة أكثر إيجابية وأكثر إثارة للدهشة من تلك الحقيقة التى حصرها وليم كاوبر William Cowper فى سطرين اثنين:

إن الغيوم التى تثير إلى حد بعيد مخاوفك وصرت تخشاها

حملت إليك فى ثناياها رحمة عظيمة تُظلّلك بطروف ظلالها...

ذلك أن جواب الملك داريوس جعل بناء الهيكل فى موقف أقوى بكثير جداً مما كانوا عليه قبلاً. ولقد أتاحت لزربابل أن ينتفع من الموارد المالية للدولة فضلاً عن أن الدولة قد أظلّته بحمايتها، ولم يعد هناك ما يخشاه من أدنى تدخل من جانبها.

العددان ٨ و ٩ : لقد ورد أول ذكر لاستخدام الموارد العامة للدولة فى الآية ٨، وترتب عليه ما ذكر فى الآية ٩، ولكى نقف على الدافع المحتمل لهذا الأمر ومغزاه فإنه يلزم الرجوع إلى الآية ٤ . ونستطيع أن نقف من القائمة التفصيلية للمواد التى تستلزمها العبادة (الآية ٩). على أن صياغة الأمر الملكى قد تطلبت الأخذ بالمشورة اليهودية. وقد تثبّت هذا بالدقة اللاهوتية فى صياغة الآية ١٢أ (حيث نرى الله يسكن فى هيكله «باسمه»، وليس بمقتضى أية ضرورة أو أي نوع من الحضور المادى- وإنما لأنه اختار أن يُعلن نفسه هناك (قارن تث ١٢:٥، ١ مل ٨:٢٧ - ٢٩).

عدد ١١ : إن كل إنسان «يُغيّر» هذا الأمر، يعنى أى من يحاول التعدّى عليه وانتهاكه (قارن رايلى Ryle). وهناك نوع من العدالة التى صيغت فى أسلوب شعرى، ذلك بأن العقوبة التى تُنزل بكل من يعبث ببيت الله تتم من خلال بيته. وقد تكون العقوبة أو لا تكون هى الإعدام على خازوق Impalement (الترجمة RSV ، GNB)، ومن المؤكد أن هذه الممارسة البشعة للعقاب لم تكن بدعة فى هذا العصر، وهو الأمر الذى توضحه الآثار الأشورية. ولكن القراءة الآرامية الحرفية: وحين يرفع عليها فإنه يُضرب. وجاءت فى الترجمة الإنجليزية فى NEB ليعنى «يتثبّت عليها

فى وضع مستقيم ويُضرب بالسياط»، بينما نجد أن مفهومها فى المعجم العبرانى الإنجليزى للعهد القديم BDB : على أنه أسلوب من أساليب الصلب، وهو ما نجده فى ترجمتنا العربية: تُسحب خشبة من بيته ويُعلّق مصلوباً عليها [(١)]، أو يُشنق كما جاء فى إسدارس الأول ٦:٣٢. إن القاعدة المشتركة بين هذه العقوبات هو تنفيذها بشكل علنى ليلحق بمن تُوقع عليه الخزى ولتكون فى نفس الوقت تحذيراً للآخرين. ومما يدخل الارتياح إلى نفوسنا أن نعرف أن الشريعة اليهودية قد وضعت قيدين حاسمين على مثل هذه الممارسة: أن تكون العقوبة قد نُفذت فى المذنب قبل عملية الصلب، ثم بعد ذلك تُعلق جثته على الخشبة (تث ٢١:٢٢ لاحظ التتابع بين الحدثين تنفيذ العقوبة أولاً ثم التعليق على الخشبة أى الصلب)، والقيد الثانى أن لا تستمر الجثة معلقة لفترة طويلة على الخشبة (تثنية ٢١ :٢٣).

أما مسألة جعل بيت المذنب «مزبلة» أو مصادرته (كترجمة NEB) فهو أمر موضوع مناقشة، كما يتضح ذلك من هامش ترجمة NEB ، ودانيال ٢ : ٥ ، ٣ : ٢٩ [(٢)].

إن العبارات القومة فى رسالة الملك والتى تضفى عليها الحيوية تستحق منا أن نلقى الضوء على مضمونها. فبالنسبة للتدخل الخارجى نجد عبارات تدعو الوالى ورفاقه إلى عدم التدخل فى شئون اليهود مثل «ابتعدوا من هناك».. ومن ناحية تزويدهم بكل ما يحتاجون إليه: «تُعطى النفقة عاجلاً».. وما يحتاجون إليه.. لتُعط

---

(١) بمعنى أنها تأخذ كلمة «يُضرب» بمعنى «يُسمر». أما «مايرس» فهو وإن لم يلزم نفسه بهذا الرأى إلا أنه يذكر نقلاً عن هيرودُت أن داريوس صلب . . . ٣٠٠٠ من البابليين حين احتل المدينة. أما «رايلى» فيلفت الانتباه إلى المعنى الذى اكتسبته كلمة «رُفع» (الإضافة إلى معناها المعتاد) كتعبير يشير إلى الإماتة- على «خازوق» أو «الصلب»، ويشير إلى المعنى المحتمل لهذا فى استخدام ربنا يسوع للغة مجازية فى يو ٢:٣٢ (وأنا إن ارتفعت.....).

(٢) الترجمة السبعينية هنا وفى اسدراس ٦:٣٢، تأخذ الكلمة الأرامية†newqlu بمعنى مصادرة (لصالح الملك). لكن إذا تُرجمت حمأة (كومة روث) أو «دمار» ستجد من يؤيد هذا المعنى. والترجمة السبعينية فى سفر دانيال أخذت كلمة مشابهة†newali† بمعنى هدم أو تدمير.

لهم يوماً فيوماً حتى لا يهدأوا. وبالنسبة للإجراءات القانونية: أنا «داريوس قد أمرتُ فليُفعل عاجلاً». إن الدوافع السياسية لهذه الأوامر الصريحة والمباشرة والعاجلة قد تكون متعددة، من بينها رغبة الملك فى إظهار احترامه لسياسات الملك كورش، وكذلك لتوفير جو من الاستقرار فى جزء من الإمبراطورية كانت له أهميته بالنسبة للمواصلات مع مصر، فى وقت انتشرت فيه القلاقل والاضطرابات والتى لم تهدأ إلا منذ أمد قصير.

ولكن كان وراء كل هذا مسائل تفوق السياسات الإمبراطورية، وتتيح قدراً أكبر من الأمان والاستقرار لإسرائيل تفوق المشاعر الطيبة والإدراك السليم للملك الفارسى. إنها «العناية الإلهية المتجهمة». كما قال «كاوبر»، والتى تسمح للمقاومة بأن تدق ناقوس الخطر، وإن كانت فى نفس الوقت لا تخفى «وجهها الباسم»: لقد أعطت دافعاً جديداً للأحداث باستثارة الإيمان والشجاعة فى قلوب البنائين وانسياب نبع دافق من الولاء الملكى الصادق الذى وفر لهم العون المادى.

أعداد ١٣ - ١٥ : على الطريق لإتمام البناء :

عدد ١٣ : إن تعبير «عملوا عاجلاً» يُعد بمثابة الحقيقة أو الفكرة الرئيسية فى هذه الأصحاحات، إذ يُعبِّر أولاً عن الأسلوب الذى عالج به البناؤون عملهم (عز ٥:٨)، وثانياً ما كان يتطلبه أمر الملك من عمل ملحّ وعاجل (٦:٨ و١٢) [(١)]، وأخيراً التعاون الكامل من السلطة المحلية معهم (٦:١٣). ولقد عمل «تتناى»، كوالٍ محلىّ بمسئولية كاملة، من حيث أنه انتظر من أجل الحصول على تصديق للاستعلام الذى بعث به مع رفقائه إلى الملك (٥:٥)، وبعدها وضع أمر الملك موضع التنفيذ الفعلى بكل دقة، وبدون إبطاء، ومن هنا لم يكن مثل سنبلط.

عدد ١٤ : لقد تمهلنا عند الآيتين ٥ : ١ و٢ لملاحظة دور النبيين الذى كانا يحمل بذور التطور فى المستقبل، والذين أعادت كلماتهما الحياة إلى وضع ميت، وحملت

(١) «بالتمام» وهى ترجمة مختلفة لنفس الكلمة الأرامية المترجمة «عاجلاً» (٦:٨). لاحظ أيضاً ٧:١٧ و٢١، بل جاءت بهذا المعنى مشدداً فى ٢٦:١٧. ومع ذلك فإنه فى المراسيم الملكية يبدو وأنها تأتى لمجرد التأكيد الرسمى.

زعيمين هادئين إلى حظيرة الإيمان والعمل. والآن اكتسب المسرح عمقاً وقوة دافعة كما تبدّى ذلك من «الشيوخ» وهم الذين فى المرتبة التالية من القادة. فلقد أخذوا بزمام العمل وامتلأوا بالحماس والقوة الدافعة لإتمامه، بينما كان فى خلفية المسرح أولئك الملوك المتتابعين بأوامرهم الملكية وفى القمة «أمر إله إسرائيل» [١]. وهذا هو نموذج للكيفية التى يعمل بها الله والأدوات التى يستخدمها.

إن ذكر (أرتحشستا، الذى ينتمى إلى القرن التالى، يمضى بنا إلى الأمام إلى إعادة ترميم أسوار المدينة بواسطة نحميا، والذى منحه هذا الملك سلطة إنجاز هذا العمل. إن اسمه كالراعى الملكى الثالث لإعادة الاعتبار إلى إسرائيل وإصلاح أحوالهم، قد أضيف هنا لإكمال الصورة، إما بواسطة كاتب السفر نفسه أو بواسطة كاتب آخر قديم [٢].

عدد ١٥ : لقد اكتمل بناء الهيكل فى الشهر الأخير من سنة ٥١٦ ق.م. [٣] وذلك بعد انقضاء أربع سنوات ونصف السنة فحسب على دعوة حجى الأولى لليهود

---

(١) الفرق الوحيد بين «الأمر و «المرسوم» هو التغيير المصطنع فى الحروف الذى أتاه الماسوريون كبادرة تنم عن التوقير. وتستخدم الترجمة السبعينية نفس الكلمة بالنسبة للحالتين، وهكذا أيضاً جرت عليه بعض الترجمات الأخرى.

(٢) كانت موجودة من قبل فى نص الترجمة اليونانية. وقد ينتج عن ترجمة GNB تناقضاً لأنها أضافت للآية (١٤) كلمة «الهيكل» (وأكملوا الهيكل حسب...).

فى حين أن الترجمة الأرامية بتعبيراتها التى تميل بالأكثر إلى التعميم أتاحت الفرصة للإشارة بعد ذلك إلى أرتحشستا « فاستكملوا البناء» (انظر ترجمة كتاب الحياة) وذلك قبل العودة بوضوح إلى «الهيكل» فى الآية ١٥.

(٣) هذا الشهر الذى يأتى قبل شهر أبيب/ نيسان (الذى يحل فيه عيد الفصح)، يعادل تقريباً شهر فبراير/ مارس. وجاء فى إسدراس ٧:٥ اليوم الثالث والعشرون، وليس اليوم الثالث. إلا أنه سواء كانت هذه هى القراءة الصحيحة والتى سقطت منها كلمة فى النسخ المتداولة بيننا، أو أن إسدراس الأول اختار تاريخاً يسمح بعده مباشرة بأسبوع تقام فيه الاحتفالات بالسنة الجديدة فإن هذا (فى رأى برو كنجهام) أمر لم يُحسم بعد.

للعمل. وعلى هذا فلقد بدأت هذه المغامرة الإيمانية فى ظروف صعبة (حج ١:٦-١١) واستمرت إلى «يوم الأمور الصغيرة» (زك ٤: ١٠) والتحقيقات المشئومة المنذرة بالسوء (عز ٥:٣-٥)، وانتهت أخيراً إلى النصر. ولقد كانت أيضاً- على الرغم من أنه لم يذكر شئ بشأنها هنا- بعد انقضاء نحو سبعين سنة على دمار هيكل سليمان على وجه التقريب (قارن زكريا ١:١٢- ١٧).

أعداد ١٦ - ١٨ : تدشين الهيكل :

إن الكلمة التى تُقابل «تدشين أو تكريس» هى الكلمة العبرانية haknuka والتى أصبحت فيما بعد اسماً يطلق على الاحتفال بذكرى إعادة تكريس الهيكل فى سنة ١٦٥ ق.م. بعد أن دنّسه أنطيوخس أبيفانس (قارن يوحنا ١٠ :٢٢ - ٢٣). ولكنها الآن تُطلق على أى شئ يُعمل جديداً ويكرّس من أجل الله سواء أكان مذبحاً أو بيتاً لشخص (تث ٥:٢٠). أو سور مدينة (نح ٢٧:١٢). وحتى تعليم الطفل وتهذيبه يُمكن التعبير عنه بمثل هذه اللغة (أم ٦:٢٢ فى العبرية)، على الرغم من أنه ليس من السلامة فى شئ أن نمضى طويلاً فى هذا السبيل.

ولقد كانت القرابين تكلف كثيراً، وإن كانت لا تقارن بالذبائح التى قدمها الملك سليمان يوم تدشينه لهيكله والتى بلغت ٢٢ ألف ثور و ١٢٠ ألف رأس من الغنم (١ مل ٦٣:٨). ولكن المقابلة تعطينا فكرة واضحة عن ذلك المجد الذى لم يُقدّر له أن يُعمّر طويلاً. وهذه المجموعة المطحونة التى لا ملك لها كانت كل ما تبقى فى الظاهر منها. وعبارة «ذبيحة الخطية عن كل إسرائيل» كانت تعليقاً واضح الدلالة جداً، ليس عن سليمان وإنما عن الأمة بأكملها. وكانت اعترافاً بالفشل، وفى نفس الوقت اعترافاً بالإيمان. لقد كانت الكفّارة ما تزال قائمة، وكذلك العهد مع الشعب «بأكمله»- من ثم كان هذا مغزى تقديم الاثنى عشر ذبيحة.

عدد ١٨ : سفر موسى : لقد تحددت واجبات الكهنة واللاويين الأساسية، وما بينهم من تمييزات فى هذا السفر (قارن مثلاً عدد ١٨)، إلا أن «أقسام الكهنة وفرقهم» كانت من عمل الملك داود : انظر التعليق على عز ٢: ٣٦-٣٩. ولاحظ أن هذه الآية تُسلّم بأن أولئك المسبيين العائدين كانت لديهم معرفة بشريعة الكهنوت قبل أن يجئ عزرا لوضعها موضع التنفيذ الفعلى بوقت طويل.

أعداد ١٩ - ٢٢ عيد الفصح البهيج المفرح :

تم الاحتفال بالعيد بعد بضعة أسابيع من تدشين الهيكل (انظر التعليق على الآية ١٥). ولقد كان من المناسب جداً أن تتحول لغة القصة الآن إلى العبرية، ولم ترجع إلى الأرامية إلا عند حديثها عن رسالة الملك ارتحشستا فى ٧:١٢- ٢٦ (ومن الملاحظ أن القطاع الأرامى الذى قد انتهى الآن ما لبث أن ابتدأ مرة أخرى بهذه اللغة بتلك الرسالة فى ٤ : ٨- ١٠).

عدد ٢١ : هذه آية حاسمة لتصحيح الانطباع الذى يمكن أن نكون قد اكتسبناه من ٤:١- ٣ عن تلك الطائفة التى استبعدت بقسوة من المجتمع الإسرائيلى: وهذا الانطباع ما يلبث أن ينتهى بعد نضال مرير، ولكن فى الواقع لقى هؤلاء الذين استبعدوا كل عدم ترحيب واستياء من بقية أعضاء المجتمع الإسرائيلى. أما الذين تحوّلوا إلى الدين اليهودى، فلقد وجدوا الباب مفتوحاً على مصراعيه أمامهم على غرار ما حدث بالنسبة لراحاب وراعوث.

عدد ٢٢ : إن لفظة أشور هنا تثير دهشتنا. فلو كانت خطأ فى عملية النسخ، فلابد أنها قد حدثت فى وقت مبكّر، ذلك أننا نجدها فى الترجمة السبعينية LXX، وأيا كان الأمر، فلربما كان المقصود بها إيقاظ الذاكرة بالظالم التقليدى (قارن نحميا ٩:٣٢)، الذى ورثت بابل إمبراطوريته أولاً ثم تلتها فارس، أما سياساته فقد انقلبت الآن إلى عكسها تماماً [١]. وهكذا تنتهى المرحلة الأولى لجيل طويل من إعادة الاعتبار لإسرائيل، ولقد افتتحت عندما نبّه الرب روح كورش (عز ١:١) واختتمت بتحويله قلب أحد خلفائه من ملوك فارس الأقوياء للعمل من أجل إعادة الاعتبار لإسرائيل.

وعند هذه النغمة المفرحة تنقطع الرواية، لتمضى تلك الفترة الطويلة الصامتة ما بين زمن زربابل وزمن عزرا. ولقد قطعت فترة الصمت فى ٤:٦ بملاحظة فريدة من عهد الملك أرتحشستا (٤٨٦ - ٤٦٥/ ٤). وهناك يحدثنا سفر أستير عن تلك

---

(١) يشير الفارسيون أنفسهم إلى هذه المقاطعة الأشورية السابقة باسم «أتورا».

الأحداث البعيدة التى جرت خلال ذلك العهد فى المدينة الملكية سوسه Sosa (شوشن القصر). أما فى أورشليم، فنجد ملاخى يتنبأ لفترة قصيرة سابقة على مجئ عزرا إليها، مقدماً لنا، مذاقاً حاداً لحالة تلك الفترة من الزمن ومزاجها والتى تشغل الأصحاحات ٧- ١٠.

الأصحاحات ٧ - ١٠
الناموس معيار الاستقامة

والآن وأخيراً نتقابل مع الرجل الذى تسمى السفر باسمه. إن هذا الأصحاح والأصحاح الذى يليه يُقدم لنا الكاهن العالم عزرا، والواجب الذى تصدى للقيام به والحملة التى كان على رأسها. ولسوف يعرض لنا الأصحاحات الباقيان الفوضى الأخلاقية التى واجهته فى أورشليم، والإجراءات المضادة القاسية التى طبّقها. إن الكثير من الرواية هنا من تدوينه الشخصى، مستخدماً ضمائر المتكلم «أنا» و«نحن» لحديثه المباشر .

الأصحاح السابع
التفويض الصادر من الملك الفارسى أرتحشستا إلى عزرا

أعداد ١ - ١٠ الرجل وحكمته

تقدم لنا هذه الآيات العشر هيكلاً عاماً للقصة التى سوف تتكشف لنا تفصيلاتها تدريجياً مع كثير من اللمسات الفحصية فى بقية هذا الأصحاح وكذلك فى الأصحاح الثامن.

عدد ١ أ : إن عبارة «وبعد هذه الأمور»، تحدّد مدة تقرب من ستين عاماً بين هذا الأصحاح والأصحاح السالف له. صحيح إن بعض المهتمين بالترتيب الزمنى (الذين يحددون التواريخ الدقيقة للأحداث وترتيبها وفقاً لتسلسلها الزمنى)، يجعلون تلك الفترة أطول بكثير إذ أنهم لا يعتبرون أرتحشستا هذا أنه الملك الأول الذى حمل ذلك الاسم (٤٦٤- ٤٢٣ ق.م.) بل يقولون إنه الملك الثانى الذى حمل ذلك الاسم

(٤.٤ – ٣٥٩ ق.م.)، ومن ثم يجعلون إرسالية عزرا فى السنة السابعة (الآية ٧) وأنها لم تحدث فى سنة ٤٥٨ ق.م. (وهو نفس الرأى الذى أقول به) بل فى سنة ٣٩٨ ق.م.[١]

أعداد ١ب – ٥ : إن إثبات سلسلة الأنساب تشهد لعزرا بأنه كاهن[٢] (قارن ٢ : ٦٢)، كما أن استطالة هذه السلسلة تُعدنا لنتقابل مع رجل له أهميته الجديرة بالاعتبار. إن اسمه يحتل مكانة رفيعة فى التقليد اليهودى، من حيث أن له المكانة الاعتبارية الثانية بعد موسى[٣]، وصحيح أنه يستحق هذه المكانة السامية لأنه طبع إسرائيل – أكثر من أى شخص آخر– بذلك الطابع الخالد على مدى الدهر بأنهم شعب الكتاب.

عدد ٦ : وبالنسبة لعزرا فإن شخصية الكاتب تأخذ أكثر فأكثر سمات العالم والخبير فى الشريعة المقدسة. وإننا لنرى فيما يتعلق به التأكيد على لفظة «ماهر» والتى تعنى حرفياً «السريع المتدفق» (قارن المزمور ٤٥ : ١) إذ توحى بالسرعة فى الفهم والإدراك، ويسير التحرك فى خضم هذه المادة الضخمة والتى كانت ثمرة الدراسة الأمينة الموصوفة فى الآية العاشرة. ومن الأمور العارضة أن هذه الآية لم تكن محلاً لشكوك وارتياب النقاد المحدثين حول قدَم (موسى) أو سلطان (رب) الشريعة، بل ولا ترى عزرا كمراجع أو جامع للشريعة بل كان همه محصوراً فى أن يهيئ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وليعلّم إسرائيل فريضة وقضاءً.

---

(١) «فارس» فى الآية الأولى تأتى فى بعض النصوص غير الرسمية (أشور).

(٢) وحتى مع هذا، فقد مرت عدة أجيال بين عزرا وجده الأعلى سرايا (١)، الذى شهد سقوط أورشليم (٢ مل ٢٥ : ١٨). وهناك أيضاً سبعة أسماء سقطت حسبما يبدو عند النسخ، وذلك نتيجة التكرار المزدوج لبعض أسماء معينة من تاريخ الأسرة (من أمريا إلى صادوق، ١ أخ ٦ :٧ – ٨ و١١ – ١٤).

(٣) ولمثل صارخ انظر أحد كتب الأبوكريفا ٢ إسدراس ١٤، حيث يذكر أن عزرا ألهم بأن يملى على مساعديه ٩٤ كتاباً، ربما تتضمن العهد القديم كله علاوة على سبعين من الكتابات السرية.

إن الجملة الأخيرة من هذه الآية تمدّنا بتفصيل لا نجده فى الآيات ١١ وما يليها، وهى أن الله هو الذى استثار الدافع فى قلب الملك ليرسل عزرا فى هذه المهمة، وهى الحقيقة المذكورة فى الآية ٢٧، فقد كان هناك دور على عزرا أن يقوم به (كل سؤله). إن فى استطاعتنا أن نتعرف على مدى الشجاعة التى يتطلبها هذا العمل، وذلك من خلال رواية نحميا عن محنة أخرى مماثلة لتلك التى كان على عزرا مواجهتها (نح ٢:٢ وما يليها)؛ ولكنه لم يجعل الشك يتطرّق إلى نفوسنا عن هذا العامل الحاسم فى الموقف: «يد الرب». إن تلك العبارة أصبحت فى غالب الأحوال بمثابة اللازمة فى الأصحاحات (٧: ٦ و٩ و٢٨؛ ٨: ١٨ و٢٢ و٣١؛ نح ٢:٨ و١٨).

أعداد ٧ - ١٠ : لا يقدم لنا هذا الموجز الصغير عن إرسالية عزرا أية إشارة عن مظاهر الإحباط المبدئى والتأجيل، والصوم، والصلاة، ومخاطر الرحلة، والتى ستظهر فى ما بعد فى الرواية الكاملة. ومهما يكن الأمر، فإننا هنا نقف على طول الفترة التى استغرقتها الرحلة (أربعة شهور، الآية ٩)، كما نقف من الآية ١٠ عن سر النفوذ والتأثير الدائم الذى كان لعزرا. كان عزرا نموذجاً للمصلح الدينى من حيث أن الذى علّمه قد سبق له شخصياً أن عاش فيه، وأن الذى عاش فيه تأكد أنه يتمشى فعلاً مع ما هو موجود فى الكتب المقدسة. وعن طريق الدراسة، والسلوك، والتعليم استطاع أن يجعل كل هذه الأمور تنتظم فى سلك نظامى دقيق، ولكل منها دورها الذى تقوم به على أكمل وجه: لقد خلّص الدراسة من كل بُطل، ونقّى السلوك من كل ما هو مخلّ، وطهّر التعليم من الزيف والضحالة.

أعداد ١١- ٢٦ : السلطان الممنوح كتابة لعزرا :

إن هذه الرسالة مثل غيرها من الرسائل التى تضمّنها هذا السفر، قد جاءت فى اللغة الأرامية (١٢- ٢٦) وهى لغة المراسلات الرسمية فى ذلك العصر. وبمقتضاها منح عزرا السلطان فى أن يصحب معه كل من يريد من شعبه (١٣) أن يذهب معه إلى أورشليم بقصد التأكد من المراعاة الكاملة للشريعة الإلهية (١٤؛ ٢٥ وما يليها). ولقد تناولت هذه الرسالة أيضاً موضوعين متعقلين بإمداد هذه الإرسالية

باحتياجاتها المادية، أولها أثمان الذبائح (١٥- ١٨)، والأمر بإعطائه الآنية الخاصة بالهيكل (١٩)؛ والموضوع الثانى أمر الملك إلى السلطات المحلية القائمة على بيت خزائن الملك، وبتفويضه عزرا لطلب باقى احتياجاته من هذه الخزائن (٢١- ٢٣)، مع إعفاء كل القائمين على شئون الهيكل بمختلف درجاتهم من دفع الضرائب على اختلاف أنواعها (٢٤). أما الفقرة الأخيرة (٢٥ و٢٦) فتطلب من عزرا أن يُقيم نظاماً قضائياً مع تفويضه بسلطات كاملة لتوقيع العقوبات، وكان عليه أيضاً عدم ترك الشعب فى جهالة بهذه الشرائع.

إن هناك نقاطاً قليلة فى حاجة إلى التعليق.

عدد ١٢ : إن النسخة الأرامية تضيف إلى إله السماء لفظة g'mIr أى الكامل وهو نفس ما نجده فى الترجمة العربية التى بين أيدينا «إله السماء الكامل». ومن المحتمل أن تحية «السلام» كان يجب أن تصاحبها: قارن مثلاً «لداريوس الملك كل سلام» ٥:٧.

عدد ١٤ : «ومشيريه السبعة» قارن أستير ١ :١٤.

عدد ١٧ : إن المعرفة الدقيقة بما تتطلبه الطقوس الدينية كان لابد وأن يكون مصدرها عزرا نفسه (لاحظ: كلّ سؤله الآية ٦)، أو أن يكون مصدرها مشير يهودى فى القصر. قارن نحميا ١١ :٢٤ .

عدد ١٩ : الآنية. وهذه قد تكون بعض الآنية التى أغفل ذكرها عندما أعيدت أوانى بيت الله بواسطة كورش (١: ٧ وما يليها)، ولكن يبدو أن هذه الآنية كانت تبرعاً سخياً فى هذه الآونة إلى عزرا.

عدد ٢٣ : لأنه لماذا يكون غضبٌ على مُلك الملك: وهو تعبير آخر لنفس الاهتمام الذى كان لدى الملك كورش (انظر التعليق على ١: ٢- ٤)، داريوس بعده (٦: ١٠)، بقصد كسب رضا الآلهة التى تُعبد فى الإمبراطورية. ولو عبّرنا عن هذا الأمر بالمصطلحات السياسية (ولكن فى ذلك الوقت لم يكن هناك انفصال بين الدين والسياسة)، فإنه يُمكن القول بأن أى ملك حصيف لابد وأن يحرص على كسب رضا الشعوب الخاضعة له والعمل على استتباب النظام بينهم.

عدد ٢٤: أصدر الملك داريوس مثل هذا الاعفاء من جميع أنواع الضرائب على العاملين فى خدمته يعبد الإله أپوللو (أنظر المقدمة).

عدد ٢٥ : لاحظ الوصف البديل للتوراة ليس فحسب بأنها شريعة إلهك (١٤)، ولكن «حكمة إلهك» وهذا يؤكد أن التوراة تعنى معنى أوسع من مجرد الشريعة، إذ تتضمن التعليم، والإعلان الإلهى، فضلاً عن الأوامر الإلهية لجميع الشعب الذى فى عبر النهر، والمقصود بهذا - فى مثل هذا السياق- كل الذين ينطبق عليهم الشريعة سواء بعدت أو قصرت محال إقامتهم بالنسبة لأورشليم.

عدد ٢٦ : إن هذه السلطة لتوقيع العقوبات، ومصادرة الأملاك، وجه الخصوص قد طبِّقت فى إجراءات الطلاق (انظر ٨: ١٠).

العددان ٢٧ و٢٨ : تدخل شخصى من عزرا : [1] وعلى حين غرة نفاجأ بعزرا الإنسان، إذ نراه ينطلق بصوته بلهجة مفعمة بالشكر والابتهاج والتى لم تخفت رغم مرور الزمن، وتراه يتناول بنفسه النواحى التاريخية إلى نهاية الأصحاح التاسع، وقد فعل نحميا مثل هذا الأمر فى السفر الثانى لسفر عزرا، حيث كان يضمن قصته تدخلات شخصية حيوية علاوة على بعض تأملاته التى تخللت روايته للأحداث.

وفيما أن الآية ٦، على نحو ما رأينا، تفصح لنا على أنه كان على عزرا أن يطلب كل ما حصل عليه، إلا أن صلاة الشكر هذه تمضى قدماً إلى الأمام إلى بيان الأمر الحاسم فى الموضوع وهو العمل الداخلى لله، الذى كما تقول الآية ١ من الأصحاح ٢١ من الأمثال: «قلب الملك فى يد الربّ كجدول مياه حيثما شاء يميله». ومهما يكن الأمر، فإن الآية ٢٨ تذكر لنا أن الله بسط علىّ (أى على عزرا) رحمة أمام الملك وأمام جميع رؤساء الملك المقتدرين، وأن عزرا قد تشدد حسب يد الرب إلهه. وبالنسبة للتعليق على تدخل يد الرب فى مجريات الأمور وتحويلها لمسار الأحداث بما يحقّق مصلحة شعبه انظر التعليق الختامى على الآية السادسة. إن عزرا كان فى

---

(١) اعتباراً من هنا، ستكون اللغة عبرية (أما الأقسام التى كُتبت بالأرامية فهى ٤:٨ إلى ٦: ١٨، ٧ :١٢ - ٢٦).

حاجة إلى هذه المساعدة، حاجته إليها فى المهمة التالية التى كان عليه أن يقوم، حيث أنه من الميسور أحياناً الحصول على ما نحتاج إليه من إرشادات صالحة ومحققة لخير العمل الذى نقوم به، كما أنه من الميسور أيضاً أن نعطى مثل هذه الإرشادات، ولكن يتوقف الأمر على تقبل القائمين على العمل لهذه التوجيهات.

الأصحاح الثامن

الخروج الثانى لشعب إسرائيل على يد عزرا

أعداد ١ - ١٤ المتطوعون للصعود مع عزرا من بابل والعودة إلى الوطن :

عدد ١ : كان عزرا يعرف بنية المجتمع بالدرجة التى جعلته يوجه دعوته إلى «رؤوس» العائلات (٧ :٢٨؛ ٨ :١)، عالماً أنه فى غالب الأحوال إذا ما جاءوا سوف يأتون معهم بجماعاتهم. انظر الآيات ٣ - ١٤ للوقوف على أثر هذه السياسة.

لاحظ كلمة «معى» فى الجملة الافتتاحية (والتى تغيّرها ترجمة GNB بلا مسوّغ أو مبرّر إلى «مع عزرا With Ezra »). إنه بيان شخصى يستمر من ٢٧:٧ و٢٨ إلى نهاية الأصحاح التاسع،بصرف النظر عن العودة الموجزة إلى ضمير الغائب فى ٨: ٣٥ و٣٦، حيث نجد أن ضمير الجماعة الغائب يحل محل ضمير المتكلم للجمع فى آيتين.

أعداد ٢ - ١٤ : إن أهمية هذه القائمة الوعرة من الأسماء والأعداد تكمن فى حقيقة أنه فى كل حالة من الحالات المذكورة فيها فيما عدا حالة واحدة من هذه الجماعات التى انضمت إليه، وعلى المدى البعيد، هم نسل الرواد من ذات «سلالة العشيرة»، والذين كانوا فى المجموعة الأولى التى عادت إلى الوطن من بابل منذ ثمانين سنة مضت.

إن أسماء العائلات فى الآيات ٤- ١٤ يمكن أن نعثر عليها جميعاً فى ٢:٣ - ١٥ (فيما عدا يوآب الآية ٩)، كما أن القائمة الحالية تستهل بأسماء اثنين من الكهنة (ومن الواضح أنه كان فى صحبتها العديد من أقاربهم، انظر التعليق على الآية ٢٤)، وواحد من نسل الملك داود (الآية ٢)، والذين قد سبقهم بالمثل أقاربهم. ومن هنا فإن هذه القائمة تبرز حقيقة أن التحدى الملحّ للعودة إلى الوطن فى أيام كورش، كان له استجابات مختلطة، تشق الأسباط من منتصفها- على الرغم من أن

زكريا ٦:٩ - ١١ وسفر أستير يوضحان بجلاء الشعور بالتجانس والتماثل والذى كان وما يزال الرابط الذى يجمعهم معاً. وليس هناك أى شئ يوضح لنا أنه حتى هذه العائلات قد جاءت بأكملها، دون أن تخلّف وراءها أى فرد من أفرادها.

أعداد ١٥ - ٢. اللاويون المفقودون :

إن فترة الثلاثة أيام التى قُضيت عند النهر [(١)]، لم تضع سدى: فقد كانت اللحظة المناسبة لجرد البضائع الموجودة والاستعداد للمفاجآت غير السارة التى قد تواجههم فى مسيرتهم. إن الافتقار إلى وجود اللاويين وغيرهم من خدّام الهيكل كان حادثاً مؤسفاً، لقد كان من الطبيعى لهؤلاء القوم أن ينفروا من مثل هذا المشهد الذى كانت له رهبته المروّعة بل والمثبطة للهمم، ليس فقط من توقع إبادتهم عن بكرة أبيهم وهو ما يتوقع أن يواجهه مثل هؤلاء المغتربون العُزّل، ولكن بسبب التغيّر القاسى من أسلوب الحياة العادية والذى لابد وأن يواجهه المتغربون، إلى الشعائر والطقوس الدينية الصارمة المتعلقة بالهيكل. ومن هنا فليس هناك ما يدعو للدهشة حين نقرأ تدقيق عزرا فى اختياره لمبعوثيه الذين كان عليهم تصحيح هذا الوضع ومعالجته على أفضل الوجوه (فلقد اختير تسعة منهم لما لهم من مكانة واعتبار فى مجتمعهم، كما اختير اثنان علاوة على العدد المطلوب لتميزّهم بالحنكة والمهارة الدبلوماسية (الآية ١٦) ، كما نلاحظ تعليماته النهائية أو الأساسية لهم بكلمات قليلة واضحة الدلالة:

«وجعلتُ فى أفواههم كلاماً يكلّمون به». وأيضاً من الذين يكلّمونهم، حتى يأتون إلى عزرا بخدّام لبيت الإله (الآية ١٧). [(٢)]

---

(١) عبارة « النهر الجارى إلى (أهوا) » (أى الآتى إلى...)، يُستكشف منها أنها قناة، بالنظر إلى أنها سُميت بالبلدة التى انتهت إليها. فقد كانت هناك قنوات كثيرة فى بابل. ومما يذكر أن موقع «أهوا» غير معروف.

(٢) اختيار كسفيا (وموقعها لم يُعرف بعد) يوحى بأنه كان بها مكان عبادة، وربما مما يشير إلى ذلك تكرار كلمة (المكان: آية ١٧)، التى أحياناً ما يُشار بها إلى الأماكن التى يُعبد فيها الرب (أنظر تث ١٢:٢ و٣و٥). ومن المعروف أن هناك معبداً يهودياً فى جزيرة فيلة على النيل.

عدد ١٨ : ولقد كانت النتيجة مسرّة للغاية، ليس فقط من حيث الأعداد التى انضمت، وإنما أيضاً من حيث أنه كان من بينها قائد موهوب، وفى كل هذا أدرك عزرا، كما هو شأنه دائماً أن يد الله الصالحة كانت عليهم. وعن هذه العبارة أنظر التعليق على الآية ٧:٦.

عدد ٢٠ : وعن خدّام بيت الرب أو «النثينيم»، انظر التعليق على الآيات ٢ : ٤٣- ٥٤، حيث تمت مناقشتها هناك باستفاضة.

أعداد ٢١ - ٢٣ لنطلب طريقاً مستقيماً : ولقد اقترب عزرا من خلال غوصه فى أعماق قلبه وإخلاصه للهدف الذى يسعى إلى تحقيقه من المسيحى الذى صارع مثله من أجل نفس الهدف وإن يكن هذا بمقياس أصغر. وهناك ما يمكن إضافته إلى أهمية هذا الأمر فى كون نحميا قد نظر فى عهده إلى هذه المسألة من زاوية مختلفة تماماً، من حيث قبوله لحامية عسكرية ترافقه فى طريقه إلى أورشليم كجزء من سخاء الله وجوده معه (نح ٢: ٧- ٩). وكلا الأمرين يعدان من المواقف الإيمانية، وكلّ واحد منهما وإن سلك منهجاً يخالف منهج الآخر (على غرار الخيارات فى رومية ١٤:٦) إلا أنه يقدم إكراماً مقبولاً عند الله.

أعداد ٢٤- ٣٠ الكهنة يعملون كأمناء صندوق : يظهر هنا أن اثنين من رؤساء عائلات الكهنة الذين ذُكروا فى الآية الثانية قد جاءا معهما بعدد من أقاربهم، على النحو الذى فعله غيرهم من الرؤساء فى تلك الجماعة (قارن ٣- ١٤) [1]. والكنز الذى عُهد إليهم حفظه الآن كان ضخماً (وكانت الوزنة تبلغ ٣٠ كيلو جراماً). كان رفض عزرا فى أن يصحبه حرس مسلح، وتذكيره للكهنة بالوديعة المقدّسة التى فى

---

(١) من يقرأ الآية ٢٤، يبدو له «شربيا» ورفاقه وكأنهم من الكهنة، فى حين أن الآية ١٨ وما بعدها، وكذلك عد ١٢: ٢٤ وما بعدها، تبين أنهم كانوا من اللاويين فحسب. ولعل ترجمة NEB كانت مصيبة فى سيرها على نهج ترجمة إسدراس الأول ٥٤:٨، حيث يسبق الحرف (و) اسم «شربيا»، أى أنه مثل الآية ٣٠ يؤكد على أن الذهب والفضة الخ قد عُهد بها إلى الكهنة واللاويين لينقلوها إلى أورشليم: «وأفرزت من رؤساء الكهنة اثنى عشر شربيا».. (انظر الآية ٢٤).

عهدتهم (الآية ٢٨)، ما أدخل فى قلوبهم الإحساس بخطورة المهمة المسندة إليهم والتى أعلمهم عزرا بما تتطلبه من أهمية السهر والحفاظ عليها فى حدود ضوابط الإيمان. ولقد أسهم الملك أرتحشستا مثل أسلافه بمنحة رسمية للجماعة العائدة، ودعا اليهود الذين لم ينضموا إلى هذه الحملة أن يقدّموا اسهاماتهم لها (الآية ٢٥). وقد كان هذا الموقف نتيجة طبيعية للتفويض الذى منحه لهم وإقراره الرسمى للمشروع. ولو كان إله اليهود ليس أكثر من اسم (وهو ما يمكن أن يكون موقف الملك الفارسى)، لكان المشروع بكامله بلا هدف، ولكنه إذا كان موجوداً، فمن الممكن أن يتوقع من مثل هذا الملك لطفاً وكياسة ومجاملة- ولسوف يكون مقياسها انعكاساً لقوة المعطى وجلاله.

أعداد ٣١ - ٣٤ الرحلة والوصول إلى الوطن :

عدد ٣١ : ينسجم اليوم الثانى عشر، مع اليوم الأول فى ٧:٩، عندما بدأ عزرا رحلته للذهاب إلى أورشليم، وفى الواقع أن أحداث ٨:١٥- ٢٣ قد تدافعت بسرعة ملحوظة. وتجئ كلمة الكامن هنا فى صيغة المفرد، مع أنها تعنى الجمع، ومن الأفضل أن تكون ترجمة الجملة: «وأنقذنا من هجوم الأعداء ومن الكمائن التى على الطريق». ومن المحتمل أن هذا يشير إلى عدم وجود مثل هذه الأحداث وليس الهروب المتكرر منها.

عدد ٣٢ : لقد مضت الرحلة التى اقتربت فى طولها من الألف ميل بدون أى تعليق. ذلك أن كل ما كانت له أهميته هو الوصول إلى نهاية الرحلة وتحقيق هدف الإسالية.

العددان ٣٣ و ٣٤ : اتخذت العملية هنا صفة عملية نظامية، وهذا يتضمن أنه لم يفقد شئ مما كانت تحمله الرحلة من أموال وآنية رغم خطورة الرحلة ومشاقها، وهكذا كانت يد إلهنا علينا، (الآية ٣١). والأسماء الواردة فى الآية ٣٣ سنتقابل معها ثانية فى نحميا، مثل «مريموث» (نح ٣:٤ و٢١)، «يوزاباد» (نح ١١:١٦)، بنّوى (نح ٣: ٢٤)..

العددان٣٥ و٣٦ : مهام يتعين تنفيذها :

استخدم ضمير الغائب فى هاتين الآيتين، وليست فيها إلا إضافات قليلة على رواية عزرا التى سوف تكتمل فى الأصحاح التاسع.

عدد ٣٥ : الفكرة الأساسية التى تنطوى عليها ذبيحة المحرقة هى الولاء والتكريس، فى حين أن ذبيحة الخطية تؤكد على الكفارة. والعدد ١٢ ومضاعفاته، والعدد ٩٦، يعنى جميع إسرائيل. وليس من الواضح السبب فى تقديم سبعة وسبعين خروفاً. أيا كانت الدلالة بالنسبة للعدد الكامل الذى يبدو وأنها تشير إليه. ومن الممكن أن يكون عدد ٧٢ المذكور فى إسدراس الأول ٨:٦٦ على اعتبار أنه من مضاعفات العدد ١٢.

عدد ٣٦ : بعد قيامهم بالالتزامات تجاه الله تجئ التزاماتهم نحو الإنسان. ومن المفترض أن تكليف الملك كان بمثابة المستندات أو الوثائق الرسمية التى جعلت من عزرا الرجل المسئول عن تطبيق الشريعة اليهودية بين رفاقه فى مختلف أرجاء الإقليم والولاية. إن هذه السلطة المتسعة، التى امتدت لتشمل ما وراء الجهات التى حول أورشليم ذكرت فى ٧:٢٥ و٢٦.

ويمكن للجملة الأخيرة أن تصحح أى انطباع عن مهمة عزرا وإنها مجرد مهمة تنظيمية. إن الهدف كان إعادة بناء المجتمع، والموقف الذى تكشّف له فى الأصحاح التالى والذى يتطلب منه عملاً شاقاً وجهداً مضنياً، ومن الواضح أنه قد فوجئ تماماً بهذا الموقف.

الأصحاح التاسع

الزواج المختلط المخزى

أعداد١- ٥ إنباء عزرا بأخبار الزيجات المختلطة:

العددان ١ و٢: هناك نغمة قوية من أسفار موسى فى الأسلوب الذى نُقلت به أخبار الزيجات المختلطة إلى عزرا. وقائمة الشعوب الأجنبية فى الآية الأولى بما تحمله من صدى قديم تستعيد إلى أذهاننا على التو سلسلة الأسماء، وهى مع بعض الاختلافات الثانوية، كانت المرتكز للوعود القديمة ،والتحذيرات عن كنعان [(١)] (تك ١٥ :١٩- ٢١؛ خر ٣:٨ و١٧؛ ١٣:٥؛ ٢٣:٢٣؛ ٣٣:٢؛ ٣٤:١١ الخ). وهناك بصفة خاصة مشابهة بين هذه القائمة من الشعوب وما جاء عنها فى خروج ٣٤:١١- ١٦؛ التثنية ٧: ١-٤ حيث نجد أن القوائم التى من الواضح تماماً أنها تشابه هذه القائمة تتضمن الزواج من الأجنبيات.

ومن هنا كانت جملة عزرا لتعليم الشعب للشريعة ومعانيها تحمل ثمار عمل الإصلاح الدينى. وذلك بعد أقل من خمسة أشهر من مجيئه إلى الوطن (قارن ٧:٩ مع ١:٩.). ولقد ألقى عمله هذا ضوءاً جديداً ليس فقط عن الآثام التى سرت سريان النار فى الهشيم فى هذا المجتمع بل على الدعوة العليا لهذا الشعب بصفته «الزرع المقدس» (الآية ٢) [(٢)] وكورثة للخروج (والذى مُثّل مرة أخرى فى زمنهم، قارن إشعياء ٤٨: ٢. و٢١). وبدون أية تذكرة من عزرا فإن هذا الأمر قد اتضح أمام عيون جموع القادة وسيطر على تفكيرهم حتى لقد تقدموا إلى عزرا بتقريرهم الذى حمل أخباراً كانت جديدة بالنسبة له. ومن الأمور اللافتة للنظر أن هؤلاء «الرؤساء»

---

(١) تك ١٥ :١٩- ٢١، خر ٣:٨ و١٧، ١٣:٥، ٢٣:٢٣، ٣٣:٢، ٣٤:١١ الخ.

(٢) الزرع المقدس (النسل المقدس) كما فى بعض الترجمات (انظر تك ٢٨:١٤، خر ١٩ :٦ ملاخى ٢:١٥). أما التعبير العبرى «زرعاً مقدساً» فقد ورد أيضاً فى إش ٦:١٣).

(وبالعبرانية Sarim وهى الكلمة المستخدمة عادة للدلالة على علية القوم فى الأمة) وكان من الواضح أنهم كان لهم القادة الراسخون، والذين حتى تلك اللحظة- كانوا يتقبلون الخروج عن المألوف. ولم تكن هذه مبادرة من قبل القادمين الجدد الذين لم يكن يغريهم شيء على نشر هذا الموضوع.

أعداد ٣- ٥ : كان تصرّف عزرا متوافقاً مع أسلوبه المعروف عنه، فهو لم يتخذ أي إجراء تقريباً ومع ذلك فقد كان أكثر قوة وفعالية مما لو كان قد اندفع إلى العمل فى ثورة عارمة، ذلك أنه بمسلكه هذا جعل الناس يتخذون أفضل المبادرات المطلوبة منهم إزاء هذا الأمر. ولقد كانت الأفعال المتتالية التى جاءت عنه فى هذه الحقبة على النحو التالى: كانت أفعالاً نابعة من إحساسه بالأسى وبالضّعة والذلة والحاجة إلى الشفاعة. ويُعلق متى هنرى على نحميا ١٣: ٢٥ بقصد مقارنة دقيقة ما بين أسلوب عزرا وأسلوب خلفه نحميا الذى غلبت عليه صفة المقاتل والمناضل: ذلك أن نحميا نتف شعور الذين ارتكبوا هذا الإثم، فى حين أن عزرا نتف شعره هو نفسه. وهناك مقارنة أخرى بين الاثنين سبق لنا أن عايناها فى ٨: ٢١ - ٢٣.

أعداد ٦- ١٥ صلاة عزرا : إننا نستطيع أن نحسّ بما كان عليه هذا الرجل من إيمان عميق وبصيرة نافذة من صلاته التى ضمنها هذا الاعتراف. ذلك أنه حسب نفسه ضمن أولئك الذين كان يتشفع من أجلهم، وهذا ما نلمسه من انتقاله السريع من ضمير المتكلم المفرد «أنا» فى الجملة الأولى، إلى ضمير المتكلم «الجمع» فى باقى الصلاة. كان فى إمكان عزرا أن يحتج ببراءته، ولكنه مثل العبد فى إشعياء ٥٣: ١٢ كان مدفوعاً إلى أن يحسب نفسه فى عداد الآثمين والمذنبين، بل إنه أكثر منهم إحساساً بالخزى والخجل فى آثام وخطايا قومه (قارن إرميا ٦: ١٥ التى يتحدث فيها عن جيل سابق لهؤلاء: هل خزوا لأنهم عملوا رجساً. بل لم يخزوا خزياً ولم يعرفوا الخجل). ومن ثم كان عزرا فى هذه الحالة أنسب شخص يكون لسان قومه فى مثل هذا الاعتراف. ومن ناحية ثانية، لم يستطع عزرا أن ينسى الخراب والدمار الذى عانى منه شعبه وكانوا يستحقّونه فعلاً (الآية ٧)- وبصفة خاصة عندما فقدوا حريتهم (لاحظ كلمات السبى (الآية ٧)، والعبودية (الآيتان ٨ و٩)؛ والمنفيون

(الآية ٩) وتخفيض أعدادهم، وهو الأمر الذى جاء التأكيد عليه فى تواتر مجئ كلمة البقية (الآيات ٨ و١٣ و١٤و١٥). وبمعنى آخر كان لدى عزرا الإحساس القوى بالأمجاد التى خانوها، ولم يكن فى إمكانه أن يهدأ نفسياً ويتوافق مع هذا الوضع الأليم الذى انتهوا إليه. ومن ناحية ثالثة كان عزرا عميق الشعور برحمة الله الواسعة. إن الحقيقة المتمثلة فى بقاء مثل هذه البقية يُعد فى حد ذاته الدليل الواضح على رحمة الله بشعبه (الآية ٨)، فإنه مع عقابه لهم، إلا أنه كان رحيماً فيما أنزله بهم من عقاب (الآية ١٣) وتستخدم الآيتان ٨ و٩ تعبيرات تفيض بالحيوية، وإن كانت فى نفس الوقت محدّدة وفى الإمكان إدراكها بالحواس [1]، والتى تدل على محبة الله الحانية المتعددة الجوانب. وفى نفس الوقت كانت مجرد ظل كما هو فى مقدور الله أن يفعله وأن يعطيه- «حياة قليلة» (الآية ٨). «يعطينا حياة» كان الشعب فى خطر فعلاً (الآية ٩)- «والآن كلحيظة» (الآية ٨) كانت رأفة من لدن الرب إلههم، تعد هذه اللحيظة من النعمة، لأن الثمانين سنة منذ أيام كورش، لم تكن أكثر من ذلك من وجهة النظر الإلهية.

ومن الآية العاشرة يصبح اعتراف عزرا محدّداً، ليتيح لكلمة الرب أن تصيغ الاتهام بحسب ما تراه. أما الآيتان ١١ و١٢ فنرى فيها المادة التى تضمنتها الفقرة ٧: ١-٣ من سفر التثنية، ولكن ذكر «الأنبياء» (فى صيغة الجمع تعنى بأن موسى ليس وحده)، تُوحي بأن الرسالة قد سبق الكرازة بها. وهناك مثالاً لهذه الكرازة، من نبى يحتمل أنه كان معاصراً لهذه الفترة، فى ملاخى ٢: ١٠- ١٦.

وتنتهى صلاة عزرا بإدراكه ووعيه الواضح من أن الله على حق فى أن يهلك من هذا المجتمع، كما سبق له أن هدّد بأن يفعله مع جيل قديم (خر ٣٢: ١٠). ولم يكن

---

(١) كلمة «وتد» فى الآية (٨) ترجمتها الحرفية: مسمار كبير، أو «وتد الخيمة».

وكما يقول «أكرويد» إن كلمتى «وتداً» (الآية ٨) و «حائطاً» (الآية ٩) إنما استخدمت كتشبيه مجازى (كما فى مزمور ٨٠: ١٢) ولا يجب الخلط بين هذه الكلمة و«سور المدينة» الذى أعاد نحميا بناءه.

هذا إغراقاً في الخيال. لقد كان هناك إسرائيليون متفرّقون في أنحاء أخرى من المسكونة، والذين من خلالهم يمكن إتمام هذه الوعود. ولم يكن عزرا في مثل قدرة موسى للشفاعة من أجل شعبه، وعلى النحو الذى فعله موسى من أجلهم، من حيث أن اسم الله كان عُرضة لأن يُهان في مثل هذا الموقف. لقد كانت صلاة عزرا اعترافاً صريحاً بخطايا وآثام وذنوب شعبه، وليست فيها أية استعفاءات، ولم ترق إلى أن تكون حتى كطلبة بل مجرد اعتراف.

الأصحاح العاشر
قطع العلاقات

أعداد ١- ٨ المبادرة الشعبية :

لم يندفع عزرا إلى توبيخ الشعب المتراخى بسياطه، ويدفعهم إلى العمل، وإنما اكتفى بأن ينخس ضمائرهم إلى الدرجة التى جعلتهم يستحثونه هو أن يتصرف. لقد استثارتهم حالة اليأس والإحباط التى بدت عليه إلى البحث وبسرعة عن منفذ حتى يوجد رجاء لإسرائيل (. ١: ٢و ٣)، ومهما يكن الثمن. كما أن استسلامه للحزن والأسى دفعهم إلى أن يسارعوا بالاستجابة بأكثر فاعلية وواقعية- تلمس الشاهد عليها فى الآية ٤ والتى تلمس فيها نصيحتهم السريعة وتعهدهم الحماسى بتقديم المساعدة. ومن هنا كانت تلك الإجراءات الصارمة التى استحلف كل قطاع من الشعب أن يتقبلها وينفذها (الآية ٥). والتى كانت جميعها من صميم اختيارهم. وهذا ما يقوى التزامهم بتنفيذها. وفى هذا الأمر لم تلعب مشورته سوى دوراً محدودا ، وإنما كان القدح المعلّى لمشورة ربه، والتى أخذت الموضع اللائق بها فى الإجماع عليها من الأتقياء والذين يخشون وصية الله، ويزمعون العمل حسب الشريعة (الآية ٣). وإلى المدى الذى نستطيع أن نتبيّنه، فإن هذه المشورة لم تكن صريحة ،وغير متحفظة، وإنما كانت ناجمة عن حالة الرعب والفزع التى كان عليها عزرا.

عدد ٦ : لم يلجأ عزرا إلى اتخاذ إجراءات أكثر جزماً، كما يتبيّن من الآية (٥)، إلا فى أضيق الحدود. وتُخلى هذه الكلمات:«فقام عزرا» (الآية ٥) الطريق بأسرع ما يمكن للنتيجة التى تلت ذلك، حيث ذهب إلى مخدع يهوحانان بن ألياشيب. وهناك فى عزلته استسلم للحزن والصوم. وهذه العزلة تؤكد بطريقة اتفاقية عرضية الدليل المستمد من صلاته العامة فى عزرا ٩ ونحميا ٩، بأن إيماءاته المفعمة بالحركة والمثيرة للمشاعر والصادرة عن فزعه وارتعابه من خيانة أهل السبى كانت

صادقة وأمينة. ولقد كان لها تأثيرها القوى، إذ لم تكن تظاهراً، وإنما كانت نابعة من أعماق القلب؛ كما أنها لم تكن هروباً من الموقف، وإنما أفسحت الطريق أمام غيره من البشر ليستجيبوا، إلا أنه فور استجابتهم بدأ عزرا يتكلم ويعمل بحسم وجدّية (الآيات ٥: ١٠ و١١). أما فيما يتصل بتوافق تاريخ يهوحانان مع تاريخ إرسالية عزرا، فإنه يلزم الرجوع إلى الملحق الرابع.

العددان ٧ و ٨: ولقد كان «النداء» مشتركاً، ولم يُطلق اسم عزرا وحده، وذلك على الرغم من أنه كان مذوداً من الإمبراطور الفارسى بسلطة توقيع العقاب (٧: ٢٦). وإنما الأمر الذى كان له وزنه أكبر من الأوامر الإمبراطورية هو أمر (أو مشورة) [1] كما فى الآية ٣) الرؤساء المحليين. وكلمة يُحرِّم كلمة قوية للغاية، وهى تستخدم فى أغلب الأحوال فى الأوامر الصادرة بإبادة كل ما هو لنوع معيَّن من الأعداء، ومثال ذلك ما حدث مع أريحا، إلا أن الكلمة يمكن أن تأخذ المعنى الأضعف فتأتى بمعنى «المصادرة» والتخصيص لاستخدامه بواسطة الكهنة : قارن لاويين ٢٧: ٢١.

أعداد ٩ - ١٥ الاجتماع الشامل لجموع الشعب فى أورشليم:

لقد حدث هذا الاجتماع فى أواخر العام، أى فيما يقابل شهر ديسمبر، وتوضح لنا الآية ٩ حالة البؤس والرعدة التى طغت على المشهد. فقد كان عزرا منهمكاً للغاية بالموضوع الرئيسى (الآية ١٠ و١١) ولكنه كان كالعهد به منفتحاً للوقوف على تعلأت ومبادرات الآخرين. ومن خلال هذه الفقرة القصيرة المفعمة بالحيوية يمكننا أن نصوّر نمو مقترحات الجماهير وتعاظمها حالما أخذوا فى الكلام وعرض مقترحاتهم المتنوعة حول هذه الأمور، وإن لم يخل الأمر من بعض الأصوات المعارضة. ومن بين المعارضين لرأى الأغلبية كما يتضح من الآية ١٥، نجد مشلام، الذى ربما كان أحد

---

(١) هذه الآية جاءت فى ترجمة NEB : «وبمقتضى أوامر الرؤساء، يمكن أن يصادر...». وهذه ترجمة محتملة، إلا أن سياق الجملة يجعلنا نفضل الترجمة العادية. ومن المفترض أن سلطة المحكمة فى تقرير الأمور بالنسبة للقضايا الصعبة لا تكاد تحتاج إلى بيان.

الرؤساء في الجماعة التي عادت من بابل مع عزرا (قارن ٨:١٦)، وشبتاي اللاويّ، والذي كان يعدّ من أولئك الرجال الذين لهم معرفة أوسع من معرفة العلمانيين بالشريعة. ولم يذكر أي تعليق عن معارضتهم، التي ربما كانت قائمة على أسباب عديدة ليس من الضروري أن تكون ما يمس الشرف أو الكرامة. ولم يظهر أي من أسمائهم في قائمة الطوائف المعنية الواردة في الآيات ١٨ -٤٤ باستثناء، مشلاّم (١٥ و٢٩)، إلا أن هذا الاسم كان شائعاً للغاية في زمنه [1]. وربما كان هناك بعض من الأصدقاء أو الأقارب ممن أراد هؤلاء الأشخاص الأربعة أن يحموهم. ومن ناحية أخرى فإن صرامة العلاج وعدم وجود أي مبرر شرعي واضح لهذا الأمر، كان من نتيجته تولد الريبة في قلوبهم، الأمر الذي قد يحدث بالنسبة للقارئ الحديث أيضاً.

إلا أن هناك حقيقة واحدة يجب أن ترسخ في أذهاننا بالنسبة للقرار في مجموعه وهي أن الطلاق كان أمراً مسموحاً به في إسرائيل. ولكن لم يكن الأمر على إطلاقه وإنما لابد من توافر بعض الأسباب الجادة (تث ٢٤:١)، وكان فض الزيجات بالطلاق أمراً شائعاً في هذا الوقت ولأسباب تتناقض تماماً مع ما سبق ذكره، فلقد تخلى الكثير من الأزواج عن زوجاتهم اليهوديات للزواج من أجنبيات وثنيات (ملا٢ :١٠- ١٦). وفي حين أن الله يكره الطلاق (ملا٢:١٦)، ثم إنه شاهد على «قساوة القلب» (مرقس ١٠:٥)، إلا أن الموقف الموصوف في عزرا ٩ و ١٠ كان مثالاً كلاسيكيا لاختيار أهون الشرّين. وإذا كان هناك بالضرورة أي سبب للطلاق، فإن السبب الوارد في هذا الأصحاح يُعتبر من الأسباب الحاسمة التي تبيحه.

ومن المسلّم به أنه نظراً لأن الطلاق لم يكن أمراً جديداً في إسرائيل، فيما عدا هذه الحالة التي تم فيها طلاق الزوجات على هذا النطاق الواسع، فإن هذا الأصحاح لم يخبرنا عن أي إجراء تم اتخاذه بالنسبة لضحاياه. ومن المحتمل أنه في هذه الحالة تعود الزوجة إلى أسرتها، ولكن هذا الأمر مجرد افتراض. وفي الحقيقة أنه ليس لدينا أي معلومات عما كان معمولاً به في هذه الأزمنة.

---

(١) ذكر في سفري عزرا ونحميا عشرة أشخاص باسم مشلام، اثنان منهما وردا في آيات متجاورة (انظر نحميا ٣:٤ و٦).

أعداد ١٦ - ٤٤ الإجراءات الشرعية :

حقيقة أن فحص الأمر قد استغرق ثلاثة شهور توضح لنا حكمة التروى فى اتخاذ القرار، وإعادة التفكير فى قيامنا بتقرير الأمور فى يوم أو اثنين، وبحضور جمهور عريض (انظر ١٢- ١٤). إلا أن ذلك أظهر أيضاً المدى الواسع لانتشار المشكلة. ومن الجلى أن عزرا لم يتوقع أن تكون المهمة بهذا الحجم.

عدد ١٨ : وقد كنا نتوقع إسدال الستار إلى حد ما على ذنوب الكهنة، بالذات، إلاّ أن هذا الأصحاح أبرزها فى غير خفاء، وفى صراحة كتابية حقة، وذلك على العكس من النظام الذى اتبع فى الأصحاح الثانى، حيث تم إحصاء العلمانيين الإسرائيليين أولاً. أما هنا فلقد أحصى أولاً الرؤساء الروحيين، وفى مقدمتهم سلالة رئيس الكهنة المكرّم يشوع بن يوصاداق (قارن ٣:٢؛ ٥:٢ الخ). ومن الواضح أنه لا النسب العريق ولا المكانة الرفيعة يمكن أن تتخذ ضماناً للاستقامة والأمانة. وربما كان من الأمور التى لها مغزاها أن الكهنة الذين كانوا يشكلون ١٠٪ من الجماعة المذكورة فى الأصحاح الثانى، يمثلون ١٥ ٪ من الحالات التى ذكرت هنا. (١)

عدد ١٩ : وعلى الرغم من أن التعهد وتقديم ذبيحة الإثم لم يأت لهما ذكر سوى هنا فقط، إلا أنه من المحتمل أن ذلك كان الإجراء الذى طبق على القائمة بأكملها. إن عبارة «وأعطوا أيديهم» تعنى تعهدوا، وهى الطريقة المعتادة كإعلان نحن توثيق الاتفاق وإبرامه على نحو ما نفعل حديثاً عندما نتصافح بالأيادى (قارن ٢مل ١٥:١٠؛ حز ١٨:١٧). أما عن ذبيحة الإثم، فإن علينا أن نراجع الآية ١٠ وأيضاً، على سبيل المثال لاويين ١٧:٥- ١٩، وهناك نرى أن السهو عن إحدى مناهى الرب يشكّل إثما يتطلب الكفارة.

العددان ٢٣ و٢٤: إن اللاويين والقسمين والمتفرعين عنهم قد صنّفوا معاً بنفس الطريقة فى ٢: ٤٠- ٤٢.

---

(١) لا يجب التدقيق بالنسبة لهذه النقطة، لأن نسبة الكهنة بالنسبة للمجتمع ربما تكون قد تغيرت خلال فترة الثمانين عاماً هذه.

٢٥ وما يليها : إن تسعاً من الثلاث والثلاثين أسرة وجماعات المدينة التى ظهرت فى عز ٢:٣ – ٣٥، نراها أيضاً ممثلة هنا، وهناك أيضاً أسرتان جديدتان: أسرة أخرى لبانى (٣٤) وأخرى لبنوّى (٣٨).

عدد ٤٤ : والنصف الأخير من هذه الآية يكتنفه الغموض، ومعظم الترجمات الحديثة يعتمد على الآية المماثلة فى إسدراس الأول ٩:٣٦ والتى لا تحمل المعنى فحسب، بل إنها تحوى معلومة، وتوضح أن السياسة التى اتفق عليها فى الآية ٣ هى التى عُمل بها.

وعند هذه النقطة المؤلمة تتوقف فجأة قصة خدمة عزرا الدينية، وهى نهاية مناسبة جداً لها. كانت خدمته تستهدف تطبيق الشريعة على شعبه (٧:١٤) والشريعة تؤدى إلى معرفة الخطية، ولكن سوف يتلو ذلك ملحقاً لها، حين يعرض لنا عزرا المظاهر الإيجابية والبهيجة للشريعة: إنها تنير العقل (نح ٨:٨). وتشهد بأن الله هو المخلّص والواهب الرزّاق (نح ٨:٩– ١٨).

وبعد هذه اللحظة، وبعد انقضاء ثلاثة عشر عاماً على أحداث هذا الأصحاح، لا يذكر شئ عن عزرا. وفى غضون ذلك سوف تحلّ بالمستوطنين اليهود محن أخرى، إلى الوقت الذى يجئ فيه نحميا لإصلاح الأحوال.

وفى النص العبرى يتبع سفر نحميا مباشرة هذه النقطة التى انتهينا إليها هنا، ليكون الجزء النهائى لقصة واحدة.

سفر نحميا

نحــميــــا

إن أكثر من نصف هذا السفر مدّونة شخصية يتخللها بين فترة وأخرى تعليقات جانبية صريحة تجعل من بعض أجزائه أروع القطع الأدبية التى تفيض حيوية فى الكتاب المقدس. إن الكثير من قصة عزرا قد روى فى ضمير المتكلم (عز ٨:١٥-١٥:٩) ولكن عزرا كان شخصية أكثر هدوءاً من شخصية نحميا العملية مرهوبة الجانب، ذلك أنه لا يتجلى واضحاً على صفحات سفره مثلما يفعل نحميا.

ولقد تزاحم العمل الرئيسى الذى قام به خلال ربيع وصيف عام ٤٤٥ ق.م.، وفى خلاله قام نحميا ليس فحسب برحلته من موضع قريب من الخليج الفارسى إلى أورشليم، بل رمّم أسوار المدينة وأبوابها، وشرع يهتم بدفاعاتها. وقد روى هذه الأمور جميعاً بنفسه.

ومن الأصحاح الثامن إلى قرب نهاية الأصحاح الثانى عشر، يُمسك شخص آخر بالقصة، ليخبرنا عن التحصينات الروحية لنفس المجتمع، بقراءة الشريعة، وبأعمال التوبة والعهد الخاص الذى قطعوه على أنفسهم، وبالتدابير الخاصة بالعبادة بالشكل الذى يريده الله.

وبعد ذلك (١٢:٣١-٣٣) يأخذ نحميا نفسه فى تصوير الاحتفالات البهيجة المزدوجة لتدشين أسوار المدينة ومظاهر الفرح والتهليل بإعادتها إلى ما كانت عليه فى ماضيها المجيد .وأخيراً، فى الفصل ١٣، يتركنا بعد تذكيره قومه بأن المعركة الدائرة ما تزال قائمة. ومن الواضح أن الاثنى عشر سنة التى قضاها نحميا فى منصبه كحاكم، وعودته المؤقتة إلى القصر الإمبراطورى، لم تثن على الإطلاق من تصميمه الحاسم على العمل كما لم تفتر روحه القتالية على الإطلاق. وإذا ما كان لليهودية أن تكتسب شهرة لغيرتها على البّر، فإنها تدين فى هذا المجال وبدرجة كبيرة إلى هذين الرجلين اللذين لم يعرفا على الإطلاق فتور الهمة أو كلال العزيمة بل الحسم البات القاطع، عزرا ونحميا.

الأصحاح الأول
أخبار سيئة من الوطن

أعداد ١-٣ : محنة أورشليم :

عدد ١ : نستطيع من خلال تعبيراتنا أن نحَدد تاريخ هذه المحادثة التى دفعت بالأحداث الكبيرة فى هذا السفر إلى الحركة، بالفترة الواقعة ما بين منتصف نوفمبر ومنتصف ديسمبر سنة ٤٤٦ ق.م. وأن الالتماس الذى قُدم إلى الملك فى الأصحاح الثانى كان فى شهر مارس/ أبريل من العام التالى ٤٤٥ ق.م. وكلا التاريخين يقعان فى السنة العشرين من حكم الملك أرتحشستا [١]. والذى حكم من ٤٦٤-٤٢٣ ق.م.، ذلك بعد انقضاء ١٣ عاماً منذ أخذ عزرا طريقه من بابل عائداً إلى

---

(١) [إن التاريخ الذى نذكره هنا فى هذه الفقرة، هو بحسب تقويمنا الحالى المقابل للتقويم الفارسى، والتقويم اليهودى الذى يبدأ بشهر نيسان (٢:١) أى مارس/ أبريل، ومن هنا فإن التاريخ المذكور فى الآية ١:١ يمكن أن يقع فى السنة التاسعة عشرة من حكم الملك، من حيث أن السنة العشرين لها ما يؤيدها فى موضع آخر فى أحداث ٢:١-٣ (قارن ٥ :١٤). ولكن هناك دلائل على أن العهد القديم يتخذ أسلوباً لتحديد تواريخ الملوك «ذلك من الخريف إلى الخريف» راجع ا.ر. ثييل E. R. Thiel الأرقام الغامضة لتواريخ الملوك العبرانيين Mystericus Numbers of the Hebrew Kings ، انظر أيضاً د.ج.أ. كلاينز D.J.A. Clinesفى صحيفة أدب الكتاب المقدس JBL . وهناك تفسير بديل وهو أن السنة العشرين، فى ١:١ هى خطأ من المحرر أو الكاتب. إن حذف اسم الملك يمكن أن يدل على وجود شئ غير عادى فى نص الآية. ويبدو أن هذا الاقتراح البديل يتضمن صعوبات أقل من فرضية نظام «من الخريف إلى الخريف» المتبع فى تاريخ عهود الملوك، من حيث أن التواريخ الأخرى فى نحميا مؤسسة على التقويم العبرانى العادى الذى تبدأ فيه السنة « بشهر الفصح نيسان Passover month Nissen» (والمعروف سابقاً تحت اسم أبيب Abib) وعقد «عيد المظال Feast of Tobernacles» فى الشهر السابع. (اللاويين ٢٣:٣٤؛ نحميا ٨ : ٢ و١٤)].

أورشليم (انظر الجدل حول هذه النقطة فى الملحق). (شوشن) العاصمة، أو الأفضل شوشن القصر. (قارن أستير ٣:٥، من حيث تميزها عن «مدينة سوسا» العامة وهى المقر الشتوى لملوك فارس.

عدد ٢ : حنانى ربما كان «حنانى» هذا أخاً لنحميا، أو لا يعدو أن يكون واحداً من أقربائه، من حيث أن كلمة واحدة تستخدم فى الحالتين. وهذا الشخص يعود إلى الظهور مرة أخرى فى ٧:٢ كالرجل الذى يعهد إليه نحميا بمركز رفيع المستوى. وفى موضوع السؤال والجواب، فإن كلمة «الذين نجوا» قريبة الشبه من إحدى التعبيرات الأثيرة عند إشعياء وهى«البقية». وهو ذلك الجزء الصغير من إسرائيل الذى سيقوم عليهم المستقبل. واختيار نحميا للكلمات التى ردّدها أخوه حنانيا، يمكن فى الحقيقة أن يكون إلماعة شعورية بالوعد بأن يكون فى ذلك الوقت «بقية إسرائيل» والناجين هم الذين نجوا ليس فحسب من الفناء ولكنهم يتوكلون على الربِّ قدّوس إسرائيل بالحقِّ، (إش ١٠: ٢٠- ٢٢).

عدد ٣ : ويمكن أن يُساء فهم الجواب لو أننا أخذناه على أن نحميا إنما يتحدّث عن الدمار والخراب الذى خلّفه نبوخذراصّر. إن ذلك تاريخ قديم (٥٨٧ ق.م.). ولكن الموقف الحالى كان اخباراً جاءت كالصاعقة. إن الخلفية الواضحة لهذا الموقف نجدها فى سلسلة الأحداث المتعاقبة فى عزرا ٤:٧- ٢٧ والتى جاء فيها «أنه قد أبلغ أرتحشستا الملك بأنه جرت محاولة لإعادة بناء أسوار أورشليم، بيد أنها أوقفت بذراعٍ وقوةٍ». ولقد كان هذا الموقف نذير شؤم، ذلك أن الأعداء المحيطين بأورشليم قد يدعون أنهم هنا يستندون على مظاهرة الملك لهم والعطف الملكى السامى الذى كان يتمتع به عزرا ما لبث أن ذهب أدراج الرياح (قارن عز ٢١:٧- ٢٦). وانهار تماماً كأسوار المدينة وأبوابها. ومن هنا لم يقتصر الأمر على بقاء أورشليم عزلاء، بل كان عليها أن تنطوى على نفسها وأن تلعق جراحها.

أعداد ٤ - ١١ صلاة نحميا :

عدد ٤ : من حيث أن السرعة والعمل الحاسم كانتا التوجّه الطبيعى لنحميا، لذلك كان سلوكه فى هذا الموقف متميزاً. إذ يعرض لنا أين تقع أولوياته، كما يكشف كل

تعبير في هذه الآية، أنه لم يكن بالشخص الذى يندفع إلى العمل بدون روية، فضلاً عن عدم سطحيته، بل كما عرضت أيضاً صلاته التى كانت كالسهم (٢:٤) والإنجازات التى تلت ذلك.

عدد ٥ : إن هذه الفاتحة الاستهلالية المُحكمة لم تقتصر على روعتها البلاغية فحسب، بل إنها وعن عمد تحاشت أن تكون صرخة هلعة من أجل المساعدة والعون، وبذا كان يُمكن أن توصف بأنها رثاء للذات يفتقر إلى الإيمان. بل ارتفعت مباشرة إلى «السماء» (على النحو الذى تفعله الصلاة الربانية)، حيث الفكر الصحيح، ثم إنها تركز الفكر على طبيعة الله، والتى تنعكس بدورها على خصائص الله، ليس فحسب من حيث مظهرها التشجيعى القائم على أمانته ومحبته لشعبه، بل، وقبل كل شئ- على سلطانه الذى يضع كل فرد ، صديقاً كان أو عدواً، فى موضعه الذى لا يتعدّاه.

العددان : ٦ و٧ : إن التذكير بعهد الله فى الآية ٥ يثير موضوع استجابة الشريك فى هذ العهد (أن يحبه ويحفظ وصاياه الآية ٥ج). ومن المحتم أن يقودنا هذا إلى تفحّص قلوبنا، وأن نعترف بذنوبنا وآثامنا وخطايانا، وهو الأمر الذى واجهه نحميا، وقياساً على ذلك اعترف بخطاياه الشخصية (الآية ٦ب) فضلاً عن خطايا الشعب فى مجموعه، وكان عليه أن يتقدّم بمطالبه إلى الله وهو خالى اليدين.

أعداد ٨ - ١٠ : إنه خالى اليدين، ولكنه لم يكن غير مدعوّ. إنه يعرف تهديدات ووعود الكتاب بالدرجة الكافية التى يعرض تضرعه فى قوة وبغير تردد، وهو يعتمد فى ذلك على فقرات متعددة من سفر التثنية (قارن الآية ٨ب مع تث ٢٨:٦٤؛ والآية ٩ مع تث ٣٠ :١-٤ و١٢: ٥). ومما له مغزاه الكبير فى الآية ١٠ هو اقتباسه للكلمات التى كان قد تضرّع بها موسى من أجل إسرائيل على جبل سيناء (تث ٩ :٢٩). التى يطلب فيها موسى من الله أن يقف إلى جانب خاصته ويساندهم «شعبك وميراثك». وبالعمل الذى كان قد بدأ فى القيام به بصرامة وحسم. كانت إسرائيل مهدّدة فى هذه الفترة بالإبادة والفناء، ويبدو الآن أن نحميا يرى أن الموقف الحالى لا يقل خطورة عن موقفهم فى زمن موسى. وهو على مثال موسى يجب أن يقف فى الثغرة، (قارن مزمور ١٠٦ :٢٣) رافعاً شفاعته عن شعبه إلى الله.

عدد ١١ : وتصل بنا الصلاة إلى نقطة مفاجئة مع الكلمات «اليوم» (وهذا الرجل) فيما كانت بديلاً عن العمل. وقد كان نحميا يحتفظ بمفاجأة للقارئ، الذى حتى هذه الآونة لم تكن لديه أية فكرة عن وضعه أو شخصية (هذا الرجل). «ساقياً» وهى نفس الكلمة الواردة فى قصة يوسف (تك ٤٠:٢-٤) وكانت وظيفة رفيعة المقام فى البيت الملكى، إذ كان واجبه الرئيسى اختيار الخمر وتذوقه ليتأكد من أنها ليست مسمومة، وتقديمها للملك، وهذا ما أتاح له العديد من الفرص للقدوم إلى حضرة الملك، وهو الأمر الذى جعل منه رجلاً له نفوذه فى البلاط الملكى. ويُلفت «مايرز» الانتباه إلى عبارة هيرودوت المؤرخ التى قالها عن نظرة الإجلال التى ينظر بهـا الفـرس لمن يشـغل هـذا المنصب، وإلى صـورة شـخصـية أخـيشار فى سفر طوبيا، وكيف أنه لم يكن الساقى فحسب وإنما كان كبير الوزراء عند الأشورى أسرحدون [١].

---

(١) إحدى الترجمات السبعينية (B) تذكر أن نحميا كان «خصياً» وليس «ساقياً»، بيد أن هذا ليس له أساس فى النص العبرى، ويشير إلى الخلط بين الكلمتين اليونانيتين المتشابهتين(على أساس تخمين أن اللقب الفارسى «الترشاثا» يجب أن يُترجم «خصى». أنظر الحاشية أسفل التعليق على عزرا ٢: ٦٣).

الأصحاح الثانى
كاتب السفر يُرسل إلى أورشليم

أعداد ١- ٨ : فتح الموضوع وعرضه أمام الملك :

العددان ١ و ٢ : إن ذكر شهر «نيسان». وهو المرادف تقريباً لشهر أبريل وبداية السنة الفارسية والسنة اليهودية، يكشف عن المدة التى قضاها نحميا فى الصوم والصلاة (قارن ١:٤). لقد انقضت مدة أربعة أشهر منذ أن وصلته الأخبار عن وطنه. والآن يكون قد وصل بصلاته إلى النقطة المذكورة فى ١١:١، زمن العمل.

وكما يقترح الكثيرون، وربما كان خوفه من ملاحظة الملك لحالة الاكتئاب البادية عليه كان السبب المفاجئ لتنبهه إلى انتهاكه لآداب السلوك لأن الخادم عادة ما يكون من الأفضل له أن يحتفظ بمشاعره الخاصة لنفسه، وخاصة إذا ما كانت ستضايق الآخرين. ولكن وإن كان هذا القول يبدو معقولاً، إلا أن السبب فى هذا الموقف كان أعمق من ذلك بكثير. لقد اعتزم نحميا أن يتكلم اليوم (١:١١). ومن المحتمل أيضاً أنه كان قد قرر أن يُعجل بالسؤال عن طريق السماح بأن تبدو مشاعره واضحة. لقد حانت اللحظة المناسبة، فإذا لم يحسن التعامل معها أو انتهازها فقد لا تعود مرة أخرى. وأكثر من ذلك، فلسوف يطلب من الملك أن يُراجع سياسته، من حيث أن القرار الصادر ضد أورشليم، كان قراراً رسمياً. حقاً، لقد ترك القرار ثغرة يمكن من خلالها النفاذ لتغييره (انظر التعليق على عز ٤:٢١)، كانت جرأة من نحميا لو أنه طلب مثل هذه الطلبات الكثيرة من أى شخص، فما بالك وقد طلبها من الملك وخاصة أن فى غضب الملك رُسلُ الموت. (أم ١٦:١٤).

عدد ٣ : عرض نحميا موضوعه على الملك بدقة بالغة. وربما تفسح هذه الحقيقة المجال لمقولات كثيرة، وكما يُشير «مايرز»، فإن نحميا لم يذكر هنا اسم أورشليم خلال محادثته مع الملك- وإنما من الواضح أن اسمها تتضمنه الآية ٨. ومن المؤكد أن

نحميا، مثل أستير (أستير ٨:٣ وما بعدها)، كانت لديه الحكمة أن يعرض المسألة أولاً كأخبار لطمته هو شخصياً، وليس على أنها مسألة سياسية. وأيًا كانت المرحلة التى وصلت إليها محادثته مع الملك والتى كشف منها أن «المدينة بيت مقابر آبائى»، قُصد بها أورشليم، فإنه قد تم اكتساب تعاطف الملك. أما استعداده للمعاونة فقد سبق أن كان واضحاً (الآية ٤).

العددان ٤ و٥ : إن هذا المشهد الذى تذكرناه يعيش فى وجداننا من خلال هذه الرواية السريعة الحميمة. إننا نحس بأننا نحيا فى ثناياها، حابسين أنفاسنا مع نحميا، وهو يُطلق لاهثاً صلاة ويُلملم نفسه استعداداً للإجابة. إن الحديث المتبادل بين الطرفين متميز إلى حد ملحوظ: أما المتضرّع يتكلم بأقل ما يمكن من الإسهاب الذى تقتضيه الكياسة واللطف، والملك من جانبه وفى حدود دوره المعتاد كالرجل الذى يحسم الأمور، يُجيبه فى إيجاز محكم.

عدد ٦ : وربما يدل ذكر «الملكة»، على أن المناسبة كانت مناسبة خاصة، حيث يظهر أنه لم يكن من المألوف أن تظهر الملكة فى مأدبة رسمية. كما أن هذا الأمر قد يُوحى بأن قرار الملك فى جانب منه يعود إلى ما للملكة من تأثير. إن المقابلة بأكملها تعطى الانطباع بأن صفات نحميا الشخصية هى التى أكسبته الحق أن يتكلم فى حضرة الملك، كما أتاحت له أن يخرج فائزاً من هذه المقابلة، ومتخطياً كل العقبات السياسية.

إن الزمن المعين هنا لرجوعه من وطنه يصعب أن يكون بعد الاثنتى عشرة سنة المذكورة فى ٥:١٤؛ ١٣:٦. والأكثر احتمالاً أن يكون قد عاد بعد تدشين الأسوار خلال تلك السنة، وبعد ذلك أُعيد تجديد تعيينه والياً على يهوذا.

العددان ٧ و ٨ : وإذا كانت واقعية هذه المطالب وجسارة نحميا فى تقديمها إلى الملك قد تركت انطباعاً عميقاً فى نفوسنا، فهكذا كان الحال بالنسبة للملك. والغموض فى هذه النقطة، كان سيبدو معه هذا المشروع وكأنه مجرد حلم أو مجرد خاطر فجائى؛ ولكن الواقع أن نحميا قد قضى فترة طويلة فى الصلاة (انظر التعليق

على الآية ١)، وكان على درجة كبيرة من الإيمان، أتاحت له أن يتخيل العملية بشئ من التفصيل حتى بالنسبة للأسلوب الفني للبناء والذى كان سيتبعه عند إعادة بناء السور (وهنا يلزم الرجوع إلى تعليقنا عن عزرا ٥:٨). ولكن العامل الحاسم، والذى أدركه نحميا، لم يكن هو إيمانه الشخصى وإنما موضوع هذا الإيمان: الله الذى هو إلهه، والذى كانت يده الصالحة (أى يده الكريمة) عليه (قارن الآية ١٨ والشواهد فى عزرا ٧:٦.

أعداد ٩-١٦ : الرحلة، الوصول إلى أورشليم والتفقد الليلى :

عدد ٩: لقد تحقق ما هو أكثر من الحماية من وجود الحامية العسكرية المرافقة. إن قدومه على هذا النحو بصحبة بعض رؤساء الجيش أضفى على رحلته تأثيراً بليغاً ودعَّم مظهره حين قدم رسائل الملك إلى حكام المناطق المجاورة، وبذلك أصبح واضحاً أمامهم أن تغييراً قد حدث فى السياسة الملكية (انظر التعليق على ١:٣؛ ٢:٢). وربما كان هذا ما يفسر السبب فى أن أعداء نحميا لجأوا إلى اتّباع أسلوب المخادعة بديلاً عن استخدام القوة فى حملاتهم ضده. وللوقوف على عدم طلب عزرا لحامية عسكرية ترافقه فى طريقه إلى الوطن انظر التعليق على عزرا ٨:٢١-٢٣. (أما عن ولاية عبر النهر انظر التعليق على عزرا ٤:١٠؛ ٥:٣).

عدد ١٠ : إن هذين الرجلين سوف يلقيان بظلٍّ طويل على القصة. فكلاهما كان له نفوذه وسلطانه، على النحو الذى يمكن أن يُرى ليس فقط من الروابط التى أقاماها مع عائلة رئيس الكهنة (١٣:٤-٦ و٨)، ولكن من المصادر الخارجية أيضاً. فهناك وثيقة ترجع إلى سنة ٤٠٧ ق.م. (٣٨ سنة بعد أحداث هذا الأصحاح) تُشير إلى سنبلط على أنه حاكم السامرة [1]، كما حمل الاسم اليهودى طوبيا عائلة قوية فى عمون لقرون قادمة. وهناك قليل من الشك وهى أن صفة العبد هى اختصار قُصد به

(١) انظر بردية إلفنتين. وربما لم يكن قد وصل إلى هذه المكانة حين عبر نحميا «إلى ولاة عبر النهر» أى إلى منطقة يسيطر عليها سنبلط. ذلك لأن الآية (١٠) تتحدث عن سماعه الأخبار، وليس عن تسلمه رسائل الملك المشار إليها فى الآية (٩). ويستفاد من البردية أنه بحلول عام ٤٠٧ كان قد أصبح رجلاً عجوزاً، وأنه اسند سلطاته إلى بنيه.

التحقير للقب: «خادم الملك أى عبده» وأن لقب «العمونى» لا يصف سلالة أو نسل طوبيا، وإنما المجال الذى اختاره والذى حصل من خلاله على مركز سام [1].

أعداد ١١- ١٥ : إن نحميا كان، كالعهد به نموذجاً للفطنة والإدراك السليم والتقوى والورع، والتيقظ لكل تفاصيل المهمة التى نصب نفسه لإنجازها. ومع كل ما تفرّد به من سرعة ومناضلة لبلوغ الهدف، إلاّ أننا نراه لا يندفع فى تهور إلى العمل من غير نظر إلى العواقب (١١) أو إلى الكلام عما اعتزم عمله (١٢). كان يتوقع المعارضة التى يمكن أن يواجه بها القادم الجديد الذى ليست لديه أية فكرة عن المهمة، ومن ثم زوّد نفسه بكل ما يلزمه من معلومات متعلقة بهذا العمل متخيراً اللحظة المناسبة التى يقوم فيها بعمله (١٦) ولم يكتف بأن أخفى خططه عن الأعداء؛ وكذلك فعل قبالة القادة الذين كان عليه أن يقنعهم بمبادرته ويثير حماسهم لتأييده. ولقد كان من الممكن أن يفشل فى ذلك لو أنه كان يعرض خططاً ناقصة يعوزها التخطيط على كل من يعرفه. وقناعة نحميا الشخصية أن الأمر لا يستلزم فحسب التخطيط الدقيق والإعداد السليم، وإنما الأساس فى كل العمل، أنه إنما يعمل من أجل إلهه، وأنه يستهدف به أورشليم (١٢) وأنه لا يستهدف من ورائه مجده الشخصى أو إعلاء شأنه فى نظر مناصريه أو معارضيه.

وليس أمامنا من سبيل سوى الحدس والتخمين للتعرف على الطريق الذى سلكه

---

(١) «طوبيا» (ومعناه «الله الطيب») اسم يهودى وليس عمونى. والدليل على أن هذه الأسرة كانت ولمدة طويلة تحتل مكانة بارزة فى عمون موجودة على كتابة موجودة فى «عراق الأمير».

وكذلك فى خطاب يعود تاريخه إلى عام ٢٥٩ ق.م. بين برديات زينون، حيث تبين «طوبيا» يتولى مهامه تحت إمرة بطليموس الثانى. أما فى أورشليم وخلال القرن الثانى قبل الميلاد فكان لأسرة طوبيا أثراً مخرباً على الديانة والسياسة فى الفترة التى انتهت إلى الاضطهاد الذى تم على يد أنتيوخس أبيفانس. والبعض يعتقد أن بداية كل هذه الأحداث كانت نتيجة الرفض الجزئى لأبناء طوبيا (عزرا ٢:٥٩- ٦١) وذلك نتيجة عدم استطاعتهم إثبات نسبهم. وكانت العداوة والهرب تشكلان رد الفعل الناجم عن هذا الرفض، ولكن ليس هناك وسيلة لإثبات أن طوبيا العمونى كان ينتمى لهذه العائلة.

ليلاً ليقوم بالمعاينة، وذلك لبعد الشقة الزمنية. وعن الأسماء التي جاءت في هذه الفقرة، فإننا نعرف من ٣:١٣ أن باب الوادي (و المذكور أيضاً في ٢ أي ٢٦:٩) وباب الدِّمن كانا يبدعان عن بعضهما مسافة . . ٥ ياردة، ومن المؤكد أيضاً أن باب الدِّمن كان واقعاً في أقصى الحد الجنوبي أو الجنوب الشرقي من المدينة، وأنه يؤدي إلى مقلب القمامة، وادي هنوم (جهنم). وربما كان هو الاسم البديل لباب الفخار (أي النُّفايات) المذكور في إرميا ٢:١٩. ومن الواضح أن باب العين كان يؤدي بنا إلى الينبوع المُسمى عين روجل En Rogel بالقرب من الطرف الجنوبي الشرقي، حيث يلتقي واديا هنّوم وقدرون، حيث باب آخر إلى مسافة أبعد من الجانب الشرقي (باب الماء ٢٦:٣) والذي يؤدي إلى الينبوع الرئيسي الآخر وهو «يُنبوع جيحون». وتختلف الآراء حول «بركة الملك»، ولكن الإشارة في ١٥:٣ إلى «بركة شيلا» عند جنينة الملك يبدو أنها تؤيد ما ذهب إليه ك.م. كينون K. M. Kenyon من أنها هي ذاتها «بركة سلوام التي للملك حزقيا» الواقعة إلى جانب الطرف (الجنوبي) لسلسلة الجبال الشرقية. إن اسم Sheleh شيلا (بالعبرانية †Sclah ١٥:٣) وثيق الصلة بالكلمة العبرانية Siloah، وهي المرادف العبراني لكلمة سلوام Siloam، وتأتي من أصل الفعل «يرسل» أي يجلب الماء بواسطة قناة، حينئذ يبدو أن نحميا بدأ طريق رحلته التفقدية من الطرف الغربي للمدينة خارجاً من المدخل المنهدم ثم تحوّل يساراً في اتجاه الجنوب، مطوّفاً بعد ذلك وهناك كان عليه أن يترجّل عن راحلته، وأن يتقدّم سيراً على الأقدام على امتداد سلسلة الجبال أعلى وادي قدرون (١٤ب، ١٥أ)، قبل أن يقفل راجعاً[١] ويعود داخلاً المدينة من نفس المكان الذي ابتدأ منه رحلته من باب الوادي. وربما كانت العقبة التي اعترضت طريقه تمثلت في تلال النفايات التي تخلفت عن أعمال التدمير الذي صاحبت هجوم الملك البابلي نبوخذ نصر على المدينة، والتي أعاد الكشف عنها دكتور كاتلين كينون Dr. Kathleen Kenyon في تنقيباته الأثرية ما بين عامي ١٩٦١- ١٩٦٣.

---

(١) ومع ذلك يقول بروكنجتون إن عبارة «عدت ودخلت» ربما تكون عبارة عبرية معناها «دخلت ثانية»، ولم يستبعد إمكانية أنه أكمل جولته.

أعداد ١٧ - ٢٠ ردود الفعل على خطة نحميا :

أحياناً يصعب على الشخص الغريب أن يتبيّن بدقة ما أصبح مألوفاً لديه مما أضعف تأثيره عليه. لقد كانت وجهة نظر نحميا ذات مغزى هام. فمن ناحية، أحس نحميا بأنه من العار بقاء أسوار المدينة منهدمة، ومن هنا لم يكن الوضع الأعزل للمدينة هو الذى شدّ انتباهه، وإنما كانت نظرته إلى أورشليم أنها يجب أن تُرى بصفتها «مدينة الملك العظيم»، «وفرح كل الأرض». (مز ٤٨ :٢) ومن ناحية أخرى (وهو أمر يُحسب له) أنه يتحدث أولاً عن «يد الله التى عليه» وبعد ذلك كلمات الملك الفارسى إليه، وهذا هو الوضع الطبيعى للأمور من حيث الأسباب والنتائج. وأيضاً قناعته العميقة والأصيلة- انظر نهاية الآية ٨- والتى كان من السهل انتقالها عنه إلى فريق العاملين معه. وفى الحق أن استجابة فريق العمل له كانت استجابة معجزية على نحو استجابة الملك أرتحشستا له.

عدد ١٩ : وهنا يُضاف اسم ثالث إلى اسمى سنبلط وطوبيا. وهناك دليل على أن جشم Geshem (قارن ٦: ١-٣)، بعيداً عن كونه أجنبياً جديراً بالإهمال، كان شخصية أكثر قوة ونفوذاً من رفاقه، على الرغم من أنه من المحتمل أنه لم يكن على نفس الدرجة من الحماس لقضيتهم. ولقد ظهر اسمه على آنية فضية مهداة إلى الإلهة العربية اللاّت قرب نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، أى خلال الأربعين السنة التالية لهذه الأحداث تقريباً. وتذكر النقوش اسم المُهدى أنه «قايين» "Cain" (قاينو Cayno، ابن جُشم Geshem جاشمون Gashm)، ملك قيدار. ويظهر من مصادر أخرى أن جشم وأولاده كانوا يحكمون حلفاً من القبائل العربية التى كان لها السيطرة على موآب وآدوم (جيران يهوذا إلى الشرق والجنوب) وذلك إلى جانب جزء «من العربية» والمناطق القريبة من مصر، وأنهم كانوا يحكمونها تحت مظلة الإمبراطورية الفارسية. ولذلك فإنه مع وجود شعوب معادية أصلاً كالسامرة وعمون فى الشمال والشرق، أصبحت اليهودية فى الواقع محاطة بالأعداء، ومن ثم بدأت حرب الأعصاب. إننا لنرى حدة وخطورة عبارات الاستهزاء تختفى وراء ذكر كلمة «تتمردون» لأنه يمكن اختلاق أي موضوع قد يحمل الملك على تغيير رأيه، ومن ثم يسمح بالهجوم عليهم أو اغتيالهم.

عدد ٢ : ونلاحظ أن نحميا فى مواجهة أعدائه، لم يستعمل التفويض الممنوح له من الملك كورقة رابحة، بل اتكل على السلطان الممنوح له من الله،. وهنا نحسّ بنغمة الافتخار الرائعة بانتمائه إلى مدينته، وإن كانت تبدو فى هذا الوقت منهدمة ومدوسة بالأقدام. وفى كلماته الثلاث: «نصيب» و«حق» و «ذكر» يستبعد نحميا تماماً الماضى والحاضر والمستقبل لهؤلاء الخوارج غير المرغوب فيهم.

الأصحاح الثالث
المشاركة فى العمل

إن هذا البيان بالأسماء والأماكن التى إلى حد بعيد أسدل عليها ستار النسيان تكشف عن عمل فائق للعادة من حيث التنظيم والتنسيق وتوزيع العمل. وكلها تنم عن حماس جماعى يشمل جميع أعضاء فريق العاملين، المتغاير من حيث خواصه وعناصره، والذين بدأوا فى العمل فى امتدادات السور القريبة من مواقع إقامتهم، وكان البعض منهم وحدات أسرية، وأخرى وحدات وافدة من البلاد ومن أصحاب الحرف (مثل الصيَّاغ والعطارين الآية ٨) والتجار (الآية ٣١ و٣٢) ووجهت النداءات إلى الكهنة ١:٢١ و٢٢ و٢٨؛ واللاويين ١٧ و١٨؛ وخدم الهيكل الآية ٢٦، ورؤساء الدوائر الآيات (٩ و١٢ و١٥ -١٧) بل لقد حفز أحدهم بناته للمساهمة فى العمل (الآية ١٢: انظر التعليق. ولقد كانت هناك نغمة واحدة مدوّية (انظر التعليق على الآية٥) كافية لأن تبرز درجة الحماس الفائق للعادة للعمل الجماعى الذى تم إنجازه.

ويبدو لنا من اكتشافات دكتور كينون Kenyon سنة ١٩٦٠، أنه من الاحتمالات المرجحة أنه كان فى الجانب الشرقى لسور المدينة كان سور نحميا يحتضن سلسلة الجبال الواقعة أعلى ممر قدرون الضيق فى حين أن السور القديم كان أكثر اتساعاً عند القاعدة، وكان قريباً بدرجة كافية إلى قاع الوادى بحيث يشرف على نبع جيحون. أما من حيث الموقف الحالي فإنه مع وجود كتلة ضخمة من الأطلال والأنقاض أسفل حافة الوادى، ومع تراجع أهمية جيحون (وذلك منذ أن استخدمت الخزانات المتطورة الكافية لحجز المياه اللازمة لاحتياجات المدينة)، ومع وجود قلة من السكان للدفاع عن المدينة، كل هذه الأمور بيّنت أنه كان لنحميا كل الحق فى أن يقلّل من امتداد السور فى هذه الناحية مع الحفاظ عليه ناحية الأرض المرتفعة (انظر التعليقات على الآيات ٢٠- ٢٢).

عدد ١ : تمضى الرواية فى الاتجاه المضاد لعقرب الساعة حيث تبدأ من باب الضأن وتنتهى عنده (قارن الآية ٣٢)، والذى نعرف أنه كان يوجد بالقرب من الطرف

الشمالي الشرقي. ويتحدّد موقعه بقربه من بركة بيت حسدا (يوحنا ٥:٢). وهو موضع أمكن تحديده بوضوح.

إن العمل الذى قام به ألياشيب والكهنة، كان عملاً حاسماً. وحقيقة أنهم «قدسوا» القسم المخصص لهم من العمل تؤكد بذلك على طبيعة المشروع بأكمله. وعندما يكتمل العمل، فإن السور بكامله سيتم تدشينه فى حفل من المواكب والأغانى والذبائح (١٢:٢٧- ٢٩). كان هذا القطاع من السور قريباً من الهيكل، الذى كان يقع تجاه الطرف الشمالى من المدينة، إلا أن الموقع المؤكد للبرجين المذكورين هنا ليس معروفاً حتى الآن. وكل ما نعرفه أنهما كانا موضعين يمكن أن نصل إليهما إذا ما تحركنا ناحية الغرب على امتداد السور الشمالى. وفى الواقع أن قدراً ضئيلاً من هذه المواضع التى وصفت فى هذا الأصحاح بعناية كبيرة، قد أمكن التعرّف عليها ، من حيث أن العمران الحالى للمدينة لا يسمح إلا بمجال ضئيل للأعمال الاستكشافية.

العددان ٢ و ٣ : العديد من أسماء المدن فى هذا الأصحاح نجدها أيضاً فى أسماء الجماعات المحلية التى كانت من أوائل الجماعات التى قدمت من السبى فى عز ٢ (والتى أُعيد ذكرها فى نحميا ٧). وكان بنو أريحا وبنو هسناءة من بينهم (عز ٢:٣٤ و٣٥)، والذى يتبدى منه أن كلمة هسناءة Hassenaahos فى هذه الآية هى اسم لمكان (ذلك أن سناءة Senaah مسبوقة بأداة تعريف) أكثر من كونها اسماً لشخص [١].

عدد ٤ : وتحتل كلمة «رمّم» هذا الأصحاح. وكما يشير كوجينز "Coggins" فإن الفعل العبرى مصطلح عام يعنى: «يثبّت أو يقوّى» ولا يعنى بالضرورة إعادة الشئ إلى ما كان عليه أولاً.

مريموث شخصية هامة، ذلك أنه مع ملكيا (الآية ١١) يكوّنان حلقات اتصال بين

(١) ومع ذلك نجد فى نحميا ١١:٩، الاسم المشابه «هسنوآة» وقد جاء علماً (أى اسماً لشخص، ومن الممكن أن يكون وصفاً لا اسماً (انظر التعليق على ١١:٩) فى مكانه.

إرساليات عزرا ونحميا، والتى كان يُعتقد فى بعض الأوقات أنه لم يكن هناك أرضية أو أساس مشترك بينها (انظر الملحق الرابع). ففى عزرا ٨:٣٣ ذكر أن مريموث ابن أوريا، وزن الذهب والفضة والآنية التى أحضرها عزرا من بابل. وفى عزرا ١٠: ٣١ ذكر أن ملكيا بن حاريم كان أحد الذين استجابوا لدعوة عزرا بالتخلص من الزيجات الأجنبية. وأيًا كان الأمر فإنه يلزم الرجوع إلى التعليق على عزرا ٢: ٦١.

عدد ٥ : هذه لمسة نابضة بالحياة، والماعة إلى عجرفتهم وليس إلى فتور حماستهم. إن العنف المتصلب هو صورة لهذا الموقف غير المطلوب (انظر مزمور ٧٥:٥، أو خروج ٣٢:٩ وإن اختلفت الكلمة المستخدمة- صلب الرقبة). ومن المحتمل أن معنى «سيدهم» تعنى هنا «المشرفون عليهم» [1] أو قد يكون المقصود بها الله كما فى ترجمة RSV. وأيًا كان الأمر، فإن كان «عظماؤهم» قد اتخذوا هذا الموقف المؤسف «فلم يدخلوا أعناقهم فى عمل سيدهم» (وهو الذى قال عنه مواطنهم النبى عاموس)، فإنا نجد أن بقية الجماعة لم يكن فى عملهم ما يخجلون منه: ذلك أن مسؤليتهم كانت قاصرة على إنجاز قطاعين من السور (انظر الآية٧). كما أن هؤلاء العظماء لم يجدوا أدنى مساعدة من الآخرين الذين من نفس منزلتهم الاجتماعية الرفيعة، انظر مثلاً الآيات ٩ و١٢.

عدد ٧ : إن ختام هذه الآية يمكن أن يشير إلى أن جبعون والمصفاة كانتا خارج حدود يهوذا، وكانتا لسبب ما تحت الإشراف المباشر للحاكم المحلى (انظر التعليق على عزرا ٤: ١٠ عن مصطلح عبر النهر). ولكن الجملة القائلة بأنهم كانوا تحت ولاية والى عبر النهر- كرسى والى عبر النهر، هى مجرد تفسير لتعبير عبرى غامض.

عدد ٨ : وعن المعاونين المتنوعين (والذين تحولوا الآن إلى عمل مختلف تماماً عن عملهم المعتاد) فإنه من الضرورى الرجوع إلى التعليقات الاستهلالية من هذا الأصحاح.

---

(١) جاءت هذه الكلمة فى الأصل فى صيغة الجمع (أسيادهم) كما فى ترجمة كتاب الحياة.- المحرر.

عدد ٩ : هنا كما فى الآية ١٢ نتقابل مع اثنين من الشخصيات الرسمية، من بين العديدين فى هذا الأصحاح الذين وضعوا عظماء تقوع (الآية ٥) موضع الخزى. إن الكلمة المستعملة هنا للدلالة على الرئيس، تجئ فى معظم الأحوال مترجمة عن العبرية إلى كلمة أمير فى مواضع أخرى من العهد القديم، على الرغم من كونها لا تحمل أي دلالة على الانتماء إلى البيت الملكي. وتعنى كلمة «دائرة» فى الأساس معنى مغزل أو وشيعة Spindle ، ويبدو أنها تدل على الدائرة أو المنطقة المحلية وليس بالأحرى المدينة نفسها، وهى تستخدم فى ارتباطها بالمدن الأخرى فى هذا الأصحاح، انظر إلى جانب الآية ١٢ الآيات ١٤- ١٨.

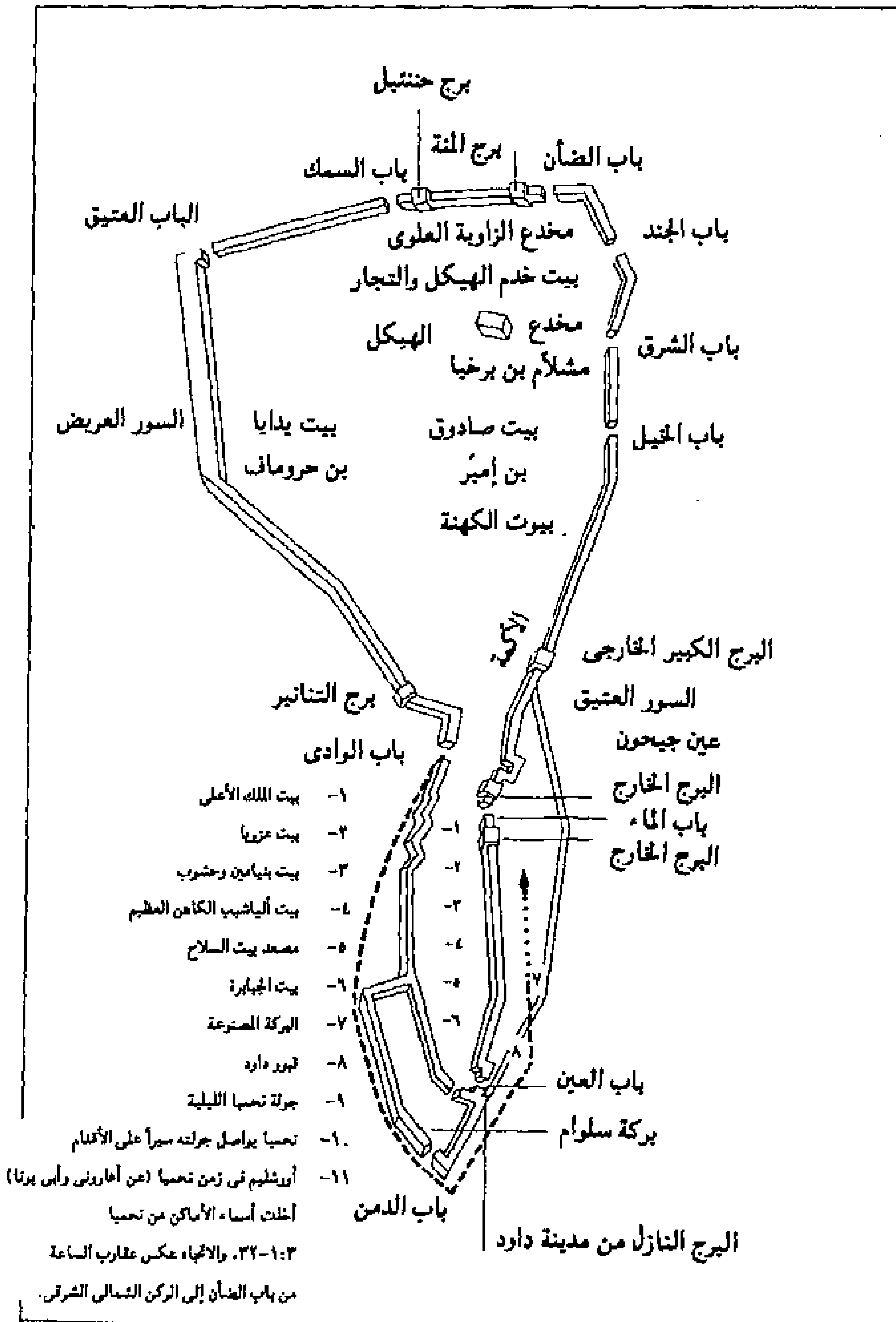
عدد ١١ : ملكيا بن حاريم، وله أهميته الخاصة لكونه حلقة اتصال مع الأنشطة المذكورة فى سفر عزرا. انظر التعليق على الآية الرابعة.

عدد ١٢: انظر التعليق على الآية ٩ للوقوف على المنزلة الاجتماعية والمقام الرفيع لهذا الرجل. ويقول بعض الكتاب (مثل أكرويد) إن كلمة «بناته» تعنى القرى الواقعة فى دائرته. ولكن القرى لا يُقال عنها «بنات» إلا فى صلتها بمدنها الأم (كما فى حزقيال ١٦:٥٣- ٥٥)، وليس من حيث صلتها برؤسائها. إن هذا جهد عائلى أصيل.

الأعداد ١٣- ١٥ : باب الوادى. كان نقطة البداية لرحلة نحميا التفقدية الليلية. وللوقوف على المعالم الحدودية المقترحة فى هذه الآيات الثلاث انظر الفقرة الثانية (والتعليق على ٢:١١-١٥).

عدد ١٦ : إن «نحميا» المذكور هنا هو واحد من ثلاثة أشخاص يحملون هذا الاسم، ومن ضمنهم واحد من أوائل الراجعين إلى الوطن مع زربابل، منذ القرن السابق تقريباً (عز٢:٢). وهذا الاسم معناه «الرب قد عزّى».

«قبور داود»: من المفروض أنها فى صيغة الجمع لتشمل قبور نسله. ونحن نعلم من ١ملوك ٢: ١٠ أن داود قد دفن فى المدينة التى تحمل اسمه، أى هذا الجزء الجنوبى من سلسلة الجبال الشرقية لمدينة أورشليم. ومهما يكن الأمر، فإن قبره التقليدى، كان يقع فى سلسلة الجبال الغربية للمدينة، على الرغم من أن الدليل



أورشليم فى زمن نحميا (عن أهاروني وأبى يونا). أخذت أسماء الأماكن عن نحميا ٣: ١-٣٢، متجهين على عكس عقارب الساعة من باب الضأن فى الركن الشمالى الشرقى.

الأركيولوجى واضح جداً من أن مدينة داود لم تكن واقعة فى تلك الجهة.

«البركة المصنوعة»: ربما كانت اسماً آخر لبركة الملك المذكورة فى ٢:١٤، إلاّ أن هناك اسماً آخر محتمل لها هو «بركة سلوام عند حديقة الملك» (٣:١٥)، وذلك إذا لم تكن هى نفس «بركة سلوام» التى ناقشناها فى ٢:١١- ١٥.

الأعداد ١٧ - ١٩ : وعلى جانبى بيت رئيس الكهنة (الآية ٢٠) [(١)] جرى العمل الذى نهض به اللاويون (١٧- ١٩) والكهنة (٢٠- ٢٢). وكان هذا قطاعاً من السور الشرقى إلا أن مسئولية الكهنة الرئيسية كانت جزءاً من السور الشمالى المذكور فى الآية الأولى. أما رئيس دائرة المصفاة (الآية ١٩) قد يكون رئيساً على بلدة تحمل نفس الاسم، متميِّزة عن الدائرة المحيطة المذكورة فى الآية ١٥. ولا تُشير «الزاوية» (آية ١٩) إلى الزاوية الرئيسية للسور، من حيث أننا لا نزال نتتبع خط سير السور الشرقى فى سيره من الجنوب إلى الشمال على طول ممر قدرون، وهناك أيضاً زاوية أخرى فى الآيتين ٢٤ و٢٥. وربما يكون هذا نتوءاً أو ثُلمة فى مجرى السور، أو ربما تكون جرفاً، إذا ما كانت الترجمة NEB صحيحة.

الأعداد ٢٠- ٢٢ : لقد كان روجر دينى Roger Dieny الباحث «فى مدرسة أورشليم للكتاب المقدس» وعضو «فريق دكتور كينيون» للتنقيب عن الأثار (سنة ١٩٦٢)، أول من أشار إلى أن الدلائل التى توضح أن نحميا قد قصَّر خط المبانى على طول الجانب الشرقى للمدينة بالتزامه السير فى المبانى بقمة سلسلة الجبال الواقعة شرقى مدينة أورشليم (انظر الفقرة الثانية التمهيدية لهذا الأصحاح والسابق ذكرها)، وربما كان الذى حمله على اتِّباع هذا الخط هو المعالم الحدودية المذكورة فى هذه الآيات الباقية. ومنذ الآن فصاعداً أصبحت البيوت الخاصة هى نقاط الشواهد الرئيسية. وحيث تذكر الرواية أبواب المدينة فإنها تقصد فى هذه الحالة أن تُعيِّن بدقة موقعاً فى مواجهة أحد الأبواب (٢٦ و٣١) أو لكونه واقعاً فوقه (الآية ٢٨)، وليس ترميمه كما كان الحال فى الآيات ١ و٣ و٦ و١٣ و١٤ و١٥.

---

(١) يظهر كل من «باروخ» (آية ٢٠)، مريموث (آية ٢١)، فى قائمة الكهنة الواردة فى ١٠ :١-٨. وبالنسبة لمريموث انظر أيضاً التعليق على الآية (٤) من الأصحاح الثالث.

العددان ٢١ و٢٢ : مريموث. هذا الشخص كغيره من الأشخاص القلائل والجماعات (مثل التقوعيين، الآيتين ٥ و٢٧) قام بإعادة بناء أكثر من قطاع واحد من السور. وللوقوف على شخصيته وأهميته انظر التعليق على الآية ٤ فيما سلف.

العددان ٢٤ و٢٥ : «الزاوية» انظر التعليق على الآية ١٩ فيما سلف.

العددان ٢٦ و ٢٧ : «الأكمة» : وقد تكون هضبة أو ربوة أو أكمة، وكانت بداية تل أو هضبة الهيكل، ومن هنا كانت مكاناً مناسباً «لخدم الهيكل».

«النثينيم» (انظر التعليق على عزرا ٢:٤٣- ٥٤). وهي تأخذ في الارتفاع في اتجاه الطرف الشمالي لسلسلة الجبال الشرقية لمدينة أورشليم. ومن المسلّم به أن «باب الماء» كان يقع في مقابل «نبع جيحون» مورد المياه الرئيسي للمدينة بمعزل عن خزانات مياه الأمطار، وإذا كان الأمر على هذا النحو، فإنه لن يكون واقعاً على أقل من منتصف الطريق على امتداد السور الشرقي من الجنوب إلى الشمال، وقبل وصوله إلى بداية الأكمة، كما تؤكد عليه وتثبته نهاية الآية ٢٧. أما سور الأكمة، فربما يشير إلى ما تبقّى من السور الخارجي... غرب جيحون، في الوادي، والذي بناه منسّى خارج مدينة داود غرباً إلى جيحون في الوادي وإلى مدخل باب السمك وحوّط الأكمة بسور وعلاّه جداً (٢ أي ٣٤ :١٤) وإذا كان الأمر كذلك، فإما أن يكون ذكره هنا كمعلم حدودي يُرى من فوق (قارن ما فوق باب الخيل في الآية التالية ٢٨)، أو أنه الموضع الذي كان السور القديم يرتفع تدريجياً إلى جانب الوادي ليتصل بالسور الجديد.

وعن «التقوعيين» (الآية ٢٧) الذين رمّوا قسماً ثانياً من السور (انظر التعليق على الآية الخامسة) [1].

---

(١) ورد ذكر الأقسام الثانية ست مرات من الآيات ١١ و ١٩- ٢١ و ٣٠. ولكن في كل هذه الحالات لم يُذكر العمل الأساسي الذي أضافوا إليه قسماً ثانياً (باستثناء التقوعيين وكذلك مريموث (الآيتين ٤ و٢١، ومن المحتمل أيضاً بنّوي» (الآية ٢٤) وذلك إذا ما كان «بوآي» المذكور في الآية ١٨ هو نفس الاسم ولكنه كتب بالخطأ عند النسخ. وبذلك لا تكون القائمة غير جامعة، وليس كل عمل يُذكر بعد كلمة بعده/ بعدهم أن يكون بالضرورة مقصود به «بعد ذلك مباشرة- وهذا ليس مثل التعبير الذي جاء أكثر حسماً وهو «وبجانبه» أو «وبجانبهم»، كما في الآيات ٢ و٤ و٥ الخ. على سبيل المثال.

العددان ٣١ و٣٢ : «العطفة» وهى كلمة مغايرة لكلمة الزاوية فى الآيات ١٩ و.٢ و٢٤ و٢٥، وربما تكون علامة على النقطة التى يتقابل فيها السور الشرقى مع السور الشمالى. ولكن الكلمة قد استخدمت سابقاً فى الآية ٢٤ ب (٢٥ أ فى ترجمة RSV) حيث لا تكون معلماً يدل على تغيّر كبير فى الاتجاه. وأخيراً، وأيّا كان الأمر، فإننا نعود ثانية إلى نقطة البداية لتلك الجولة ذات الاتجاه المعاكس لحركة عقارب الساعة للأسوار حيث نصل إلى باب الضأن المذكور عند بداية الجولة، لنجد رئيس الكهنة ورفقاءه (١و٢) يعملون جنباً إلى جنب مع الصيّاغ والتجار، وهم فى عملهم هذا إنما يرمزون إلى المشروع بأكمله.

الأصحاح الرابع
عصبة الأعداء

أعداد ١- ٦ تحطيم المعنويات :

بدء الهجوم بوابل من الكلمات أمر يستحق المحاولة، فقد كان هذا الأسلوب من أقدم أسلحة العدو، ولذا ما اتخذ شكل السخرية والاستهزاء فإنه فى هذه الحالة لا يحتاج إلى ذخيرة واقعية، بل ولا حجج أو براهين. وفى هذه المناسبة كانت المعنويات التى وجهوا إليها ضغطهم القوى وطيدة الدعائم ولا يمكن زعزعتها. كانت الكلمات لاذعة، بيد أنها لم تبعدهم قيد أنملة عن تصميمهم، ولم تثر فيهم سوى السخط والنقمة على أعدائهم.

عدد ١ : [١] الغضب والسخرية يكونان شركة خاسرة، والاستهزاء بالخصم بغية جره إلى عمل ما يتطلب الهدوء ورباطة الجأش لكى يحقق نتائجه الساحقة إلا أن ما أظهره سنبلط من غضب، ثم عن انزعاجه الشديد الذى كان يحاول ألا يظهره.

العددان ٢ و٣ : وعلى هذا فإن مشاعر الاستهزاء، التى أظهرها نحو اليهود واحتقاره للعمل الذى يقومون به، كان بمثابة خطة أحسن إعدادها. فقد استخدم الأساليب الديماجوجية الغوغائية باستعراض طابور من الجيش (٢أ)، وحصل على تأييد أحد كبار رجال الدول كان فى زيارة له (الآية ٣، وانظر التعليق ٢: ١٠)، كما استخدم سلسلة من الأسئلة البلاغية الجوفاء. ولقد كان لكل هذا تأثيره البالغ بين صفوف مؤيديه، كما يتبدّى ذلك من مواقف الاستهزاء التى تعرض لها اليهود بعد

(١) فى النسخة العبرية : الآيات من ١- ٦ من الأصحاح الرابع أعطيت الأرقام من ٣٣ - ٣٨ (كتكملة للأصحاح الثالث)، والأصحاح الرابع فى النسخة العبرية يبدأ من ٤:٧.

ذلك (الآية٤) ومن حالة الاستمتاع التى كانت عليها الجماهير، والذين يمكن الحدس بالحالة المزاجية التى كانوا عليها من إجابة طوبيا الطريفة (الآية ٣). إن مثل هذه الإجابة الصادرة من موظف مسئول لا تعين فى كثير أو قليل، ذلك لأن الموقف لم يكن يتطلبها. ولكى نتأمل استفسارات سنبلط بشئ من التفصيل (الآية ٢)، وعلى الكلمة العبرية النادرة التى جاءت بمعنى «يرمّم» انظر التعليق على ٣:٨. ومن المحتمل أن المقصود بعبارة: «هل يذبحون»: أى هل يستطيع هؤلاء المتعصبون بصلاتهم أن يرمموا السور؟ إن هذا الأمر هو رجاؤهم الوحيد! وهل يُكملون فى يوم؟ أى هل هم على وعى بالعمل الذى هم مُقدمون عليه وما يتطلبه من استعدادات؟ أما سؤاله الأخير فلا يخرج عن كونه مبالغة فى حالة الدمار التى عليها السور، حيث كان يوجد فى الموضع العديد من الأحجار التى يمكن لهم استخدامها. كانت أبواب المدينة محترقة، ولكن الأسوار لم تكن متكلسة، وإنما كانت منهدمة فقط (١:٣، ٢:١٣).

العددان ٤ و٥ : هذه الصلاة السريعة المفاجئة والتى ذُكرت دون تمهيد تعود بالقارئ إلى ذات اللحظة المفزعة، وكأنها أُخذت من سجل هذا اليوم، ثم نُسخت ببساطة بالصورة التى كانت عليها. وحتى إذا ما كانت مجرد استرجاع من حدث تم منذ زمن بعيد، فإن نحميا يبدو الآن مستغرقاً مرة أخرى فى التجربة أثناء كتابته.

إنها صلاة كغيرها من الصلوات التى فى المزامير وبصفة خاصة صلوات إرميا (مثل مزمور ١٢٣ من معاناته الأليمة مما كان يلاقيه من احتقار واستهزاء. أما فى إرميا ١٨ :٢٣ فمن بين أمور أخرى كان يطلب مجازاة أعدائه والانتقام منهم [١]. ولسنا على يقين مما إذا كانت كلمة «اغضبوا» الواردة فى العبارة الأخيرة. يُقصد بها أنهم أغضبوا الله أم أغضبوا البنائين لأن كاف المخاطب ليست موجودة فى النص العبرى. ولكن على أية حال فإن عمل الله هو الذى يستخف به الأعداء. ومع أن

---

(١) الآية ٥ (أ) على الرغم من قسوتها، إلا أنه يجب فهمها فى الإطار الدنيوى المحدود وفى ظل ما جاء فى العهد القديم بخصوص هذا الشأن، أى أنه يجب أن تفهم على أنها التماس، ليس من أجل دينونة أبدية توقع على المخطئين بل من أجل عدم مسامحتهم على الخطأ الذى ارتكبوه.

المسيحى تعلم الجواب الأفضل على الشر، إلاّ أن عليه أن يتعلم من نحميا أن يتجه إلى الله، وليس إلى نفسه طلباً للمجازاة (فلقد كان صامتاً إزاء السخرية المهينة التى وُجّهت إليه)، ولم يكن مستعداً للحظة أن يتقبل من العالم التقليل من قيمة دعوته.

عدد ٦ : «فبنينا السور»: إن القوة التى تمثلت فى بساطة هذه العبارة والسلوك الذى تسجله، جعلت من سنبلط ورفاقه يظهرون فجأة وقد تضاءل شأنهم وقلّ وزنهم «وأصيبوا بحشرجة أوقفت الصرخة فى حلوقهم»، وصاروا أقزاماً أمام إيمان ووحدة ونشاط هؤلاء القوم المستضعفين.

وفى نفس الوقت كانت خطة البنائين سليمة، إذ أعطوا الأولوية فى سد الثغرات فى الجزء الذى بنى من السور (بلغ نصفه) بدلاً من الاهتمام بإكمال عدد من الأجزاء المنفصلة على التوالى.

أعداد ٧ – ١٤ الالتجاء إلى حمل السلاح

العددان ٧ و٨ : والآن ينضم فريق جديد «الأشدوديون» إلى تحالف الشمال (سنبلط والسامرة)). والشرق (طوبيا والعمونيين)، والجنوب (العرب)، ليكونوا بمثابة تهديد لليهود من الغرب. ويمكن الرجوع إلى التعليق على الآيات ٢: ١٠ و١٩ فيما يتعلق بالجماعات الثلاث الأولى.

ومن الصعب أن نتأكد أى منها كان مجرد صلصلة أسلحة (انظر التعليق على الآيتين ١١ و١٢). إن فشل هذا الجمع الضاغط فى توجيه ضربة واحدة يوحى بأن «رسائل الملك» (٢: ٩) قد اضطرهم إلى أن يركنوا إلى التمهل. ولكن تآمرهم، وإن يكن تعوزه الحماسة، إلا أنه كان يتضمن إمكانيات القيام بهجمات ومضايقات فظيعة (الآية ٨) وكان على اليهود أن يأخذوا حذرهم منهم، بجدّية وحسم.

عدد ٩ : إن الملاحظة الشهيرة : «فصلّينا إلى إلهنا وأقمنا حراساً» يعكس فى جلاء ووضوح إيمان نحميا. إن اشتراك السماء والأرض، والثقة والإرادة الصالحة للعمل، كان من الأمور المسلّم بها وفى نفس الوقت كانت أمراً طبيعياً ومتناغماً، كما أن نظام الأسبقية فى العمل فيما بينهم لم يكن أمراً شكلياً، وإنما كان متفقاً مع الاستعدادات المذكورة فى الأصحاح الأول والمهيئة للموقف فى الأصحاح الثانى، مع

النتيجة السريعة فى ٢ :٤ و ٥ (فصلّيت إلى إله السماء وقلتُ للملك)، وأيضاً مع الآيات ٤-٦ فى هذا الفصل (اسمع يا إلهنا.. فبنينا السور). ولسوف نجد حالة أخرى فى الآية ١٤: (أذكروا السيد العظيم المرهوب وحاربوا).

عدد ١٠ : لم تُعالج الصورة هنا على نحو مثالى: ولسوف تنقل إلينا الآيات القليلة التالية مدى تفشى الشكوك وفقدان رباطة الجأش والشجاعة بين أفراد الجماعة والذى كان من الممكن أن تكون مخاطرة ليست بأقل من المخاطر التى قد يتعرضون لها من العدو الخارجي. فالخوف من كبر حجم العملية، كان سبباً فى ظهور هذا المقطع الشعري الثنائى الشهير- وهذا هو نمط القول الذى جاء فى الآية العاشرة- والذى سرعان ما أصبح على كل الشفاة (لاحظ الاسم الجمعى، وقال يهوذا). ولكن من الممكن أن نخرج بالانطباع الخاطئ من ترجمة RSV ، عن التراخى فى العمل، فى حين أنه يوجد فى النص العبرى الفعل «نبنى» فى صيغة المستقبل «لا نقدر أن نبنى»: لقد كانوا فى شك من قدرتهم على إنجاز العمل المنوط بهم. قارن ترجمة NEB «لن يكون فى استطاعتنا بمفردنا أن نقوم بإعادة بناء السور». لقد كان طبيعياً أن يكون هناك الإحساس بفتور الهمة فى مرحلة منتصف الطريق، وهنا نذكّر بأن هذا الإرهاق العنيف لم يكن سوى أقل مظهر للأعباء التى يرزحون تحت أثقالها.

أعداد ١١ - ١٣ : إن الكلام الخيالى الذى جاء فى الآية ١١، يبدو وكأن المقصود منه هو أن يسمعه اليهود مصادفة وأن يتداول فيما بينهم، ولكن يصعب علينا القول ما إذا كان اليهود المجاورون قد أصبحوا دون أن يقصدوا ناقلين لهذه الدعاية أم كانوا ناقلين نافعين لهذه الأخبار. ويبدو أن المتآمرين أنفسهم من خلال حكمهم على فشلهم فى القيام بالهجوم عليهم، قد أصبحوا موزعى الفكر ما بين الحرب الباردة والحرب الساخنة. إلا أن رد الفعل الحاسم من نحميا قد أفشل كل مؤامراتهم. لقد فشلوا فى بث الرعب فى نفوس اليهود، كما أصبحت المباغتة غير ذات موضوع.

وهناك غموض[1] فيما يتصل بالأسلوب الدفاعى الحاسم الذى اتخذه نحميا، فيما

---

(١) تبدأ الآية ١٣ (أ) بعبارة «فأوقفت» (غير موجودة فى ترجمة RSV ، وقد تكررت فى منتصف الآية. وهناك ترجمة سبعينية مختلفة جاء بها «ووقفوا»، الأمر الذى جعل NEB تستشف أنه نص عبرى، وأنهم أوقفوا أنفسهم- بحيث جعلت الآية ١٣ (أ) تشير إلى الأعداء. ولكن، بما أن عبارة «وراء السور» تكاد لا تعطي معنى «خارجه»، فمن الجلى أن الإشارة هنا إنما هى للمدافعين. أما اختيار=

عدا أن القطاعات المختلفة للعمل قد زوّدت بجماعات من الرجال المسلحين المتماسكين بروابط القرابة الطبيعية التى تجعل منهم كتلة متلاحمة متراصة، وتلك كانت أبسط الوسائل وأكثرها فاعلية. ويبدو أيضاً أن هذا التنظيم تضمن فترة مؤقتة من التوقف عن البناء نتيجة نداء عام لحمل السلاح، عوضاً عن مجرد إقامة حراس كما جاء فى الآية التاسعة.

عدد ١٤ : وتلتقط ترجمة NEB المعنى من التتابع السريع للأفعال (ونظرت وقُمت وقلتُ)، ومن هنا جاءت ترجمة هذه الآية على النحو التالى: «حينئذ عاينت الوضع وعلى التو خاطبت العظماء..»[1] وتُرينا مناشدةِ نحميا إدراكاً واعياً للحياة بكل مستوياتها: الرب، كما هو الحال دائماً، هو الحقيقة الأولى فى نظره (انظر التعليق على الآية ٩)، ولكنه فى نفس الوقت كان على وعى كامل بأن الروابط الدنيوية والولاءات البسيطة تعد جزءاً لا يتجزأ من حياة البشر وطباعهم. ثم إن الدعوة للحرب من أجل أسباب أيديولوجية لا تلقى أذاناً صاغية واستجابة حماسية كالدعوة التى يُقال فيها: «حاربوا من أجل إخوتكم وبنيكم وبناتكم ونسائكم وبيوتكم».

= «أسفل الموضوع» عن المكان المسيح، ربما كان يرجع إلى الضرورة التى أملتها عدم كفاية ارتفاع السور (انظر الآية ٦)، أما بالنسبة للأماكن المشار إليها بعبارة «على القمم» (أى الملاذ المكشوفة) فقد دعت إلى ذلك الحاجة إلى الحركة دونما عائق سواء من الأحجار (الدبش) أو الأبنية. أما ترجمة JB فقد أحسنت إذ جعلت العبارة أماكن منخفضة وراء السور حيث أنها مواضع خالية من العوائق. أما ترجمةGNB فتفسر «القمم» (أماكن مكشوفة) على أنها ثغرات فى السور، وهذا ما يتمشى مع ما جاء فى ٤:٦، حيث أنه لم يكن قد تم تركيب «مصاريع للأبواب» (٦:١). وإذا كان الأمر كذلك، لكان قد ذكر بوضوح أكثر.

(١) الآية جاءت فى ترجمة TB : «ونظرت خوفهم» (انظر ترجمة BNB) بافتراض أن كلمة «خوف» «سقطت سهواً» نتيجة التشابه بين كلمة يرى (r ' h) ويخاف (yr') فى اللغة العبرية. ولكن التشابه موجود بصفة رئيسية فى ضمير الغائب مع الفعل غير التام،. وليس بين كلمتى نظرت (ere) و«خوفهم» (yir'atam).

أعداد ١٥ - ٢٣ : قوة العمل والمحاربة

هذا هو التحرك الرابع المضاد الذى يحض نحميا قومه عليه فى أصحاح منفرد وحيد. إنه لم يكن من ذلك الصنف من الرجال الذى يحارب معارك مستحدثة بأساليب عتيقة. لقد واجه الهزء والإهانة والتحقير بالصلاة وبالعمل المكثف (١-٦)؛ وواجه المؤامرات بالصلاة بإقامة الحراس ضد الأعداء ليلاً ونهاراً (٧-٩)، وواجه التهديدات الأقوى بالدعوة العامة إلى حمل السلاح قائلاً لهم: «اذكروا السيد العظيم المرهوب وحاربوا...» (١٠ - ١٤ قارن الترجمة الأورشليمية TB) . ولقد تقبّل الجميع فترة الهدوء المؤقت الذى يسبق العاصفة: كفرصة لاستئناف العمل، دون أن يلقوا السلاح.

إن العبارة الشهيرة «يد تحمل السلاح ويد تعمل وتبنى»، أصبحت شعار هؤلاء القوم، وقد توصلوا إلى هذا الشعار بعد التروى وإعمال الفكر. إن البنائين فى حاجة إلى أن تكون أيديهم حرّة لكى يستخدموها فى البناء، ومن هنا وضعوا سيوفهم فى أحزمتهم. ثم إن الحمالين الذين يتحركون فى مجال أكبر ومن ثم يواجهون مخاطر أكبر، كانوا فى حاجة إلى أسلحة على أهبة الاستعداد . ولكن المعدات الأثقل ذات المدى الأطول (١٦) لا يمكن التعامل معها بهذه الطريقة بل وما كان من المعقول أن يتمسك أمر الدفاع بأن يحارب كل رجل من أجل نفسه. وكان الحل هو نظام النوبات، وتعيين نوبات دراسة بالشكل المذكور فى الآية ١٦، وكان الجميع تحت إمرة قائد واحد، ووسيلة نداء واضحة (١٨ب- ٢٠). بيد أنه بالنسبة لنحميا، لم تكن هذه إلا مجرد احتياطات وإن كانت بارعة إلا أن قيمتها محدودة، ذلك أن ثقته كانت أعمق من ذلك بكثير، لإيمانه بأن الله يحارب عنهم (٢٠). لقد كان على يقين تام بما جاء فى المزمور ١٢٧: «إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون. إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس».

العددان ٢١ و٢٢ : توضّح لنا الفقرة الختامية أن التهديدات والإجراءات المضادة كان لها تأثيرها المشدّد والمقوّى لمعنوياتهم مما جعلهم يستجمعون قواهم وينشطون إلى العمل، وخلّص نفوسهم من مشاعر القنوط والإحباط الذى لمسناه فى الآية العاشرة.

إن كل لحظة من لحظات النهار كانت ثمينة فى نظرهم، ولا يجب أن يكون حلول الظلام سبباً لإفساد ما أنجزوه بالنهار .

إن القلق الذى كان يراود نحميا بين آونة وأخرى هو خطر ترك أورشليم مثل الصدفة الفارغة (انظر ٧:٤؛ ١١:١ و٢).

عدد ٢٣ : وهنا يظهر نحميا كقائد بأبعد ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فلقد وضع أمام أنظارهم مثالاً قوياً بما حث عليه غيره أن يعمله (قارن الآية السابقة). وقد عرف كيف يستخدم جميع موارده الخاصة بحيث يكون إسهامه فعّالاً ومؤثراً إلى أبعد حد. اسمع إلى هذا القول العميق المغزى والدلالة على القدوة الحسنة: «لم أكن أنا ولا إخوتى ولا غلمانى ولا الحراس الذين ورائى نخلع ثيابنا. كان كل واحد يذهب بسلاحه إلى الماء»، ولسوف نرى فى الأصحاح التالى أمثلة أخرى لهذا القائد الذى يندر أن يجود بمثله الزمان، والذى استطاع أن يجعل الجميع يعملون معاً كرجل واحد. وإذا كان هناك غموض فى النص العبرى حول الكلمات الأخيرة من هذه الفقرة، فإن أفضل توضيح لها هو ما جاء فى ترجمة NEB أن جميعهم كانوا يذهبون إلى الاغتسال حاملين سلاحهم فى يدهم اليمنى احتراساً من المفاجأة.

الأصحاح الخامس
تهديد من الداخل

فى هذا الأصحاح نجد أن الأعداء وأسوار المدينة يرتدون إلى الوراء من مسرح الأحداث، لتتكشف أمامنا مشكلة أكثر حدة. هنا يأتى الخطر من الجوع والاستغلال، وتصبح بنية المجتمع هى المعرضة للخطر الداهم. إن هذا الفصل يمكن أن يكون نظرة عامة تمهيدية أو استعراض محسوب ومسبق لمتاعب مستقبلية أكثر عنفاً قد تواجه سير المجتمع، وذلك بقصد إحداث موازنة بين التأكيد على المخاطر العسكرية الحالية والولاء الذى استثارته، ولاستعراض مظهر جديد من الأعباء التى يتحملها نحميا كقائد لهذا المجتمع. ومن المؤكد أن الفقرة الأخيرة تأخذنا نحو اثنتى عشرة سنة إلى الأمام.

ومن الممكن جداً أن تكون الآيات ١- ١٣ فى مكانها من حيث ترتيب سير الأحداث، ومن حيث الموضوع الذى تتناوله. وفى حين يبدو مؤكداً أن الأسابيع القليلة لعملية إعادة البناء والترميم كانت زمناً قصيراً جداً لمثل هذه التطورات (لقد استغرق المشروع كله ٥٢ يوماً ٦:١٥)، فإن تاريخ يهوذا فى ما بعد السبى لا يبتدئ بقدوم نحميا. وليس أيضاً بذلك التقرير الذى نُقل إليه وهو فى شوشن «إن الذين بقوا من السبى هناك فى البلاد هم فى شر عظيم وعار» (نح ١:٣). إن تحويله القوة العاملة من زراعة المحاصيل إلى إقامة الأسوار ربما كانت فى واقع الأمر تشكل العبء الأخير وليس العبء الأول.

أعداد ١- ٥ احتجاج صارخ: لقد احتجبت مصادر التوتر الكامنة فى داخل كيان المجتمع بسبب انصراف الجميع إلى متطلبات الدفاع . (وذلك إذا كانت تنتمى إلى هذه الفقرة- انظر ما أسلفناه)، التى كان من المحتم أن تطفو عى السطح وتظهر للعيان. مثل تلك المشاكل التى تعرضت لها الكنيسة الأولى فى عهدها الباكر (قارن أعمال ٦:١)، وفى هذه الحالة، كما فى غيرها، فإنه بفضل القيادة الحكيمة، لم يظهر

منها عند كشفها إلا كل ما هو طيب. ومن المصادفات العجيبة أنه كان للزوجات دور في موجة الاحتجاج. لقد كانت المشاكل حقيقية فعلاً. وتكشف الآية ٢ عن اتجاه طبيعي للقول بأنه قد تمت التضحية بالشئ الكثير من أجل مشروع نحميا[1] «وعلى أي حال، وكما يقول الناس: «أنت لا تستطيع أن تأكل الحجارة». ويتبدّى لنا الموقف الخطير للشعب في الآيتين ٣ و٤، حيث اضطر المزارعون الصغار إلى رهن حقولهم وكرومهم للحصول على المال الذي يشترون به القمح ويسددون الضرائب، فإن ذلك يشير إلى أنهم على شفا هاوية من الهلاك. تصور لنا صدمة مزدوجة من ناحية كشفها ليس عن نهاية المطاف فحسب، وهو بيع الناس لأبنائهم وبناتهم، بل من بيان هوية أولئك الذين اضطروا ضحاياهم إلى ذلك وهم بحسب تعبير الضحايا أنفسهم «إخوتنا».

أعداد ٦-١٣ إصلاح الخطأ

ومن حسن حظ الشعب أن نحميا لم يكن من ذلك الصنف من الرجال الذين تشل تفكيرهم المشكلات. لقد كان غضبه معياراً لاهتمامه بشعبه وحبه لهم، على مثال ربنا في ما جاء عنه في مرقس ٣:٥، يوحنا ٢:١٤- ١٦، أو بولس الرسول في ٢ كورنثوس ١١:٢٩. وقد كان من نتيجة هذا الاهتمام التغلب على هذه المتاعب والقيام بالإجراءات البناءة، وهو ما يتضح من سياق الفقرة.

عدد ٧ : إننا نجد في NEB الترجمة الرائعة لهذه الفقرة: «لقد سيطرت على مشاعري.. وأقنعت العظماء والولاة بالحجة والمنطق...» ولكن ترجمة RSV يبدو أنها كانت على درجة كبيرة من الصواب: «لقد شاورت نفسي. واتهمت..[2]..» وهناك

---

(١) تتبنى كل من ترجمة JB و NEB فكرة أنه في الأصل العبري سقط من النص حرف ساكن قبل كلمة «كثيرون»، وبهذا تكون العبارة «نحن راهنون بنينا وبناتنا.. حتى نأخذ قمحاً. ولكن النص لا يدعم هذا الافتراض.

(٢) فشاورت قلبي: المعنى هنا «سيطرت على مشاعري»، والفعل قد يأخذ معنى يحكم reign : وقد استُخدم فعل آخر في أم ١٦ :٣٢ ليعبر عن «ملك (أو حاكم) الإنسان لنفسه «ومالك نفسه خير ممن يأخذ مدينة».

ارتباط بين الفصل الثانى من هذه الأفعال بالدعاوى القضائية. وقد تضيف «الجماعة العظيمة»[1] التى أقامها نحميا ضدهم ضغطاً قوياً بالنسبة لما وجهه إليهم من اتهامات.

ولكن ما هى حقيقة التبكيت الذى وجهه نحميا فى الآية السابعة؟ أهو جباية الفوائد (RSV)؟ أو إثقال كواهلهم بالأعباء المالية (الترجمة JB؛ قارن GNB)؟. إن الكلمة العادية للفائدة لم تستخدم فى هذه الآية (قارن تثنية ٢٣:١٩ و ٢٠)، كما أن فرض الأعباء المالية[2] لا تتماشى مع الكلمة العبرانية فى الآية العاشرة. إن المصطلحات اللغوية فى هذه الآية كما فى الآية العاشرة لا تحمل من المعانى أكثر من «الإقراض» (وليس اقتضاء الديون) و«قرضاً»، (وليس فائدة). ولكن الكلمات تتضمن تعاملات مالية صارمة (قارن الكلمة العبرية فى ١ صموئيل ٢٢:٢)، ومن هنا يكون اتهام نحميا لهم أو على حسب مصطلحاتنا، وهو أن المقرضين كانوا يعاملون المقترضين لهم على نفس نمط من يرهنون أشياء، وأنهم كانوا على هذا النحو صارمين معهم- بدلاً من معاملتهم كإخوة. إنهم كانوا يقرضونهم بضمان أفضل غطاء للقرض (قارن NEB)، ومن ثم كانت دوافعهم سيئة نحو بنى جلدتهم. وكان من الأمور الشرعية والقانونية طلب رهن لتغطية القرض (قارن مثلاً تث ٢٤: ١٠-١٣)، ومن المحتمل أن نحميا نفسه قد مارس مثل هذا الحق (انظر التعليق على الآية ١٠). ولكن الأمر يختلف فى أوقات الأزمات العصيبة، فإن السكوت على هذه الأدواء الاجتماعية، كفيل بتوجيه ضربات مميتة إلى المجتمع.

عدد ٨ : والآن نجد نحميا يكاشفهم بأبعاد موقفهم بكل صراحة (قارن مرقس

---

(١) ترجمة NEB : جاءت دون هذه العبارة بحجة أنها لم تجد إشارة إليها فى النص العبرى. ولم تقدم مبررات كافية لذلك، لكن من الواضح أن الكلمة العبرية qhilla تعنى بوضوح «جماعة» (تث ٤:٣٣).

(٢) هذه الترجمة تتضمن تغييراً بسيطاً فى كلمتين من الأصل العبرى (بتغيير حرف S' إلى S') مع أنها تركت الحال على ما هو عليه فى عدد (١٠)- مع صعوبة أخرى وهى أن المعنى الحرفى للكلمات العبرية هو (حمل ثقل) وليس (قرض).

٣٣:٩ و٣٤) بمعايرة أعمالهم بالمغايرة مع التدابير النبيلة، الأمر الذى تبدّت معه بشاعة التصرفات التى أتوها، حتى فى نظر الذين قاموا بها. إن نحميا فى هذه الآية يضرب فى صرامة وقسوة على وتر واحد هو موضوع البيع والشراء. ولم يهتم فى محاولته إن كان يصف الأعمال التى قام بها بشخصه أو قام بها الآخرون بالنسبة لليهود الذين فى الخارج أو الذين استبعدهم الأمميون فى داخل الوطن، فيما عدا أنه فى الحالة الأخيرة فإن بعضاً من أولئك الذين بيعوا ثانية [١] بواسطة الأمميين، كان اليهود أنفسهم هم الذين سبق لهم أن باعوهم إليهم.

عدد ٩ : إن الخزى والعار الذى أحسّ به هؤلاء الذين قاموا بهذه الأعمال الدنيئة أتاح له أن يكون فى الموقف الراسخ الذى يمكّنه ليس فقط من أن يجعل اتهامه لهم أكثر حدّة (إذ أنهم بهذا العمل الدنئ إنما يزدرون بالله)، بل إنه أخذ يستثير فيهم الدوافع السامية النبيلة. ففى قوله لهم «ألا تسيرون فى خوف الله؟ دعوة لهم لأن يخافوا الله» وفى نفس الوقت توبيخ لهم لكونهم لا يسيرون فى خوف الله.. بل إنها على الأكثر مناشدة لهم ليسيروا فى خوف الله.

عدد ١٠ : إن نحميا هنا- تلطيفاً للوضع- يضع نفسه فى قائمة المتهمين [٢] ومن الواضح تماماً (استناداً إلى ردة فعله الغاضب فى الآية ٦) أنه أقرض بشروط مختلفة تماماً عن شروطهم، ولكنه يرى أن الموقف الآن يستدعى تقديم العطايا للمحتاجين المعدمين، وليس إقراضهم بالفوائد، وهو هنا لا يقدم تنازلات- وإنما وبطريق غير مباشر يغير من ضمير المتكلم المفرد والجمع، فى هذه الآية إلى ضمير المخاطب، فى الآية التالية، باعتبار التنازلات ضرورة حتمية.

---

(١) تقول الترجمة العربية (فيباعون لنا) وهذا هو المعنى الحقيقى للنص العبرى بينما تقول ترجمة GNB (فيباعون لكم).

(٢) يفهم بعض المفسرين أن نحميا هنا ما زال يقارن بين كرمه وبين جفاء معاملة الآخرين، لكنه يستخدم عن نفسه التعبيرات التى أدانها فى عدد (٧) وهو فى طلبه الأخير (١٠/ب) يستنكر ويرفض (الاقراض) الذى سبق أن أقر به فى أول العدد- والاسم والفعل- فى رأيي- يعطيان معنى (الاقراض مقابل ضمانات).

أعداد ١١- ١٣: ولكون نحميا على الدوام هو الشخص الواقعي، لذلك فإنه لم يفسح المجال للمماطلة أو التأجيل أو إعادة التفكير، ويؤكد على الانتقال من مرحلة الوعود إلى مرحلة أخذ العهود التي يتم التصديق عليها أمام الكهنة. ولم تكن هذه الأمور تدخل القناعة إلى قلبه، إذ نراه يمارس ما هو أكثر من مجرد وسيلة بصرية بل حكماً مشروطاً وضعه بنفسه على غرار ما كان يفعل الأنبياء (انظر على سبيل المثال ٢مل ١٣:١٥- ١٩، إر ١٩ : ١٠- ١١)، قارن في العهد الجديد إلماعة مشابهة لهذا الموقف لبولس في أعمال ١٨:٦، وأيضاً تعليمات الرب لتلاميذه في متى ١٠:١٤ و١٥. وهنا نجد لدينا الميل إلى تصوير الاستجابة الحماسية في ١٣ب باعتبارها استجابة من الجماعة على انفراد وبالمقابلة مع الأقلية المذنبة (قارن ٧ ج؛ ولكن الجملة الأخيرة تحدثنا عن الطاعة العامة (الشعب)، وربما توحي بأنه على غرار ما فعله نحميا نفسه (الآية ١٠) فإن آخرين بخلاف المذنبين الرئيسيين اكتشفوا أن عليهم أن يقوموا بالأعمال التي تتواءم مع دعوة نحميا (قارن ١٠) والذين فرحوا أخيراً بأن يتصرفوا على النحو الصحيح.

ملاحظة : إن الجزء من مئة (في الآية ١١) قد يكون في حقيقة أمره عائداً منخفضاً لرأس المال، إلا أن حساب الفائدة هنا ربما كان على أساس عائد شهري لرأس المال (أي ١٢٪ سنوياً). إن الطلب المذكور في هذا النصف من الآية هو إما لإعادة الفائدة التي أخذت على القروض (قارن RSV)، أو (كما أفضل أنا شخصياً) الدخل الذي حصل عليه الدائنون من الأملاك التي استرهنوها (قارن NEB ردوا اليوم للمدينين لكم «حقولهم وكرومهم..» وفي الوقت نفسه ما تحقق من دخل فضة وقمحاً...). إن كلمة الجزء من المئة (بالعبرانية m'at) من الممكن أن تعني افتراضاً هذا الدخل، والقيمة المحدَّدة له، ولكن البعض يظن أن حرف S أو S قد سقط من هذه الكلمة ، مما يجعل الكلمة تتضمن إمّا massat عبء أو جزية، وهي هنا أخذت لتعني نتاج الحقول المصادرة والكروم؛ أو أنها تتضمن بمعنى آخر massat أي القروض بفائدة (أو الرهن)، ومن ثم «الدين» (قارن الترجمة JB ردّوا إليهم حقولهم.. على الفور، والغو المديونية على الفضة (المال)، والقمح، والخمر والزيت والتي سبق أن أقرضتموهم إيّاها. إن الواجب الرئيسي للمترجم، على امتداد هذه الفقرة، هو أن

يعطى تفسيراً منسجماً للكلمات ذات الصلة الوثيقة والمترجمة فى RSV بالمصطلحات اللغوية «اقتضاء»، «الفائدة»، إقراض بفائدة، فى الآيات ٧ و.١ و١١. انظر التعليقات على الآية ٧ و .١.

أعداد ١٤- ١٩ نموذج للقيادة

إن قصة الأزمة، التى فرغنا على التو من سردها، وبصفة خاصة الدور الذى تمثله قدوة ومثل نحميا (الآية .١)، تجعل اللحظة مناسبة له لكى يتمهل قليلاً ليصف لنا أسـلوب حكومته. إننا هنا ومن الآية ١٤ نضف على مرتبته الاجتماعية الرفيعة كوالٍ [1] وعلى المدة التى دامت فيها ولايته الأولى، أى من سنة ٤٤٥ إلى ٤٣٣ ق.م. أما بعض الأحداث التى جرت فى ولايته الثانية، أو الزيارة الثانية فقد جاء وصفها بصورة نابضة بالحياة بدرجة ملحوظة فى الآيات ١٣:٦ - ٣١.

«خبز الوالى» (١٤و١٨): على الرغم من أنه خُصص له من قبل السلطات العليا، إلا أن نحميا قد نظر إليه باعتباره يمثل عبئاً على السكان المحليين، فكم كانت ثقيلة أعباء الاستضافة والتى جاء وصفها فى الآيات ١٧ و١٨. وحيث أن نحميا قد تحملها بنفسه، فإن ذلك يُعد دليلاً- إذا كان الأمر فى حاجة إلى دليل- على أنه كان يعتبر هذا العمل كله كعمل من أعمال المحبة لشعبه. إنه يكشف لنا هنا عن دافعه المزدوج لهذا السلوك الذى انتهجه خلال ولايته.

أولاً : إجلاله وتوقيره النبوى لله، الأمر الذى منعه من أن يُثقل على الشعب (الآية ١٥ ب)، وأنه كان يُولى كل الأهمية لحكم السماء، **ثانياً**: فكان حنوّه وشفقته الأخوية على بنى جلدته لأن العبودية كانت ثقيلة على هذا الشعب؛ (الآية ١٨). ولقد كان فى هذا الأسلوب الذى قسا به على نفسه، يمثّل ما تضمنته الوصيتين العظميين، ويسبق فى هذا الأمر، ما سوف يشرحه بولس باستفاضة عن أولئك الذين

---

(١) الكلمة المستخدمة هنا وفى معظم الأماكن الأخرى هى (Peha) المشتقة من اللغة الأكادية- والمقابل لها فى اللغة الفارسية أعيد ترجمتها بكلمة (الترشاثا) وقد استخدمت فى نح ٨:٩، ١٠ :١، عزرا ٢:٦٣، نح ٧:٦٥ و ٧٠.

يبتهجون من عدم الإثقال على غيرهم بإعالتهم لأنفسهم. وتنازلهم عن مخصصاتهم الدينية، لم يثقلا فى عملهما على من يقومون بخدمتهم، واكتفوا بإعالة أنفسهم بأنفسهم. (انظر كورنثوس الأصحاح التاسع).

الأصحاح السادس

مواجهة الأعداء

أعداد ١ - ٩ : خمسة رسائل من سنبلط

لقد وصلت الأعمال الدفاعية الآن إلى مرحلتها الحاسمة، بعد أن قاربت أعمال البناء على الاكتمال، والتى كان من الممكن أن ينتهى الأمر كله إما إلى النجاح المطلق أو إلى الفشل التام. لقد اكتمل الآن بناء السور، ولم تبق فيه ثغرة، على أنه لم تكن مصاريع الأبواب قد أقيمت حتى الآن (الآية ١)، فكان هذا هو الأمل الأخير للأعداء لأن تكون لهم اليد العليا بدون أدنى حاجة إلى القيام بأعمال الحصار، والذى لن يكون فى صالح إخوتهم من رعايا الإمبراطورية الفارسية.

العددان ٢ و ٣ : وبالنسبة للنفوذ الذى كان لسنبلط وطوبيا (الآية ١) وجشم، يمكن الرجوع إلى التعليقات على ٢ : ١٠ و١٩. أما فيما يتعلق بإقتراحهم عقد اجتماع مع نحميا فى بقعة أونو [١] فكان فى ظاهره مقبولاً. فلقد كان موقعاً قريباً من كل من السامرة وأورشليم. وفى نفس الوقت كان لا يستغرق أكثر من رحلة يوم يقوم بها نحميا ما بين أورشليم وبقعة أونو (كما يشير إلى ذلك بروكنجتون-Brockington)، وعلى نفس الحدود الشمالية الغربية لهذا الإقليم، ويتاخم كلا من إقليمى السامرة وأشدود. ومن حيث أن هذين الإقليمين من الأقاليم المعادية لليهود، فلقد فاحت من مثل هذا الاقتراح رائحة الخيانة (قارن ٤:٢ و٧). ونظراً لأهمية الوقت فى نظر نحميا، وبالنظر إلى أن هذا الاجتماع قد يضيّع عليه أياماً ثمينة يقضيها فى العمل، فلقد رفضه نحميا على هذا الأساس ولم يرفضه بسبب شكوكه فى نواياهم العدوانية النادرة.

---

(١) التعبير (فى إحدى القرى) يبدو غامضاً بعض الشئ. والكلمة المترجمة (قرى) ليست فى صورة الجمع العادية- وقد تكون الترجمات التى فهمتها على أنها اسم حقيقى- على صواب، كما أن هناك اسم آخر ورد فى ٧: ٢٩ وهو (كفيرة) -وبلدة أونو- جاءت أيضاً فى ٧: ٣٧.

ولقد جاءت الترجمة المألوفة فى RSV على غرار ترجمة Av و Rv): «إنى أنا عامل عملاً عظيماً» (الآية ٣)، وقد تبدو هذه الإجابة، وكأن بها مسحة ولو ضئيلة من مدح الذات. إلاّ أنه يمكن أن نقف على معنى أفضل فى ترجمة NEB: «إن بين يدى عملاً هاماً أقوم به» أو على نحو أكثر موضوعية: «عملاً ضخماً..».

الأعداد ٤- ٩ : وفى المرة الرابعة من تساؤلاته، فإن سنبلط لا بد أن يكون وقد أدرك أن قلقه قد بدا واضحاً. فإن ما ذهب إليه من تغيير تخطيطاته، وإرساله خطاباً مفتوحاً، أكد أن ما حوته من نوايا خبيثة لن تلبث أن تتكشف على الملأ وأن نحميا سيعرف هذا. ولقد اقتضى الأمر من نحميا قدراً من الشجاعة لكى يبين زيف كل ذلك، ويؤكد العدد (٩) على هذه الحقيقة بتلك الصلاة السريعة المختصرة: «فالآن يا إلهى شدد يدىّ».

أعداد ١٠ - ١٤ أنبياء مستأجرون يستخدمون نفوذهم

ولقد استخدم النبى شمعيا كل مهاراته فى هذه المواجهة. (ونحن لا نعرف شيئاً عن هذا النبى، على الرغم من أنه قد تكون له علاقة بأسرة دلايا المذكورة فى عز ٢: ٦٠). واعتكافه ببيته[1] أتاح له فرصة أن يطلب إلى نحميا الحضور إليه فى منزله بدلاً من الذهاب إلى نحميا بنفسه، ذلك أن ذهاب نبى لزيارة نحميا، بما للنبى من مكانة هامة فى المجتمع، قد يكون أمراً مثيراً للانتباه، فضلاً عن أن مجئ نحميا لزيارته فى بيته قد تكون طلباً للاستشارة أو رغبة فى استيضاح أمر غمض عليه. أما حقيقة أن يقترح شمعيا الذهاب، فيتبدّى لنا منه أن عجزه -إذا كان حقاً كذلك- كان أمراً عارضاً، وما كان يُعد سبباً كافياً لاستدعاء الحاكم للحضور إلى بيته [2].

والآن وقد تحقق اللقاء فى بيته فعلاً، نرى هذا النبى يصوّر اقتراحه وكأنه كلام من

---

(١) يفترض أن هذا تم بسبب نجاسة طقسية كما فى عدد ١٩: ١١ وما بعده، وليس بغرض الحجز داخل البيت الأمر الذى قد يكون إرميا يصفه فى (إرميا ٣٦: ٥) بنفس الكلمة.

(٢) يقول (كيرلمان)إن نحميا كان يجرى فى عروقه الدم الملكى (قارن عدد ٧) وأن شمعيا كان يخطط لتتويجه سراً.

الله إليه، وبذلك يكون ملزماً، وتقدمها لنا الترجمة JB فى أبيات منفصلة تنتهى بهذه الثنائية:

«لأنهم يأتون ليقتلوك»

فى الليل يأتون ليقتلوك.

عدد ١١ : إجابة نحميا تبيّن أنه رجل معتز بنفسه، كما تبين فى نفس الوقت تواضعه الحقيقى. وسمة الاعتزاز بالنفس نلمسها فى تصرف يوسف (تك ٣٩:٨ و٩)؛ وفى ما قاله يسوع فى لوقا ١٣: ٣١ -٣٣، وأيضاً فى ما قاله بولس فى أعمال الرسل ٢١: ١٠ - ١٤. أما السجية الثانية، وهى الاتضاع الحقيقى والتى عبر عنها نحميا بقوله: «ومن مثلى يدخل الهيكل ويحيا [1]. إن نحميا لم يكن كاهناً، ولم يكن له حق الدخول إلى الهيكل ذاته (بالتمييز بينه وبين ساحاته الخارجية). وعندما تجرأ الملك عزّيا وانتهك حرمة الهيكل، كان من حسن حظه أن نجا بحياته ولم يصب إلا بضربة البرص (٢أى ٢٦: ١٦- ١٨؛ قارن عد ١١:٧).

ولو حاول نحميا أن ينجو بنفسه بمثل هذه الوسيلة، كان من الممكن أن يفقد ليس فقط حياته، بل أيضاً كرامته، ولكان بذلك قد خاطر بالقضية التى كانت تأخذ بجماع قلبه.

العددان ١٢ و ١٣ : لقد اتخذ نحميا فى سرعة القرار السليم، المستند على المبادئ والتى كانت أقوى بكثير من الموقف الظاهرى أو الخوف من الموت. لقد كان هذا وليس خطأ فى تخطيط المبنى، هو الذى مكّن نحميا من التأمل الحكيم فى الاستراتيجية التى ينتهجها من المنبع الذى خرجت منه إلى الهدف المقصود أن تحققه.

---

(١) وهناك ترجمة أخرى ممكنة، وإن كانت تبدو مفتعلة قليلاً: «ومن مثلى يدخل الهيكل لكى ينجى نفسه؟» كما فى بعض الترجمات.

عدد ١٤ : إن هذه الكلمات الاعتراضية التى تضمنتها هذه الآية، بصرف النظر عن الصلاة البليغة فى ٤:٤ و٥، تُعد واحدة من سلسلة المناشدات والتوجّهات السريعة إلى الله (والتى هى حقاً استغاثة موجهة إلى الله تحمل أكثر من معنى) مثل ما نجده فى أماكن أخرى من هذا السفر فى ٥: ١٩؛ ١٣: ١٤ و٢٢ و٢٩ و٣١. أما العامل المشترك فى هذه الصلوات فهو الإصرار على عمل ما هو حق، وأن نترك ما يترتب عليها من نتائج إلى السماء، سوا أكانت مكافأة أو عقاباً، ولسوف نناقشها فى موضع آخر.

ونحن نتعلم هنا، وبالمرورَ العابر، أن شمعيا كان مجرد صوت واحد ضمن أصوات كثيرة لها وزنها، كانت تسعى لإشاعة عوامل التراخى والإحباط فى هذا المشروع، كما أن ذكر نوعدية، يقدم لنا الدليل على أنه كان هناك نبيّات فى إسرائيل، سواء كن نبيات حقاً أو نبيّات كاذبات، وأن هذا كان أمراً عادياً فى زمن العهد القديم، أكثر مما كنا نظن. لقد شهد العهد القديم نبيّات من أمثال مريم أخت موسى، ودبورة النبية، وخلدة، وكلهّن أمثلة جيدة للعمل النبوى، بينما كان هناك أسلاف شريرات للنبية الكاذبة نوعدية، واللاتى مزجن السحر بالعمل النبوى واقتنين بذلك ثروات فى عهد حزقيال النبى (حز ١٣:١٧- ٢٣).

أعداد ١٥- ١٩ الانتصار والغم والكدر

بعـد تلك الانفعــالات الجيـاشة من كلا الجانبيــن، نغمة مرضية فى الكلمات المستخدمة.. وكمل السور... وهذا يُذكّرنا بالنتيجة التى اكتمل بها سيل شتائم الأعداء التى فى الأصحاح الرابع: والتقرير الهادئ بعد تفجر سخريتهم واستهزائهم باليهود: «فبنينا السور» (٤:٦).لقد كانت العملية فى كل مكان انتصاراً للعمل المكثف والتركيز عليه فى خضم كل العقبات والمعوقات. وكان معيار السرعة التى تم بها العمل كامناً فى تلك الحقيقة وهى أن شهر أيلول هو الشهر السادس فى السنة العبرانية، فى حين أن العمل قد ابتدأ فى نيسان (٢:١) فى فصل الربيع. وقد حشد نحميا خلال هذه الحقبة الزمنية القصيرة كل الأحداث الواردة اعتباراً من الأصحاح الثانى إلى الأصحاح السادس.

عدد ١٦ : إن مشاعر الخوف[١] التى سيطرت على الأمم المحيطة باليهود. ربما تكون راجعة إلى كونهم قد تملكتهم خشية الله، وليس خوفاً من أن يلحقهم شر من اليهود. ولقد تزايد احترامهم لليهود وزادت مخافتهم لإلههم، كما انخفض تقديرهم لذواتهم[٢] وعلى هذا فإن حجم الدائرة التى دبّر سنبلط أن يحيط بها أورشليم ويحاصرها بالأعداء (انظر التعليق على الآية ٤:٧) أدت إلى اتساع دائرة الاعتراف بسلطان الله وقوته. قارن مثلاً اختبار بولس لثمار الاضطهادات فى فيلبى ١ :١٢-١٤.

أعداد ١٧ - ١٩ : بينما يُسلِّط الأصحاح الخامس الضوء الكاشف على مصادر التوتر العنيف الكامن خلف تلك الوحدة المؤقتة، نجد أن هذه الآيات الثلاث ما تزال تكشف الستار عن تهديد خطير كامن فى مظاهر انعدام الولاء الذى كان من الممكن أن يدمّر المشروع بأكمله، ويستمر حتى نهاية قصة نحميا (انظر الأصحاح الأخير). إن هذا الشر، مثل غيره من الشرور، استطاع أن يجد لنفسه موطئ قدم فى المستويات الأكثر نجاحاً فى المجتمع، وكان فى هذه الحقبة قد تسلّل من خلال حب السلطان والمركز الاجتماعى الرفيع المقام، وليس كما كان فى بادئ الأمر بسبب محبة المال. ولقد كان لطوبيا القدح المعلّى فى هذا المجال أكثر مما كان عليه أمر سنبلط، من حيث أنه كان أحد الرفقة اليهود، بالإضافة إلى كونه (كما يدلّ عليه اسمه الشخصى واسم ابنه) من التابعين اسماً للرب[٣]. إن اتفاقاته العديدة والملزمة بالحلف فى الآية ١٨ فى المجتمع اليهودى ربما كانت فى حقيقتها اتفاقات تجارية كان طريقه إليها سهلاً من خلال علاقاته القائمة على الرباطات الزوجية. لقد كانت أسرة زوجته من

---

(١) الترجمة البديلة تقول (إنهم رأوا) بدلاً من (خافوا) وهى ممكنة وإن تكن غير محتملة لأنها أقل إيحاءً بالقوة.

(٢) تغير بعض الترجمات حرفاً ساكناً وبعض الحروف المتحركة ليصبح المعنى (كان الأمر رائعاً) بدلاً من القول (سقطوا فى نظر أنفسهم) وإن كان هذا البديل سهلاً إلا أنه غير ضرورى.

(٣) نرجو الرجوع إلى الملحوظة عن ٢: ١٠- كان اسم ابن سنبلط (يهوحنان) أى الرب تحنن وقد شاع استخدام هذا الاسم بين اليهود. وفى العهد الجديد أصبح الاسم المعتاد هو (يوحنا).

نسل آرح الوارد ذكره في عز ٢:٥، وفي حين لم نستطع التعرف على هويّة كل من شكانيا ومشلام، فإننا نعرف من ١٣:٤ أنه كان لطوبيا ارتباطات عائلية مع بيت الكهنوت أو بيت رئيس الكهنة ألياشيب، ومن المحتمل أن يكون ذلك عن طريق المصاهرة. وبينما كانت هذه الارتباطات والولاءات في ذاتها من العوامل المعقدة إلى حد بعيد، فإننا الآن نقف على المدى الذى استغلت فيه بالمؤامرات، وبالأحاديث التى لها القدرة على الإقناع أو عن طريق تسريب المعلومات وخطابات التهديد.

كل هذا بالإضافة إلى ما سبق أن وصفناه من الضغوط الخارجية التى جعلت نحميا محلاً للهجوم من كل ناحية تقريباً. وكانت خير محك لمعدن هذا الرجل وصلابته، وما زالت ماضية في طريقها تحاول الفتّ في عضده.

الأصحاح السابع

بعد المدينة يجئ دور المواطنين

إن معظم هذا الأصحاح مقتطف من السجلات الرسمية للهدف المذكور فى الآية الخامسة، للتأكد من استمرارية ارتباط المدينة مع ماضيها. وعلى هذا فإن الآية السادسة إلى ختام الأصحاح نسخة كاملة للأصحاح الثانى من سفر عزرا، التى تضم قائمة بأوائل الراجعين من السبى للتوطن فى أرض الآباء، ولأنسابهم.

أعداد ١ - ٤ الخطوات الأولى نحو تكوين المجتمع

عدد ١ : إن الكلمات الافتتاحية تعود بنا ثانية إلى المرحلتين الأخيرتين من إعادة تقوية دفاعات المدينة والتى نلاحظها فى ٦:١ و١٥، حيث اعتبرتا الأساس لمزيد من التقدم، وليس كهدف مقصور لذاته. وكذلك لم يكن المجتمع نفسه هدفاً فى ذاته. فهنا نجد مع البوابين (أى حراس أبواب المدينة، وليسوا أولئك المخصصون للهيكل، قارن الآية ٣)، المغنين، وآخرين «من اللاويين» يشاركونهم الأولوية من حيث أن العبادة هى سبب وجود أورشليم [(١)].

عدد ٢ : «حنانى أخى»: كان هو الشخص الذى أتى بالأخبار السيئة عن أورشليم ومن ثم كان المحرّك لكل العمل الذى قام به نحميا، والذى عاد معه من شوشن (١:٢).

هل كانت تلك الرحلة الطويلة إلى العاصمة الملكية تفويضاً سرياً يستهدف فى حقيقته النتيجة التى انتهت إليها؟ فإذا كان الأمر على هذا النحو، فإنها بذلك

---

(١) تقوم ترجمة NEB وغيرها من المفسرين بحذف (المغنون واللاويون) معتبرينهم حشواً أضيف بواسطة أحد النساخ الذى فهم أن البوابين كانوا هم حراس الهيكل اللاويين. مثل أولئك المذكورون فى عدد (٤٥) من نفس الأصحاح (قارن أيضاً ١ أى ٩: ١٧ و٢٣) ومن ثم قاموا بإضافة نوعيات أخرى من اللاويين إلى القائمة كما فى ٤٣ و ٤٤ ولكن هذا كله مجرد تخمين لا يستند إلى دليل فى النص.

تضفى على حنانى صفة الرجل الذى له صفات المبادأة والقيادة، مثل أخيه أو قريبه. ولقد كان فى تقدير نحميا لشخص حنانيا والصفات الحاسمة التى يتصف بها، ونظرته الثاقبة أن أقامه إلى جانب حنانى ليشاطره فى المسئولية. إن الكفاية الوظيفية على الرغم من أهميتها وما أثبته المركز الذى كان يشغله قبلاً، لم تكن وحدها كافية،بالنظر إلى ما كان عليه الانقسام فى الولاء بين العديد من القيادات الوطنية (٦:١٧- ١٩). إن القصر وبالعبرية bira هو نفس الكلمة الواردة فى ٢:٨ «القصر الذى للبيت». ومن الممكن أن يكون «برج حننئيل» (٣:١) الواقع على جبل الهيكل.

العددان ٣ و٤ : فإذا كان هناك إغراء للاعتماد على الأسوار والأبواب، فلقد كان نحميا (أو حنانيا) [١] هو الشخص الذى أثبت أنه لا يمكن أن يركن إلى ذلك.

ولقد كان هذا هو الخطأ الذى وقع فيه اليبوسيون (٢صم ٥:٦) ناسين أن القوة الفعلية للمدينة أو عنصر الضعف فيها يكمن فى شعبها. ولكن اللغة العبرانية فى الآية ٣أ غامضة. فبينما تتكلم بوضوح عن احتياطات إضافية إلا أنها قد تُشير إما إلى فترة راحة القيلولة فى منتصف النهار (وَفى NEB «لا تترك مفتوحة أثناء حر النهار.. بينما يكون البوابون واقفين فى استرخاء»)[٢]، والأكثر احتمالاً «أنها تشير إلى الروتين الذى يُتخذ صباحاً ومساء، والذى يُوجب أن تفتح الأبواب متأخرة فى الصباح وتغلق مبكراً فى المساء.(انظر GNB وRSV). ولقد كان الاحتياط الآخر الواقعى يتضمن تجنيد الحراس من المواطنين العاديين وتكليفهم بالدفاع عن المواقع البالغة الأهمية بالنسبة لهم، حتى ولو كانت بيوتهم على حالها من التهدم وفى انتظار بنائها (قارن ٣ب مع ٤ب).

---

(١) النص الساكن للعدد (٣) كالتالى: «فقال...» وهذا يعتبر - تقليدياً- خطأ- بدلاً من «وقلت...» لكن مثل هذه التعليمات يمكن أن تكون صادرة من القائد العسكرى المذكور سابقاً.

(٢) وحرفياً تقرأ (واقفين) فقط وهذا قد يدل على عدم الحركة- ولكن هذا المعنى يكون مرجحاً إذا قورن بالفعل (يعبر) مثلاً أو أى فعل يدل على حركة كما فى ١ صم ٢٧:٩ ، ٢ مل ١٣ : ١٨.

أعداد ٥ - ٧٣ مطلب الاستمرارية

عدد ٥ : ربما يُعد نحميا من أبرز الشخصيات الكتابية إحساساً «بحضور الله». وما نلمسه هنا من إحساسه أن ثمة دافع إلهى (٥أ) يحثه على أن يدعو الشعب إلى أن ينخرطوا فى العمل الذى يضطلع به وتجده ماثلاً فى كل ما تلى ذلك من أحداث وخاصة من ناحية أن يفحص كل منهم قلبه، ويُعيد تكريس نفسه على نحو ما هو مذكور فى الأصحاحات ٨- ١٠. وفى نفس الوقت كان اهتمامه الأول أن يُحسن توجيه شعبه لمهامهم الملقاة على عاتقهم والنابعة من ميراثهم ودعوتهم.

الأعداد ٦ - ٧٣ : إن هذه الآيات هى فى الأغلب نسخة طبق الأصل للأصحاح الثانى من عزرا. أما الاختلافات العارضة الموجودة بينهما فمن المتفق عليه بصفة عامة أنها راجعة إلى عملية النسخ؛ وهناك ملاحظات على الأمثلة الرئيسية لهذه الاختلافات فى التعليق على الأصحاح الثانى من عزرا.

الأصحاح الثامن

قراءة الشريعة

هنا يبدأ عزرا ظهوره الأول فى هذا السفر، ليقوم بدور قيادى فى مملكة الشريعة والعهد [1]. لقد أفسحت مذكرات نحميا المجال فى العديد من الأصحاحات لمدّونات فى ضمير الغائب. ثم يستأنف نحميا الرواية بنفسه عند تدشين سور المدينة (١٢:٢٧ - ٢٩)، ثم فى الفصل الأخير بروايته عن معركته الدائرة ضد كل ما هو أجنبى.

أعداد ١- ٨ الاجتماع العظيم

ربما يجب أن يبدأ الأصحاح، على نحو ما جاء فى ترجمة RSV بالنصف الثانى من الآية ٧:٧٣. ذلك أن هناك انتقال سلس من الرواية القديمة لعزرا (٢) والمنسوخة فى نحميا ٧، إلى المسرح الذى يتجلى للعيان الآن، من حيث أن كليهما يقدماننا لأول مرة إلى الاجتماع العظيم الذى انعقد فى أورشليم فى الشهر السابع الذى يُعد ذروة السنة العبرانية، ولم يدع نحميا الوقت يضيع سدى: لقد اكتمل السور لعدة أيام قليلة سابقة على هذا الاجتماع العظيم (٦:١٥؛ ٨:٢)، وعلاوة على هذا فلقد تم إقامة منبر ضخم يتناسب مع هذه المناسبة العظيمة (الآية ٤).

عدد ١ : لقد تميّز هذا الاجتماع العظيم بموقف القبول والاستجابة بشكل منقطع النظير، ظهر فى تجمّع الشعب وتدفقهم إلى أورشليم «كرجل واحد» (على النحو الذى فعله أسلافهم عندما تجمعوا بعد العودة من السبى إلى الوطن عزرا ٣:١) كما ظهر أيضاً فى طلبهم من عزرا أن يقرأ لهم سفر شريعة موسى. وعلى الرغم من أن هذا الأمر لم يكن فجائياً- ذلك أن المنبر كان معداً له- إلا أنه من الواضح تماماً أنه جاء نتيجة رغبة عامة ومشاعر تلقائية شملت جموع الشعب، ولم تكن نتيجة إجراء

(١) فى (إسدراس الأول) هناك جزازة تتمشى مع الأعداد ١- ١٣ / أ- وتتبع مباشرة ما جاء فى عزرا ١٠ : ٤٤- وعن الآراء العديدة عن أهمية هذا انظر الملحق الرابع فى آخر هذا الكتاب.

شكلى فرضته القيادة. إن الإصغاء بانتباه (الآية ٣) وما تلاه من انتخاس قلوبهم (الآية ٩) يُقدم دليلاً آخر على ذلك.

وهنا يخرج عزرا من الغموض، وليس فى هذا الأمر ما يخالف ما عُرِف عنه أنه لا يفرض نفسه، وإنما ينتظر الفرصة السانحة التى يُدعى فيها للقيام بمثل هذه المهمة، قارن انسحاباته السابقة من مسرح العمل، وكيف كان لها التأثير القوى الفعّال، وهو ما سبق أن عرفناه من عز ٩:٣- ٥ ، ١٠: ١ و ٦.

ومع أن التعبير «سفر شريعة موسى الذى أعطاها الرب لإسرائيل» مألوف للغاية إلاّ أنه يستثير نقطتين هامتين كانتا موضوعاً للجدل والنقاش: أولاهما: إن ما دُعى الشعب من أجله للاجتماع، وما قدمه عزرا لم يكن بياناً جديداً ولكنه كان البنود الرئيسية للإيمان، والمدّونة فى سفر الخروج، وثانيهما إن جميع هذه الأمور كانت مؤمنة بالسلطان الإلهى الكامل. إن عبارة: «التى أعطاها الرب» هى حرفياً التى أمر بها الرب، وليس فى مقدور أحد أن يعبث أو يتلاعب بمثل تلك المسائل التى تُوصف على هذا النحو. وليس هناك ما يدعو إلى مثل هذه المقولة، ولكن بسبب هذا الافتراض (الذى انتشر على نطاق واسع بواسطة ولهاوزن Wellhausen فى سنة ١٨٧٠) القائل بأن سفر شريعة عزرا كان تنقيحاً وكتابة جديدة للتقليد، وهو موسوى بالاسم، ويمكن القول أنه موسوى بروحه، ولكنه فى حقيقته ليس شريعة موسى. لو قبلنا بوجهة النظر هذه، لانتهى بنا الأمر، مهما كانت نوايانا حسنة، إلى القول بأن عزرا قد ارتكب فى ذلك الوقت خدعة زائفة، بتقديمه إلى الناس نسخة قام بتعديلها باعتبارها النسخة الأصلية التى طالبوا بها. إنه لم يكتف بأن عدل فى كلام الله، ولكنه تمادى فى ما اقترفه بالقراءة الجهرية لوصايا الرب التى تحذر من إتيان مثل هذا الأمر (تثنية ٤:٢؛ ١٢: ٣٢)[١] (انظر القسم الخاص بكتاب شريعة عزرا فى الملحق الخامس).

عدد ٢ : «عزرا الكاهن» وقد جاء وصفه كاملاً فى الآية التاسعة على أنه

---

(١)انظر أيضاً ما جاء بالملحق رقم (٥) تحت عنوان «سفر شريعة عزرا».

«الكاهن والكاتب»، أما كفاءاته التي جعلته جديراً بهذين اللقبين فقد ذكرت في عز ٧:١-٦[1]. وفيما يتصل بأمر الجماعة، فليست مسألة قليلة الأهمية أنها قد تكونت ليس فقط من الرجال، أو من الراشدين فحسب، بل ومن النساء أيضاً «وكلّ فاهم ما يُسمَع» فالشريعة موجهة لأناس عقلاء يعون ما يسمعون، تعلّموا من طفولتهم ليس فقط كلمات الله بل كل ما تعنيه الكلمات والطقوس والشعائر الدينية (خر ١٢:٢٦ و ٢٧؛ تث ٤:٦؛ ٦:٦- ٣٨؛ ٣١ :١٢ و١٣). لقد كانت الخرافات التي لا يهضمها العقل هي التي تميز الوثنية (لا يعرفون ولا يفهمون... إش ٤٤:١٨ و١٩)، ولقد كانت الوثنية سبباً في سقوط إسرائيل الملحدة والمرتدة عن إلهها الحقيقي (هو ٤:٦:« قد هلك شعبي من عدم المعرفة»).

عدد ٣ : «باب الماء»: كان هذا الباب يقع على الجانب الشرقي من المدينة (نح ٣:٦)، ويؤدي إلى القدوم إلى الينبوع الرئيسي، جيحون، في الوادي الذي يقع أسفله. ومن المهم أن هذا الاجتماع ، الذي يختلف عن مثيله في عز ٣:١- ٣ لم يُعقد في ساحة الهيكل، حيث كان المذبح هو مركز الاهتمام بل في أحد مراكز الحياة في المدينة، ذلك النوع من الأمكنة التي تُناشد فيها حكمة الله الشعب في إلحاح عظيم على ضرورة سماعها (قارن أمثال ١:٢٠ و ٢١؛ ٨:١- ٣). إن الشريعة نفسها كانت تصر على أن لا يكون صوتها محصوراً في المكان المخصص للعبادة، بل تُسمع في البيت وفي الشارع (تث ٦: ٧-٩).

وإنه لمن الخطأ أن نحاول تقدير الكم الذي كان في مقدور عزرا قراءته على امتداد النهار، من حيث أن اهتمامه كان في المقام الأول أن يقدّم للشعب مفهوماً واضحاً لرسالته من خلال ما يتلوه عليهم من أسفار موسى الخمسة. لاحظ التأكيد على الفهم في الآيات ٢ و٣ و٧ و٨ و١٢. وللوقوف على مدى إصغاء الشعب وانتباههم بكل حواسهم لكل ما يتلى على مسامعهم، راجع التعليق على الآية الأولى.

(١) وقد حقق هنا المهمة لكنه أهمل دعوة الكهنوت إلى التعليم وليس فقط للعبادة – لاحظ الترتيب الذي جاءت به هذه المهام في تث ٣٣: ١٠ والشهرة التي أعطيت للتعليم في ملاخي ٢:٦-٩.

عدد ٤ : المنبر (حرفياً البرج Tower)، وكان عبارة عن منصة على درجة كبيرة من الاتساع الذى يسمح بوقوف عزرا ومساعديه الثلاثة عشر، وكان على ارتفاع مناسب يتيح لعزرا ورفاقه الإشراف على مكان الاجتماع بأكلمه. ومن المحتمل أن تكون هذه الجماعة المؤلفة من ١٣ عضواً من الكهنة. وهناك جماعة أخرى مكونة أيضاً من ثلاثة عشر فرداً جاء ذكرها فى الآية السابقة. [١]

وليس من الواضح بدرجة يقينية الكيفية التى كانت تعمل بها هاتان الجماعتان، ولكن فى الإمكان أن نستخلص أن هؤلاء الذين كانوا على المنصة قاموا على التتابع بقراءة جزء من الشريعة (كما هو المتبع فى المجمع أن يساهم سبعة أفراد أو أكثر فى هذه المهمة فى يوم السبت)، وأن هؤلاء الأعضاء البالغ عددهم ١٣ عضواً أو أكثر[٢]، على نحو ما جاء فى الآية السابعة كانوا يتحركون بين الجماعة أثناء الفترات التى تتخلل القراءات، للتأكد من فهم الجماعة لما تُلى على أسماعهم. انظر التعليقات الأخرى على الآيتين ٧ و٨.

عدد ٥ : إن الأسلوب الشكلى لتناول الدرج المقدس كان له ما يماثله فى المجمع، ولكن هناك أمور لا يمكن القطع بها بل تكون موضع التخمين، بشأن ما إذا كانت هذه النقاط المشتركة برزت مع هذه المناسبة، أم كانت سابقة عليها، أم برزت مستقلة. ولكن الشئ المؤكد هو الاستقبال الرائع من الشعب لكلمة الله. لقد كان من المقدر أن يكون هذا اليوم بمثابة نقطة تحول حاسمة. ذلك أنه منذ هذا اليوم فصاعداً أصبح اليهود بصورة رئيسية «شعب الكتاب». لقد غطى جميع العابدين عند تدشين هيكل سليمان، مجد وجمال، ما هو طبيعى وما هو فائق للطبيعة. أما هنا فإن المركز الرئيسى للاهتمام، بصرف النظر عن المنبر الخشبى هو الدرج أو بصورة أدق، ما كان مكتوباً فيه. وما أن فتح الدّرج حتى هبّ الشعب وقوفاً على أقدامهم.

---

(١) فى إسدراس الأول ٩: ٤٣ و٤٤ تختلف عن بعض الأسماء الواردة فى عدد (٤) وتضع سبعة أسماء على يمين عزرا وستة على يساره- بعكس ما جاء فى النص الحالى.

(٢) النص العبرى للعدد (٧) يجعل اللاويين كإضافة للرجال الذين ذكر أسماءهم هناك لكن قد يكون إسدراس الأول ٩: ٤٨ على حق فى حذف حرف (و) كما تفعل أغلب الترجمات الحديثة.

عدد ٦ : إن هذه الآية، والآيتين التاليتين تستبعد أية فكرة عن المغالاة فى إجلال الكتاب المقدس، ولا يُفهم منها أن التوقير قد أعطى للدَرْج باعتباره أثراً مقدساً بل كان التوقير لله، وكانت المواقف بالغة الإفصاح عن بعض الوجوه الرئيسية للعبارة: التعبير عن التوق إلى الوجود فى الحضرة الإلهية، وذلك برفع أكفّ الضراعة، والاستعطاف، من خلال السجود أو الانبطاح على الأرض.

عدد ٧ : إن الملاحظة التى تقول بأن الشعب ظلّ قائماً فى مكانه ربما يستشف منها أن المعلمين الثلاثة عشر والذين ذُكرت أسماؤهم فى هذه الآية (لعدم الخلط بينهم وبين الثلاثة عشر القائمين على المنبر الخشبى. انظر التعليق على الآية الرابعة)، كانت لهم حرية الحركة بين جموع الشعب، للشرح والتوضيح حتى يستبين لهم المعنى بوضوح وبيان.

عدد ٨ : وبينما نحن لسنا على يقين من التفصيلات، فإن النصف الأول من هذه الآية والمتعلق بالقراءة، ربما يشير إلى ما فعله عزرا ورفاقه على منبر الخطابة، بينما أن التصرف الثانى يعود بنا إلى الوراء إلى الجمع المحتشد والرجال المسئولين عن تعليمهم. إن الكثير يعتمد على كلمة «ببيان»، والتى أخذتها كل من ترجمة JB وGNB على أنها تعنى «وترجموها» على الرغم من أن هذا قد يكون معنى غير عادى أو مألوف للكلمة. ومن المؤكد أن الترجمة الشفاهية إلى الأرامية أصبحت عادة مألوفة وراسخة بمضى الزمن (إن الترجوم هو الترجمات المكتوبة فى هذا الأمر)، ولكننا لسنا على يقين على أن هذا الأمر قد بدأ فى مثل هذا الزمن المبكر. لقد غضب نحميا فى زيارته الثانية إلى أورشليم بعد انقضاء ١٢ عاماً على زيارته الأولى لها [(١)]، عندما وجد بعض العائلات لا «تستطيع الكلام بلغة يهوذا»، مما يوحى بأنه كان يتوقع أن اللغة العبرانية تكون مفهومة على نطاق واسع خلال فترة حكمه الأولى. إن المعنى الأساسى للكلمة موضوع بحثنا هو «ببيان أو بتفصيل»،

---

(١)انظر ١٣: ٦ و٧ و٢٣ وما بعده- وفى التسلسل الزمنى لسفرى نحميا/ عزرا التى سوف تُعيد ترتيب تواريخ الأصحاح الحالى، ويجعل المناقشة بعاليه مناسبة (انظر الملحق رقم ٤).

وهذا يدل على أن القراءة كانت ملفوظة بوضوح وعلى نحو مترابط باتساق وفى انتظام، أو أن الشريعة قد قرئت وفسّرت جزءاً جزءاً. وكلاً من المعنيين يمكن أن يكون هو المناسب، كما أنه من المحتمل صحة كل من المعنيين. والمناسبة بأكملها تؤكد على وضوح وصراحة معاملات الله مع شعبه؛ وإنه ليس هناك أدنى مقارنة بين ما يقوم به خدام الكلمة الإلهية، وما يقوم به العّرافون والسحرة بهمسهم وشقشقتهم (قارن إش ١٩:٨ و ٢٠).

أعداد ٩ - ١٢ الدعوة إلى الفرح

هناك إشارات ثلاث فى هذه الفقرة القصيرة إلى أن القداسة والنوح والبكاء لا يسيران جنباً إلى جنب. ومما يجعل وقع هذا الأمر مثيراً على أسماعنا، هو تلك الدعوة الموجهة إليهم أن يسكتوا وأن يتم احتفالهم فى هدوء وسكون لأن اليوم مقدّس للرب. حقاً، لقد كانت الدعوة الموجهة إلى الشعب فى يوم الكفارة أن ينقل الفرد نفسه كانت دعوة للتقديس. (لا ٢٣:٢٧)، ولكن كان وجود مثل هذه الدعوة لإفساح المجال أمام المناسبات السعيدة. إن الأمر الذى يتوقعه ضيوف الله ويرجونه فى مستقبل أيامهم «أن يكونوا جميعاً فرحين» (تث ١٦:١٥)، بحيث أن الكلمات التى كانت بالطبيعة وفى الأغلب متواكبة «مع القداسة»، لم تكن فحسب «العدل و البر» ولكن المجد والبهاء والقوة والفرح، (انظر على سبيل المثال مزامير ٩٦؛ ٩٩؛ إشعياء ٣٥).

عدد ٩ : يستطيع القارئ أن يتبين وجود نحميا[1] خلال عملية القراءة فى الشريعة والتى استهدفت توضيحها لهذا الجمع المحتشد، وأن يتبين أيضاً بكل وضوح المكانة المتميزة التى كانت له، وأنه الآن يمسك بزمام الموقف كقائد له. وحقيقة كون هذا اليوم مقدساً تؤكدها لاويين ٢٣: ٢٤. وللوقوف على المظاهر الاحتفالية لهذه المناسبة راجع ما جاء فى الآية السالفة.

---

(١) على من يقولون إن نحميا وعزرا لم يكونا معاصرين لبعضهما. أن يحزفوا اسم نحميا من هذا العدد... وللاطلاع على مثال نقدى عن هذا الموضوع انظر الملحق رقم (٤) تحت عنوان (رابعاً التسلسل الزمنى بين عزرا ونحميا).

عدد ١٠ : لقد كان من الأمور المألوفة عن نحميا أن يوضح الموضوع بعبارات لا لبس فيها ولا غموض من خلال مقترحاته العملية الفورية والخلاقة. إن ما يستحثهم لعمله يأخذ في الحسبان الحقائق المبدئية للحياة، والتي لا تزيد عن مظاهر الترف البسيطة التي يمكن أن تحول وجبة الطعام إلى وليمة عيد [١]، مع الاهتمام بأن يكون كل هذا في إطار من الرعاية والمحبة والتي في الإمكان أن تتحول بفرحهم إلى أن يكون فرح الرب- ذلك الفرح الذي يبعث فيهم القوة والنشاط، وليست السلبية والهروب من الحياة العادية أو الاستمتاع بما هو زائل وفانٍ. واهتمام نحميا بكل فرد منهم لم يعد له أمر راسخ تماماً في توجهاته وأعماله (قارن ٥: ١٤- ١٩).

عدد ١١ : «وكان اللاويون أيضاً يُسكّتون الشعب...» على الرغم من أن كلماتهم المهدئة لم تكن في مثل قوة كلمات نحميا التي تستثير خيالهم. أظهر الرجل العلماني، ليس للمرة الأولى ولا للمرة الأخيرة، أن في مقدوره أن يكون لديه إدراك راسخ بحقائق الموقف أكثر من المحترفين.

عدد ١٢ : ومرة أخرى، وفي كلماته الختامية، يجعلنا نحميا نأتي إلى لب الموضوع. لقد اكتمل بناء الأسوار، أما هذا الحشد من المجتمعين، وهذا الفرح العظيم فهو أمر ثانوي لكن الأساس هو فهم الشعب لما كان يقوله الله وهو أهم ما تضمنته هذه المناسبة فكان هذا الفهم خطوة انتقال من العي الديني في اتجاه تحقيق درجة في الشركة بين الله والبشر. ولسوف يتم ازدهارها الكامل في العهد الجديد الذي يؤمنه هذا القول: «ولسوف يعرفونني جميعاً» في حين أن العهد القديم كان يحمل فعلاً الكثير من الوعود للعهد الذي سوف يتلوه.

---

(١) وبالمناسبة: لم يكن في نصح نحميا للشعب أن «يأكلوا السمين»، أي انتهاك للشريعة الموسوية التي جاءت في لاويين ٣: ١٧ لأن الكلمة التي استخدمها نحميا كانت تعني (الأكل الغني بالدسم وليس أي نوع من الدهن الحيواني المحظور في الشريعة).

أعداد ١٣ - ١٨ عيد المظال

عدد ١٣ : بعد هذه الحلقة الدراسية الشاملة، جاءت الدورة المكثفة، التى تظهر مدى جدية التأكيد على الشريعة. إن تعبير «ليفهم كلام الشريعة» يوحى بأكثر مما يحمله معنى الإصغاء الإيجابى. وبصفتهم رؤوس آباء، كان عليهم أن ينشروا معرفة الشريعة فى عائلاتهم التى تتكون منها أسباطهم، إذ ما كان المقصود هو تحقيق المثال المذكور فى التثنية ٦:٦-٨. فما كان فى الإمكان ترك كل شئ للكهنة واللاويين.

العددان ١٤ و١٥ : وربما تكون لدينا الانطباع بأن القواعد المنظمة لهذا العيد والموجودة فى سفر اللاويين ٢٣: ٣٩- ٤٣ ، هى ما يبدو الآن بمثابة اكتشاف. وليس معنى ذلك أن العيد لم يحتفل به «من أيام يشوع»، (الآية ١٧)- انظر مثلاً عزرا ٣:٤- بل بالأحرى أن الإقامة فى مظال لم يعد معمولاً به إذ أنه قد أصبح مجرد رمز. إن للعيد جانبين: إنه عيد قطف العنب، وعيد الجمع فى آخر السنة (خر ٣٤: ٢٢)، وهو أيضاً تذكار للبرية، حين أسكن الرب بنى إسرائيل فى مظال (لاويين ٢٣ : ٤٣). ويبدو أن هذا المظهر من العيد هو الذى أهمل العمل به. إن العادات كما يحدث فى الأغلب والأعم فى التاريخ الدينى غطت معالم الإيمان المسلّم مرة للقديسين، بما أدخلته من تطوير وتعديل حتى بدت الدراسة الجديدة للكتاب بمثابة الكشف عن ألوان الطلاء الأصلى فأظهرت الألوان التى نُسيت منذ أمد طويل.

العددان ١٦ و١٧ : وقد تطلب الأمر قرابة أسبوعين لنشر وإذاعة النداء (الآية ١٥) الخاص بالاستعدادات للعيد والذى كان محدداً للاحتفال به فى اليوم الخامس عشر من الشهر السابع. وكما جاء فى الشريعة كان يحتفل فى اليوم العاشر منه بيوم الكفّارة (لاويين ١٦ : ٢٩- ٣١؛ ٢٣: ٢٧ - ٢٩). ولا تذكر هذه الفقرة أى شئ عنه، وربما كان ذلك كما يظن أنها لم تكن تتضمن الحج إلى أورشليم، ذلك أن اهتمام الأصحاحات ٨-١٠ هو العمل على جمع كل الشعب. إن يوم الصوم الخاص المذكور فى الأصحاحين ٩ و١٠ الذى كان يتم قبل أن تتفرّق الجموع من الاحتفال

بالعيد كان له مغزاه الأكثر أهمية من هذا العيد على سياق القصة، التى وصلت إلى ذروتها فى ختم العهد القومى.

إن هذا المزج الغريب بين الحياة المستقرة والحياة غير المستقرة والذى يتبدى لنا من منظر الأكواخ المتنافرة الجاثمة فوق أسطح المنازل والتى تملأ ساحات المدينة كان يمثل تذكرة قوية لأسبوع كامل لحالة الحجاج والرحلة المعجزية إلى أرض الميعاد. لقد كان ذلك يمثل خروجاً ثانياً لدعم الرسالة، والإشارة فى الآية ١٧ إلى التاريخ القديم وإلى الحدث القريب وهو الرجوع من السبى فيها ما يوحى بأنهم قد فهموا المقصود. وفيما يتعلق بالتفصيلات، فلقد كانت الساحتان اللتان أقيمت فيهما المظال، أقرب مكان إلى موقع الهيكل، حيث كانت تقع الأكمة فى الطرف الشمالى الشرقى من المدينة، فى حين أن «باب الماء» كان يقع فى منتصف الطريق على امتداد السور الشرقى (قارن ٣: ٢٦). أما «باب أفرايم» فلابد وأنه كان واقعاً على الجانب الشمالى من السور، فى مواجهة المنطقة التى أخذ منها اسمه. أما فيما يتصل بالجملة الوسطى من الآية ١٧ فيمكن مراجعة التعليقات على الآيتين السالفتين (١٤ و١٥).

عدد ١٨ : لقد تم البحث عن الترتيبات المتفرقة لهذا الاحتفال الدينى وقاموا باتباعها طواعية بكل دقة. وقد أخذت الآية ١٥ بالتعليمات المذكورة فى اللاويين ٢٣: ٤٠- ٤٢ والتى تقضى بجمع أغصان أشجار متنوعة، أما الجملة الأخيرة من الآية ١٧ فإنها تتوافق مع الملاحظة الواردة عن الفرح والابتهاج فى تثنية ١٦: ١٣-١٥، وهنا نقف على أنهم كانوا يقرأون سفر الشريعة كما جاء الأمر فى تثنية ٣١: ١٠ - ١٣ فى السنة السابعة، والاعتكاف المذكور فى سفر العدد ٢٩ : ٣٥. ونحن لا نعلم شيئاً عما إذا كانت هذه المناسبة قد تزامنت مع السنة السابعة، وهى سنة الإبراء (كما يؤكد ذلك أ. بافلوفسكى A. Pavlovsky ، فى إحدى كتبه، أو ما إذا كان عزرا قد تجاوز الحد الأدنى من متطلبات الشريعة، بإدخاله مبدأ قراءة الشريعة فى هذا الاحتفال سنوياً، ولكن هذا هو الأمر الذى جرى به العرف منذ هذا اليوم.

وهكذا كان التحرك قوياً لجعل الشريعة هى المبدأ الهادي للحياة اليهودية. إن عملية التعليم الواسعة المدى فى اليوم الأول من الشهر، والدورة التدريبية التى تلته،

ثم الأيام السبعة للقراءات في العيد قد قدّمت المبادئ الأساسية للإيمان بصورة متقنة. إلا أن التمسك بكل هذا، أتى بمضى الوقت على النحو الذى نراه فى الأصحاحين التاليين.

الأصحاح التاسع

أعداد ١- ٣٧ الاعتراف العظيم

يجرى هذا الأصحاح متدفقاً فى اتصال غير منقطع مع الأصحاح العاشر (الذى يبدأ فى النسخة العبرية من الكتاب المقدس بالآية ٣٨) حيث تصل عملية الفحص القلبى الطويلة إلى أوجها فى سلسلة من التعهدات التى قطعوها على أنفسهم.

أعداد ١ - ٥ خدمة الساعات الست

إن توقيت التوبة والندم فى اليوم الرابع والعشرين من الشهر هو أمر له بعض الأهمية. أولاً لأنه مضادٌ للتتابع الذى كنا نتوقعه، إذ جعل الصوم تالياً للاحتفال بالعيد فى الأصحاح الثامن، وثانياً لأنه يسمح بفاصل يوم واحد بين المناسبتين. لقد انتهى الاحتفال بالعيد فى اليوم الثانى والعشرين، وأما الذين بقوا وداوموا على الأمر فإنما فعلوا ذلك بمحض اختيارهم. وبالنسبة للتسلسل، فلقد كان ردّ فعل نحميا السريع فى مواجهة الاستجابة الباكية عند بدء قراءة الشريعة (٨:٩- ١٢)، يوضح لنا أنه كان متلهفاً للغاية على الربط بين إرادة الله وابتهاج الشعب وفرحه (كما فعل صاحب المزامير مثلاً فى المزامير ١٩: ٧- ٩؛ ٤:٨؛ ١١٩: ١٤ و١٦ الخ). وعلى نفس الدرجة من الأهمية أن يؤكد على التناقض التام بين الشعور بالفرح والبهجة والإحساس بمرارة الخطية، وأن يواجه وقائع وأحداث الماضى وتحدّيات المستقبل. ومن ثم فإنه عند نقطة التحول الحاسمة هذه فى تاريخ الشعب. فإن سبعة أيام العيد يجب أن تخلّف وراءها شيئاً أكثر بقاءً من مجرد ذكرى طيبة. إن حالة الاستجابة يجب أن تكون تحت سيطرة الإرادة. ومع واقعية تلك الثقافة، فإنه من الواجب أن يعبر الجسم وملابسه عن نفس الاتضاع والأسى، الذى تعبر عنهما الكلمات ونبرة الصوت.

عدد ٢ : وكانت القراءات المتواترة للشريعة حاملة فى ثناياها ثمارها. إن كلمات «وانفصل نسل إسرائيل من جميع بنى الغُرباء» تعكس التأكيد على ما جاء مثلاً فى

اللاويين ٢٠: ٢٦ «أنا الربّ. وقد ميّزتكم من الشعوب لتكونوا لى». إن قبول هذا الأمر فى مثل هذه الظروف المتأزمة العصيبة وفى هذا الوقت بالذات، ينم عن روح التكريس أكثر من روح الغطرسة والاستعلاء على جيرانهم الأمميين والذين كانوا على درجة كبيرة من التقدم الاجتماعى والحضارى (قارن ٦:١٧ و١٨). وانظر أيضاً التعليق على عز ٦:٢١. إن إحساسهم بأنهم جميعاً قد أخطأوا، كما عبروا عن ذلك فى هذه المناسبة، نجده مراراً فى العهد القديم (مثل نح ١:٦؛ مز ١٠٦:٦)، ولا يكون هناك أى اعتراض على مثل هذا الأمر إلاّ حيث يستخدم للمجادلة فى عدالة الله، أو للتحلّل من المسئولية الشخصية (حزقيال ١٨.. حيث ترد فى مواطن كثيرة فى هذا الأصحاح).

عدد ٣ : ومرّة أخرى نجد أن سفر الشريعة أصبح هو الأساس لكل أحداث اليوم. فلقد كانت تعاليمه هى التى حفزتهم على تخصيص ثلاث ساعات للعبادة والتى تلت ساعات القراءة الثلاث. وفى ضوء الأصحاح السالف فإنه يمكننا أن نستخلص أن القراءة لم تكن مجرد استرسال فى قراءة الكلمات، بل لقد تخللّها تعليقات تفسيرية وتطبيقات عملية للوضع الذى كانوا عليه.

العددان ٤ و٥ : (دَرَج اللاويين) ربما كانت درجات السلم بين إحدى ساحات الهيكل والمؤدية إلى ساحة أخرى منه (تماثل تلك الدرجات الخمس العشرة المؤدية من ساحة النساء إلى ساحة إسرائيل، فى مجمع هيكل هيرودس «والذى اعتاد اللاويون صعوده مرنمين» بحسب ما جاء فى المشنا. وحيث أننا لم نخبر بالمكان الذى عُقد فيه الاجتماع، فإن الكلمة المترجمة «دَرَج» قد تُشير إلى المنبر الخشبى فى ٨:٤ (JB و GNB). إن قائمتى اللاويين الثمانية فيهما خمسة أسماء مشتركة، أما الأسماء الثلاثة الأخرى فهى خاصة بكل واحدة منهما. ومن الواضح حينئذ أن للجماعتين مهام تختلف فيما بينهما، من حيث أنه كان هناك إلماحة إلى هذا الأمر فى الآيتين ٤ب و٥ب، ويبدو أنه كان على الجماعة الأولى أن تنطق بما يعبّر عن إحساس الإحباط والتعاسة التى أحس بها شعب الله (حيث أن الكلمة المترجمة صرخوا تحمل هذا المعنى)، أما دور الجماعة الثانية فكانت قيادة عملية التسبيح والحمد الجماعى.

كانت الدعوة الموجهة إلى جموع الشعب هى: «قوموا وباركوا الرب» (والتى تضمنتها الآية ٥ب)، ما تزال تُسمع حتى الآن فى كثير من الترانيم.

أعداد ٦ – ١٥ الخالق والمخلّص: إن الآية هـ (ب) ربما تكون فعلاً الجملة الأولى فى هذه الصلاة، من حيث أن العبارة: «وقال عزرا (٦أ ترجمة RSV) غير موجودة فى النص العبرى. وهذه العبارة مقتبسة من الترجمة السبعينية، ومع أن هناك احتمالاً بأن تكون هذه العبارة أصلية إلا أنه ليس هناك من سبب يدعونا لاعتبارها كذلك [١].إ ن الصلاة، مثلها فى هذا الأمر مثل بعض المزامير (مثل مز ٧٨؛ ١٠٥؛ ١٠٦) هى مثل للاعتراف فى كلا المعنيين لهذه الكلمة، أى الاعتراف بمجد الله ونعمته وفى نفس الوقت الاعتراف بجحود الإنسان، ومن ثم فهى صلاة عبادة، وليست مجرد انغماس فى لوم النفس وتأنيبها. إنها تعرض لنا أيضاً تأثير قراءة الشريعة فى هذه الأسابيع، حيث تبدأ مثل سفر التكوين بالخلق (لاحظ التعبير «وكل جندها»، كما فى التكوين ٢:١ فى النص العبرى)، وتُعيد ذكرى اسم إبرام وإيمانه (الآية ٧)، والذى لا نجد أية فقرة أخرى من العهد القديم بعد سفر التكوين تقتبسه وتذكره، وإنما نُلاحظ أن هذه الفقرة لا تكتفى بذكر عهد الله معه فحسب بل إنها تذكر أيضاً تلك القائمة التى تضمنتها أسفار موسى الخمسة عن الأمم التى جرّدها من ملكيتها لأرضها (ليمنحها لشعبه) من الكنعانيين إلى الجرجاشيين (الآية ٨). لاحظ أيضاً الصدى الذى لا يمكن أن تخطئه الأذن لنشيد عبور البحر الأحمر فى عبارة «وطرحتهم فى الأعماق كحجر فى مياه قوية» (نح ١١؛ خر ١٥:٥ و ١٠).

وعلى هذا فإن موضوع الوعد وإنجازه، والمذكور فى الآية ٨ (ب)، يتكشف من

---

(١) هناك بعض الخشونة فى أسلوب الجزء الأخير من عدد (٥)– أو قد يكون هناك خطأ فى النسخ إذ جاء فيها (وليتبارك اسم جلالك المتعالى..) مما قد يوحى بأن اللاويين رفعوا أياديهم للسماء عند هذا القول، مما أدى إلى أن يتجاوب معهم جمهور الحاضرين– وعلى هذا الأساس أضافت ترجمة GNB (ولكن بدون رد فى النص) إلى بداية العدد (٦) هذه الجملة التفسيرية: (عندئذ رفع شعب إسرائيل هذه الصلاة قائلين :) أنت هو ...

خلال الأحداث المألوفة من سفر الخروج (٩- ١٥)، وعلى امتداد الآيات ٦- ١٥ نرى أن الله هو موضوع كل جملة.

أعداد ١٦ - ٢٥ الله الكريم الطويل الأناة «هم» فى هذه الفقرة يتناوب ضمير الغائب هذا مع ضمير المخاطب «أنت» على المدى الذى استمر عليه اعترافهم. إن التباين بين الطرفين: الله والبشر، يظهر بوضوح. إن الخطية تكثر، ولكن النعمة تتعاظم. إن إسرائيل تؤثر الرجوع إلى مصر وتبحث عن إله جديد، ولكننا نرى الله يقف إلى جوار شعبه، ويحفظ وعوده، ويحقق لهم أعمق أمانيهم (الآية ٢٠) ويوفّر لهم كل احتياجاتهم [(١)] فلم يحتاجوا لشئ طيلة أربعين سنة فى البرية (الآية ٢١)، ومع ذلك أبوا الاستماع ولم يذكروا ما صنعه الله معهم من عجائب وصلّبوا رقابهم وتمرّدوا على الله (الآية ١٧). وينتهى هذا الجزء من تاريخهم بحصولهم على الميراث غير المحدود الذى لم يكونوا يستحقونه، والذى كان ملآناً «بكل خير» (٢٥).

أعداد٢٦ - ٣١ : الله الذى يحذّر ويؤدّب: إنهم يمضون فى اعترافهم إلى زمن القضاة [وإلى ما وراء حيث أن الأنبياء قد عاشوا وماتوا بصفة رئيسية (نح ٢٦ و٢٧) فى زمن الملكية] ويعيدون إلى الأذهان إيقاع ذلك العصر الذى تميز بالتكرار الرتيب للوقوع فى الخطية، والانحطاط، وصراخهم إلى الله وخلاصهم وهى دور من التمرد والعصيان على الله، والذى لم يتعظوا خلاله من أية خبرات ويستفيدوا من أي تعليم حتى لا يكرروا دور أخطائهم. وهناك نجد مغايرة حادة بين الله وبين البشر، والتى تتمثل فى الآية الاستهلالية للفقرة (٢٦) والآية الختامية ٣١: «وعصوا وتمردوا عليك... ولم تتركهم لأنك إله حنان ورحيم».

أعداد ٣٢ - ٣٧ حالة الانحطاط لشعب الله

عدد ٣٢ : إن سلسلة الألقاب والنعوت الإلهية فى فاتحة هذه الآية، والأسماء المذكورة فى نهايتها عن الملوك والرؤساء والكهنة وغيرهم، ليست مجرد بيان بلاغى

---

(١) مع عدد (٢٠) قارن خروج ٣:٣١، عدد ١١: ١٧، ٢٧: ١٨ وما بعدها، إش ٦٣: ١٠ و ١٤ - مع عدد (٢١) قارن تث ٨:٤.

منمّق، حيث أن بداية الآية قد تكفّلت بتوضيح المشقات والمتاعب فى منظورها الصحيح، فى حين تبرز خاتمة هذه الآية البنية الاجتماعية للبشر وإمكاناتهم. وإننا نستطيع أن نتبيّن مدى الخسارة الفاجعة التى أصابت الملوك والرؤساء من الكلمات التى تحمل كل معانى الكَرْب والألم المبرح فى المراثى ٤: ٢١؛ ٥: ١٢، ٢: ٩ و ٢٠، والتى لا يمكن فى الواقع تجاهلها.

ولكن الكلمات الي استخدمها الله تمضى بنا إلى ما هو أكثر من الحقائق الواقعية الصمّاء، وكل منها له وضوحه وتميّزه. فلو أخذنا فقط الصفات، فإن صفة «العظيم» تذكرنا بأن الله لا يشاركنا فى ضيق رؤيتنا أو فى وجودنا المحدود، كما أن صفة «الجبّار» هى كلمة حاسمة وقوية مناسبة لوصف رجال الحرب الجبابرة الذين عاونوا داود فى مغامراته العسكرية (٢ صم ٢٣: ٨- ١٠)، أو «ملك المجد.. الجبّار فى القتال» (مز ٢٤ :٨)، أو «الإله القدير» فى (إشعياء ٩:٦) أما صفة «المخوف» فقد لا تعطى المعنى المقصود، والكلمة المستعملة هنا تعنى الذى يوحى بالخشية والرهبة تجاه شئ مقدس أو جليل أو مكتنف بالأسرار، وليس الذى يوحى بالارتعاب منه لقسوته وعدم رحمته. إن هذه الصفة ذات صلة بتعبير «مخافة الرب» والتى تنطوى على العلاقة البنوية التى تحمل فى ثناياها كل المعانى الإيجابية والواقعية، التى تجعلنا نحس بالطمأنينة والأمان فى موقفنا من الله (وهى الفكرة المعبّر عنها بتوسع، فى المزمور ٣٤:٧ - ٩).

«ملوك أشور»، وكانوا الأوائل فى سلسلة القوى العالمية الكبرى التى كانت مصدر التهديد الدائم لإسرائيل، والذين انتهى بهم الأمر إلى اخضاع إسرائيل ويهوذا منذ العبودية فى مصر والتى خلّصهم منها النبى موسى. ومنذ منتصف القرن التاسع ق.م. إلى زمن نحميا فى منتصف القرن الخامس ق.م. بدأ التهديد من أشور على فترات متقطعة، وجاء بعدهم البابليون ثم ما لبث الفرس أن أخضعوا هذا الشعب الصغير لسلطانهم. ومن بعدهم جاء اليونان ثم تبعهم الرومان.

الأعداد ٣٣- ٣٥ : هناك اختلاف كبير هنا بين الرثاء للذات ومعرفة الذات. إن التسليم الأليم واعترافهم بأن الله «بار» فى كل ما أتى عليهم من نكبات وكوارث،

يشابه اعتراف اللص التائب حيث أنه كفيل بأن يفتح لهم أبواب الرحمة، كما أن القائمة الحزينة للملوك والرؤساء وغيرهم الذين يرثون لحالهم فى الآية ٣٢ قد أصبحت موضوع الاعتراف في الآيتين ٣٤ و ٣٥.

العددان ٣٦ و٣٧ : ولقد تساءل بعض الكتّاب ما إذا كان عزرا أو نحميا، بصفتهما تحت حماية الملك الفارسى أرتحشستا كان فى مقدورهما أن يتحدثا بمثل هذا الأسلوب عن السلطة الفارسية فى حين رأى البعض فى هذا الأسلوب الغيرة الحقيقية لله ولإسرائيل التى لا يمكن التنازل عنها مهما كان الولاء للملك.هذه الصلاة ليست تنفيساً عن التمرّد أو الثورة، أو الشكوى من المظالم أو انعدام العدالة: [لاحظ عبارة «بسبب خطايانا» (الآية ٣٧)، وكيف أنها تتمشى مع الآيات ٣٣-٣٥] ؛ وليس فى أى من هذه الآيات الادعاء بأن خدمة النظام الأجنبى والعمل على إثرائه، هو ما وُعد به إبراهيم ونسله. وإن الكرب العظيم الذى تختتم به الصلاة هو علامة على أنهم ما يزالون على قيد الحياة، وعلى رؤية لم تستسلم لأى شئ.

أعداد ٣٨ - ١٠ :٣٩ الميثاق الملزم

إن هذا الأصحاح [١] يثبّت بقوة الاعتراف الصادر عنهم. إن هؤلاء المصلّين طلبوا الرحمة ولم يقصدوا استغلالها، وهذا ما يوضحه الميثاق الملزم الذى قطعوه على أنفسهم (٩:٣٨ حسب ترجمة NEB).

عدد ٣٨ : إن كلمة «العهد» لم ترد فى النص، وإنما استخدمت الكلمة العبرية "amana" والتى تعنى «وعد ثابت» (قارن ١١:٢٣ والتعليق عليها) [٢]، إن الفئات الثلاث الذين ختموا العهد سوف تقسم القائمة التالية للأسماء، على الرغم من أن طبقة الكهنة تسبق طائفة اللاويين.

---

(١) نقصد الأصحاح العاشر ذلك أنه فى النسخ العبرية يبدأ الأصحاح العاشر بالآية التى نحن بصددها الآن وهى ٣٨:٩.

(٢) إن التعبير الفعلى المستخدم فى ٩ :٣٨، ١:١٠ هو: (على الأوراق المختومة هم رؤساؤنا...) أى أن الأسماء المدونة أدناه... أو قد يكون المعنى أن- الوثيقة تم ختمها تحت إشرافهم.

الفقرة «بما تضمنته من قائمة للأسماء» هى بالتأكيد فقرة مرتبطة بضمير المتكلم مثلها فى ذلك مثل الصلاة التى قادت إليها.

الأصحاح العاشر

أعداد ١- ٢٧ الذين ختموا الميثاق

عدد ١: يوجد فى النص حرف العطف (و) (والمحذوف فى ترجمة RSV) بين نحميا وصدقيا، ولكنه لا يوجد بين أو قبل الأسماء الأخرى التى تلت فى الآيات ٢-٨، مما يتضح منه أن هذين الاسمين الأولين هما جماعة منفردة بذاتها، وأنهما يمثلان السلطة المدنية.

الأعداد ٢- ٨ : يُوجد هنا اثنان وعشرون من الأسماء الكهنوتية، منها على الأقل خمسة عشر اسماً للعائلات. وهذا أمر واضح من الأصحاح ١٢، والذى تضم قائمته أسماء العائدين الأصليين إلى الوطن من بابل والذين نجد أسماءهم هنا مرة أخرى (سرايا ويرميا، وأمريا الخ.)وتستمر فى ذكرها لأسماء أشخاص بعينهم، كانوا فى فترة خاصة، رؤوس بيوت الآباء هذه (انظر التعليق على ١٢: ١- ٧) [١] وهذا ما يفسر عدم ظهور اسم عزرا بين الذين ختموا الميثاق، من حيث أنه كان أحد أفراد الأسرة التي ترأس القائمة أى بيت «سرايا» (والذى يضم أيضاً رئيس الكهنة): قارن عزرا ٧:١- ٥ مع ١ أى ٦:٣- ١٤.

الأعداد ٩ - ١٣ : كان هناك من بين أسماء السبعة عشر لاوياً بعض الأسماء الدالة على جماعات الأسر قديمة العهد (مثل الأسماء الثلاثة الأولى التى تتزامن مع أولئك اللاويين فى ١٢ : ٨أ والذين عادوا إلى الوطن مع زربابل) [٢] ولكن العديد منها كانت لأفراد معاصرين. وكان ستة منهم ومن الممكن أن يكونوا سبعة، هم من بين جماعة التعليم فى زمن قراءة عزرا للشريعة (نح ٨:٧)، ولقد تقابلنا مع «شربيا» ليس فقط هنا ولكن (إذا كان هو نفس الرجل) كعضو بارز فى إرسالية عزرا الأصلية (عزرا ٨:١٨)؛ وكان حشبيا أيضاً معه (عز ٨:١٩) .

---

(١) وقارن أيضاً عزرا ٢:٣٨ (فشحور)، ٣٩ - (حاريم).

(٢) وقارن أيضاً عزرا ٢: ٤٠ بنو يشوع وقدميئيل.

وقد كان أحد بناة سور نحميا (نح ٣:١٧)- ومرة أخرى نقول إذا ما كان هو نفس الشخص فى كل قرينة.

الأعداد ١٤ - ٢٧ : «رؤوس الشعب»: وقد ذكرت أسماؤهم فى الأغلب (وربما كلية) بلغة الأسرات التى يمثلونها، وبصفة خاصة الأسماء الإحدى والعشرين (من فرعوش إلى مجفيعاش ١٤- ٢٠أ) وهى تسير إلى حد كبير على نهج القائمة الواردة فى عز ٢:٣ - ٣٠، مع اختلافات قليلة فى الترتيب والهجاء. ويجب أن نذكر أن نحميا قد استخدم تلك الوثيقة فى إعداد قائمة بأسماء الذين يتكون منهم مجتمعه (نح ٧:٥). أما الأسماء المتبقية من الثلاثة والعشرين اسماً، فى الآيات ٢٠- ٢٦ فقد ظهر بعضها أيضاً كأسماء الأباء، أى أسماء الأسرات، فى قائمة بناة السور فى نحميا ٣ [1]. ومن بين العائلات العديدة منذ زمن زربابل (عز ٢)، من المحتمل ظهور بعضها كأسماء فروع لأسر قديمة، فى حين كان البعض من القادمين الجدد.

العددان ٢٨ و٢٩ القسم والحلف العام على الطاعة: هذه الفقرة تسترجع الميثاق السابق ذكره فى ٩:٣٨ وتحلف على الوفاء به وهو الميثاق الذى قطعته الجماعة وختمه القادة عوضاً عنهم. ولقد أصبح واضحاً تماماً أن كل واحد منهم نزولاً إلى أصغر الأطفال الذين لهم قدرة على الفهم (٢٨ ج ؛ قارن ٨:٢ والتعليق عليها) قد أسهم فى هذا القسم والحلف (والذى قوّى بأن تحل اللعنة على كل من تسوّل له نفسه الرجوع فى كلمته).

إن هذه القائمة تؤكد ليس هذا الإجماع فحسب، بل إنها تصوّر الشعب كجماعة نظامية تم تسجيلها (مرة أخرى ٧:٥) فى جماعاتها التقليدية على مثال ما جاء فى

---

(١) مثلاً «شيزبنيل» و «يعنا» من ٣:٤، (حاريم) ٣:١١؛ (هللوحيش) ٣:١٢ وهناك أسماء شائعة فى كل من النصين، لكن يجب أن نتنبّه دائماً إلى أن أى اسم يمكن أن ينتمى إلى أكثر من شخص واحد فى العائلة.

عز ٢: ٣٦- ٣٨ (حينما ألح العائدون إلى الوطن على ضرورة إعادة الحياة الحقيقية والأصلية لإسرائيل) وكان لديهم الشعور الحقيقى بالدعوة إلى ضرورة الانفصال عن الشعوب الأخرى. إن قراءة الشريعة (مثل لاويين ٢٠: ٢٦) لم تترك مجالاً للشك فى حتمية هذا العمل.

أعداد ٣٠ – ٣٩ تعهدات خاصة

أخذت الجماعة على نفسها عهداً على أن يحفظوا ويعملوا بجميع وصايا الرب وأحكامه وفرائضه المتضمنة فى الشريعة (٢٩ب)، إلا أن أجزاء معينة منها كان لها تأثيرها الشديد عليهم.

عدد ٣٠: الزيجات المختلطة: لقد أدانت الشريعة بقوة الزيجات المختلطة (ولم يكن ذلك على أساس عرقى وإنما على الأسس الدينية خروج ٣٤: ١٢ - ١٦، فى حين أنها تقبلت برحابة صدر زواج راعوث بعد إيمانها. ولكن الصعود الاجتماعى كان أمراً معزياً فى تلك الأيام العصيبة التى تُفقد المرء القدرة على الاحتمال، وكان الزواج هو الفرصة المغرية للحراك الاجتماعى. ولقد واجه كل من ملاخى (٢: ١٠-١٦)، وعزرا (٩:١- ٣) ونحميا (١٣:٢٣- ٢٩) هذه المشكلة، وعالجوها بحسم وإن اختلفت الطرق التى انتهجوها. وأخيراً، وحتى لا يظن المسيحيون أنها لم تعد أمراً حيوياً، نجد بولس يشرحها بأسلوب منطقى مفحم وبحماس شديد فى ٢ كورنثوس ٦:١٤- ٧: ١.

عدد ٣١ : السبت : لقد فتح وجود التجار الأجانب ثغرة فى شريعة السبت، ذلك أنه ليس فى مقدور أى فرد أن يجادل فى أن أى أحد ملتزم بالعهد يمكن أن يلجأ إلى القيام بعمل ما فى حالة قيامه بالشراء منهم. ولكن أصبح فى إمكان الشعب الآن أن يرى فى مثل هذا العمل تهديداً لأسلوب وروح السبت. وأخيراً، وقد تخلّوا عن قرارهم الذى قطعوه على أنفسهم، سرعان ما تبين الخطر الداهم الذى ينطوى عليه ذلك (انظر التقرير النابض بالحيوية فى ١٣ : ١٥- ٢٢).

وفيما يتصل بالسنة السابعة، انظر خروج ٢٣: ١١؛ لاويين ٢٥: ٤- ٧ و ٢٠- ٢٢ (ماذا نأكل فى السنة السابعة...؟) تثنية ١٥ : ١- ١١.

العددان ٣٢ و ٣٣ : ضريبة الهيكل: نجد فى الخروج ٣٠: ١١- ١٦ أنه كان مقرراً على كل فرد يزيد سنه على العشرين أن يدفع نصف شاقل «فدية عن نفسه»، وكان المال الذى يجمع من هذه الفدية يستخدم «لخدمة خيمة الاجتماع» ، وكانت هذه الضريبة تجبى فقط عند إجراء تعداد أو إحصاء لبنى إسرائيل، فى حين تشير الفقرة الحالية إلى قدر أصغر لهذه الضريبة. وتجمع الضريبة سنوياً (أصبحت هذه الضريبة نصف شاقل فى زمن العهد الجديد: متى ١٧ : ٢٤). وكما يشير بروكنجتون Brock-ington فإنه على الرغم من مراسيم كورش وداريوس وأرتحشستا كانت قد أقرت بإعطاء منح من الخزانة العامة للإنفاق منها على أمور العبادة (مثل ما جاء فى عز ٦: ٨- ١٠)، فإنه ما كان يمكن أن يستمر هذا الأمر قائماً بصورة غير محددة، أو (كما نضيف نحن) أن الاعتماد على مثل هذه الرعاية الأجنبية لم يكن له أثره الطيب على الديانة اليهودية.

الأعداد ٣٤ - ٣٩ : التقدمات العينية : بعض التفصيلات الواردة هنا جديدة فى حين أن البعض الآخر كان بمثابة إعادة التثبيت لما هو مدّون فى الشريعة. وقد أوضح الاختبار بكل جلاء أن «العمل الجماعى لن يتم ما لم يحدد دور كل فرد فيه»، ومن هنا جاء تحديد المسئولية بالنسبة لقربان الحطب (٣٤). ولقد كان تنظيماً إدارياً جيداً أن يصبح مفهوماً بكل وضوح أنه قد أصبح اللاويون مسئولين عن جمع العشور عن منتوجات الحقول والأرض (٣٧ب) وأنهم لا يفعلون هذا الأمر إلا تحت إشراف (٣٨أ).

عشر الأعشار (٣٨) أى العشر من العشور، وهى المشار إليها فى عد ١٨: ٢٦، فى فقرة ترينا أن اللاويين باعتبارهم الذين يتسلمون العشور عن جميع إسرائيل، كان عليهم أن يقدّموا العشر من هذه العشور التى جمعوها من المواطنين، إلى الكهنة. وفى زمن موسى، عندما كان عدد اللاويين يفوق عدد الكهنة، كان هذا الترتيب يعطى كل من الطائفتين نصيباً مناسباً، أما الآن فلا يكاد يناسب الكهنة. وحقيقة أن الكهنة تقبلوا هذا الوضع على الرغم من ذلك تبين إلى أى مدى كانوا يقدسون

الشريعة. ولقد ناقشنا النقد الموجه إلى ما تضمنته أسفار موسى الخمسة، والتى أشار إليها ى. كوفمان Y. Kaufmann فى تعليقنا على عز ٢: ٤٠-٤٢.

أما التعهد الأخير : «ولا نترك بيت إلهنا» (٣٩) فإنه لا يلخص الفقرة فحسب بل أيضاً كل ما كان موضع اهتمام أنبياء ما بعد السبى حجى وزكريا وملاخى. كان الهيكل قبل السبى فى الأغلب الأعم مجرد طلسم أو تعويذة، وكانت أنشطته المرعية على أحسن وجه بمثابة دواء مسكّن لصوت الضمير (انظر فوق كل شئ إرميا ٧). والآن فإن الإغراء أصبح على النقيض تماماً: هو الضن بالجهد والنفقة اللازمة لخدمته الدينية. وقد لمس ملاخى هذه الحالة بكل وضوح ووبّخهم عليها. إن النغمة المختلفة لهذا الأصحاح فهى إلى حد ما معيار لما فعلته زعامة كل من عزرا ونحميا، ولتأثير كلمة الله على أولئك الذين تكشفت لهم بالطول وبالعمق. وعن هذا الأمر انظر ثانية ٨: ٧ و٨ و١٢ و١٣ و١٨؛ ٩:٣.

الأصحاح الحادى عشر

المجتمع المنظم

ليست الدقة البيروقراطية هى التى حفظت لنا هذه الأسماء. إن النقطة هنا أيضاً أن هؤلاء القوم وراوية أخبارهم كانوا على قناعة تامة بأصالتهم وبنيتهم كجماعة الله. إنهم ليسوا مجرد شرازم من اللاجئين الذين استقروا حيثما اتفق، وإنما كان لديهم الإحساس بجلال النظام وبقيمة صلات النسب المعروفة، وفوق كل ذلك بدعوتهم لأن يكونوا «مملكة كهنة أو أمة مقدسة» (خر ١٩: ٦). ونعرف مما جاء فى ١ أى ٩:٣ (وهو أصحاح يملأ الفراغات فى القائمة الحالية بأسماء أخرى وبالماعات إلى خدم الهيكل والعمل المنوط بهم) أن الإسرائيليين من الأسباط الأخرى بخلاف الأسباط الثلاثة المذكورة هنا قد اتخذوا مقامهم فى أورشليم. ولكن هذه الأسباط الثلاثة: يهوذا وبنيامين ولاوى، كانت النواة للذين أقاموا فى أورشليم. ولقد استمروا فى بقائهم مع ورثة عرش داود، حيث تكونت منهم مملكة يهوذا، فى الوقت الذى انفصلت عنهم بقية الأسباط. أما الآن فإن مستقبل إسرائيل يقع على كاهل هذه الأسباط الثلاثة ومن انضم إلى صفوفهم من الأسباط الأخرى.

أعداد ١- ٢٤ تأهيل أورشليم بالسكان

الأعداد ١ - ٣ : الترتيبات الأساسية: كانت أورشليم بصفتها العاصمة «والمدينة المقدسة» (الآية ١) هى المركز الواضح للقيادات ومعظم هيئة العاملين فى الهيكل؛ ولكنها كانت أيضاً فى حاجة إلى مواطنين آخرين لكى تكون مجتمعاً متوازناً قادراً على الدفاع عن نفسه. ولقد اتضحت لنا الظروف الصعبة الأخرى مما جاء فى ٧: ١-١٤. وفى هذا الأصحاح الحالى تُخبرنا الآية ١ (أ) عن تحرك جديد، وليس عن وضع قائم، ترجم على نحو أفضل فى NEB وغيرها: «استقرّ رؤساء الشعب فى أورشليم».

ولسنا على يقين ما إذا كان القوم الذين انتدبوا للسكنى فى أورشليم والذين تحدثت عنهم الآية الثانية، كانوا أفراداً بخلاف أولئك الذين اختيروا بالقرعة، أو ما إذا كانت الآية تقول إن الأخيرين تقبلوا هذا القرار برضا وابتهاج. ولكن كانت هذه البداية مبشرة وتمثل حالة أخرى من التطلّع فى شوق إلى رؤية يهوذا وأورشليم تستعيد مجدها الصحيح.

وترينا الآية ٣ أنه بصرف النظر عن الموظفين الرسميين ذوى المكانة الرفيعة، كان هناك قطاع مختلط تماماً فى هذه الجماعة، يضم الكهنة الذين يعيشون فى مدن أخرى من يهوذا. إن مصطلح «إسرائيل» فى هذه القرينة يعنى المواطنين العاديين. ومن الفئتين الأخريين فى هذه الآية يلزم الرجوع إلى التعليق على عزرا ٢: ٤٣- ٥٨.

أعداد ٤- ٦ : بنو يهوذا فى أورشليم تضيف قائمة ١أى ٩:٤- ٦ فرعاً آخر من هذا السبط: نسل زارح الأخ التوأم لفارص (تك ٣٨: ٢٧ - ٣٠). أما الجماعة التى يرأسها معسيا (٥) ومن الواضح أنها من نسل شيلة Shelah ابن يهوذا (تك ٣٨: ٥و ٢٦)، حيث أن كلمة الشيلونى تشمل من شبه المؤكد- نفس الحروف لكلمة الشيليين (NEB ؛ قارن GNB ، JB) كما جاءت فى عد ٢٦: ٢٠. أما «رجال البأس» فمن الممكن ترجمتها «الرجال الموسرون»، أى من ذوى الممتلكات (NEB)أو الرجال المبرزون (GNB)، من حيث أن التعبير قد يدل على الثراء أو القوة أو الكفاءة، إذ أنه ليست له صلة وثيقة بالشجاعة البدنية كما هو الحال فى التعبير الذى فى الآية ١٤. ومع ذلك فمن حيث أن السبب الأعظم فى تعمير أورشليم ونزوح السكان إليها هو حمايتها، فإن تعبير «رجال البأس» يمكن أن يكون تعبيراً صحيحاً.

أعداد ٧- ٩ بنو بنيامين فى أورشليم: تعد قائمة ١أى ٩: ٧- ٩ هى القائمة الأكمل، ومجموعها الكلى أكبر إلى حد ما (٩٥٦). وهى أيضاً تذكر أن أولئك القوم الذين هم موضع اهتمامنا وجميعهم من «رؤوس بيوت الآباء» وإن ذكر «الوكيل عليهم» يجعل من الواضح تماماً أن السكان لم يكونوا جمعاً غير منظم،

ولكنه كان فى الواقع مجتمعاً منظماً لائقاً بشعب «المدينة المقدسة» (١ و ١٨). إن المنصب الذى كان يشغله يهوذا بن هسنوآة [١] هو من الأمور الغامضة والمحيّرة إلى حد ما، وذلك بالنظر إلى تعيين حنانيا المذكور فى الآية ٧ :٢، ولكن من الممكن أن يكون يهوذا مسئولاً عن الربع الثانى من المدينة (هامش NEB ؛ قارن ٢ مل ٢٢: ١٤).

أعداد ١٠ -١٤ : الكهنة فى أورشليم : لقد سبق أن لاحظنا (انظر التعليق على ١٠ : ٢- ٨) أن القوائم من هذا النوع تُشير أحياناً إلى العائلات بدون تسمية اسم رئيس العشيرة الحالى (على النحو الذى فعلته الآيات ١٢: ١٢- ١٤). وهذا الأمر مع اتجاه الكهنوت إلى الابقاء على ذكر سلالة محدودة من الأسماء الأثيرة المحبوبة (قارن لوقا ١:١٦) يجعل من الصعب علينا تفسير ذلك السجل على نحو يقينى مؤكد [٢].

إن تعبير «عاملو العمل للبيت» (الآية ١٢) أي الهيكل، يشير إلى أن بعض الواجبات الأقل أهمية من الناحية الطقسية أنيط بها إلى جماعات أخرى. وكان من بين هذه الواجبات القيام بالتعليم (ملا ٢: ٧)؛ وهناك واجب آخر أسند إليهم للقيام بأدائه واقتضته الحالة غير المستقرة التى كانت عليها أورشليم آنذاك (قارن نح ٧: ٣ و٤) وربما كان هو الدفاع عنها، «جبابرة بأس» (الآية ١٤) هو لقب حربى أقوى فى

---

(١) إذا تغير حرف واحد من هذا الاسم «S» «osa» يمكن أن يصبح معناه (الغير محبوب) كما فى حالة الزوجية قارن تك ٢٩: ٣١- لكن رغم أن الحرف بصورتيه يمكن أن يتبادلا وضعهما فإن التهجية المختلفة فى (هسنوآة) نح ٣:٣ و (سناءة) فى عز ٢: ٣٥ لا تشجع على التفكير فى دراسة أصول الكلمات كما يقول BDB وماير.

(٢) وهناك أيضاً نوع من عدم التأكد من نص العدد (١٠) حيث قد يكون من المفضل حذف كلمة (بن) إذ أنها غير موجودة فى الآية المقابلة فى ١ أى ٩: ١٠ التى فيها (يدعيا ويهوياريب وياكين) باعتبارهم رؤوس ثلاث بيوت كهنوت وليس بيتان فقط- كما فى ٢٤ : ٧ و ١٧. إلا أنه لا سند فى النص للتعديل الذى قامت به بعض الترجمات بخوف (ياكين) باعتبارها خطأ فى نسخ كلمة (بن) (ابن) وبذلك تجعل كل قائمة الأسماء من سلالة يدعيا.

طبيعته من اللقب المذكور فى الآية السادسة «رجال البأس». وعلى الرغم من أنه فى راعوث ٢:١ أطلق على بوعز، كرجل ثرى ماهر ، إلا أنه هنا فى الأغلب من المحتمل أنه كان له معناه المألوف للرجل الذى يتميز بالقوة والبسالة البدنية.

إن كلمة «حجدوليم» هى كلمة في صيغة الجمع (الكبير أو العظيم) وهى إلى حد ما غير مألوفة كاسم يطلق على شخص ما. ومن هنا قد تكون NEB على صواب فى اعتبار أنه يعنى «عائلة من الرؤساء».

١٥ - ٢٤ : اللاويون والقائمون على العمل الخارجى للهيكل فى أورشليم:

إن التلميحات عن القوم القائمين على العمل الخارجى للهيكل فى أورشليم شديدة الإيجاز، ولكنها كافية إلي حد ما لتوضيح الخلية العاملة بنشاط والتى كانت موجودة فى ذلك الوقت. وتدب الحياة فى الصورة بدرجة أوفى وأكمل فى ١ أى ٩:١٧- ٣٤، حيث نرى فيها تعيين البوابين،، والذين كان عليهم الإشراف على آنية الخدمة فى الهيكل وكانوا يدخلونها ويخرجونها بعدد، وإعداد خبز التقدمة وهكذا. إن ذكر العمل الخارجى (الآية ١٦). يخبرنا باحتياجات مثل هذه المؤسسة الضخمة من الموارد والاحتياجات الضرورية للقيام على خدمتها والحفاظ عليها، بينما تُعيد الآية الثانية إلى ذاكرتنا كل ما يتعلّق بصلاة الحمد والتسبيح (الآية ١٧) [١]. أما أسماء «آساف ويدوثون» فى هذه الآية تعود بنا إلى أيام داود الذى أسس فِرق المغنين اللازمة لخدمة الهيكل (٢ أى ٥:١٢). وهناك أمور أخرى عن المغنين فى الآيات ٢٢- ٢٤.

عدد ١٨ : لاحظ هنا أيضاً مغزى التعبير «المدينة المقدسة» على نحو ما فى الآية

---

(١) النص العبرى هنا غير متناسب وإن كان المعنى العام واضح.. وتقرأ حرفياً: «.. رأس البداية (الذى) يحمد فى الصلاة» وقد تكون كلمة البداية يجب أن تتغير إلى (يسبِّح).. كما فى الفولجاتا- إلا أن (رايل) يشير إلى أن الأسلوب الغامض يمكن أن يحتفظ بالتعبيرات الفنية المستخدمة فى فريق الترنيم.

الأولى. إنه كان اسماً مقدراً له الحياة والبقاء. ويلاحظ أن العدد المعطى عن اللاويين أجمعين ربما يتضمن المائة والاثنين والسبعين من البوابين المذكورين فى الآية التالية، من حيث أن هؤلاء أيضاً ينتمون إلى لاوى (عز ٢: ٤٠- ٤٢). ومن ناحية أخرى فإن «اللاويين» فى هذه الآية ربما كانت فى استعمالها الأضيق الدال على مساعدى الكهنة.

العددان ١٩ و ٢٠ : واجبات أسر البوابين (والكثير منهم مذكورون فى ١٢ : ٢٥) نجد تفسيراً واضحاً عنها فى ١ أى ٩: ١٧ - ٢٧، حيث يبدو أن تأمين سلامة منطقة الهيكل كانت مسئوليتهم التى ورثوها، وأنه كانت تلحق بهم أعداد من أقربائهم غير المقيمين فى أورشليم (ولا شك أنه لذلك جاء مجموعهم الكلى الأكبر فى ١ أى ٩: ٢٢). وكان هؤلاء يأتون من قُراهم لأداء خدمة أسبوعية بالتناوب. كان الهيكل فى حاجة إلى حراسة قوية بالنظر إلى ما يضمه من الكنوز الثمينة ومن المقدّسات. إن الأسئلة والاجابات الواردة فى المزامير ١٥ و٢٤ عن الذين يصعدون إلى جبل الرب والمعاد ذكرها بإيجاز فى مزمور ١١٨: ١٩ و ٢٠، ربما جاءت صدى لذلك الأسلوب الذى كان يتبعه الحراس من إيقاف أولئك الذين يرغبون فى الدخول إلى الهيكل للتأكد من هويتهم. ومن الأمور العارضة هذا الشطر الوارد فى مزمور ٨٤ : ١٠ «اخترت الوقوف على العتبة» لا يشير إلى أولئك الموظفين المكرّمين، وإنما بالأحرى، وكما يبدو إلى العابد الذى يقف بعيداً عن الجمع المحتشد، والذى لا يتجاسر على أن يقترب إلى أكثر من عتبة هيكل الرب.

عدد ٢١ : خدم الهيكل أو «النثينيم»، انظر التعليق على عز ٢: ٤٣. إن هولاء، على خلاف الجماعات المذكورة فى الآية ٢٠، ليس لهم زملاء من غير المقيمين فى المدينة. الأكمة (قارن ٣: ٢٦) كانت الهضبة المؤدية إلى الهيكل فى الطرف الشمالى من المدينة.

العددان ٢٢ و ٢٣ : وبالمغايرة مع الموظفين الرسميين المكلفين بالإشراف على «العمل الخارجى» (انظر التعليق على الآية ١٦)، فإنه يبدو أن عُزّى الأسافى[١] كان مسئولاً عما نطلق عليه ببساطة «عمل بيت الله» والذى يستدل من القرينة التى فى الآية أن المقصود بذلك أعمال الغناء المرتبطة بالعبادة. إن ترجمة RSV للآية ٢٣ (متابعة فى ذلك ترجمات RV و AV ، لكن انظر هامش الترجمتين AV ؛ RV) نرى فى هذه أنها «الفريضة المقرّرة للمغنين» بوصية الملك؛ ولكن «الفريضة المقرّرة»– هى كلمة عبرانية فى صيغة المفرد (amama) وتدل على شئ مؤكد أو ثابت، ويبدو أنها تعنى تنظيمات[٢] (JB ، GNB ؛Cf . NEB). إن تعبير «بقدر احتياج كل يوم» ترجمته الحرفية: «أمر كل يوم فيوم»، ومن المحتمل أن الآية تتعلق بأوقات خدمة فريق المغنين، والذى على الوكيل المذكور فى الآية ٢٢ مسئولية الاشراف عليهم: إن العبادة كانت من الأمور الهامة التى لا يجب تركها بدون تخطيط.

عدد ٢٤ : لقد اتضح الآن سبب ذكر الملك فى الآية ٢٣: ذلك أن حاشيته تتضمن مستشارين من الشعوب الخاضعة له كى يستشيرهم بشأن الأمور المتعلقة بهذه الشعوب. ومنهم «فَتَحيا» المذكور فى عز ١٠ : ٢٣، و«مشيزبئيل» الوارد اسمه فى نح ٣:٤.

أعداد ٢٥ – ٣٦ الضياع الخاصة بيهوذا وبنيامين

وكولاية فى الإمبراطورية الفارسية، فإن الإقليم الذى كان نحميا والياً عليه يُدعى اليهود (يهوذا)، وكان يحدّه من الشمال ولاية السامرة، ومن الجنوب أدومية (أدوم).

---

(١) باعتباره الحفيد الأكبر لـ «متنيا بن ميخا». يبدو لأول وهلة أنه من غير المحتمل أن يكون معاصراً لـ «متنيا بن ميخا» المذكور فى عدد (١٧). لكن – كما يوضح «بروكنجتون» قد يكون هذا الأخير قد تسمى باسم جده الأكبر المشهور– حيث أن إعادة تسمية الأطفال بأسماء جدودهم كانت تتزايد فى فترة ما بعد السبى – انظر أيضاً التعليق على عدد (١٠) ولاحظ كذلك السلسلة المكررة بأسماء (أمارية) و(أخيطوب) و (صادوق) فى ١ أى ٦: ٧ و٨، ١١ و ١٢.

(٢) المرة الوحيدة الأخرى التى ترد فيها هذه الكلمة فى نح ٩ : ٣٨ حيث ترجمت (فنقطع عهداً).

ولكن من الناحية التاريخية كان الجزء الذى يمتد من أورشليم إلى الجهة الشمالية يخص سبط بنيامين، ومن ثم فإن السبطين قد احتل كل منهما المنطقة التى كانت تخصه، والمحدّدة بطريقة موجزة فى الآيتين ٣٠ ب، ٣١أ، مع سبط لاوى المفرّق بين هذين السبطين (٣٦)، وأيضاً (وكما نعرف من موضع آخر مثل ١ أى ٩:٣) مع بعض البقية من الأسباط الشمالية. ومن الأمور التى تثير الدهشة للوهلة الأولى أن هذا الاستقرار الاستيطانى قد تجاوز حدود تلك الولاية الصغيرة الجديدة، ليضم أماكن كانت تخص يهوذا فى الأيام القديمة، قرية أربع (٢٥) هى حبرون (يش ١٤:٢٥) وتقع على بعد عشرين ميلاً جنوبى أورشليم، ومن المؤكد أن معظمها كان واقعاً ضمن نطاق أدومية، وليس هناك أى شك حول «بئر سبع» (٢٧) والتى تقع على ضعف المسافة إلى الجنوب من أورشليم. ولكنهم كمواطنين فى نفس الإمبراطورية الواحدة، فإن هؤلاء القوم كانت لديهم الحريّة للإقامة فى أى مكان يرغبون فيه، طالما أنهم يحافظون على الأمن والسلام، وعلي هذا فإن ما نراه هنا هو عودة الأسر إلي أماكنها الوطنية وبالقدر المستطاع تحقيقه، وليس علي اعتبار أنه توسعة لحدود الولاية. ومن الممكن أن تعبير «وحلّوا» (الآية ٣٠)، يعكس معني أنهم بطريقة ما قد حلّوا مكرهين فى هذه الأماكن، حتي وإن كانت أرضهم الخاصة بهم- وهو المعني الذي تعبّر عنه الكلمات التي نجدها في ٩: ٣٦ و٣٧ في صرختهم التي خرجت من أعماق قلوبهم.

ومن بين الأسماء المذكورة هنا، يمكن أن نلاحظ بطريقة موجزة ذكر اسم «ديبون Dibon » (الآية ٢٥) وهي منطقة من ديبون الموآبية التي في إشعياء ١٥:٩، «وادي هنوم» (٣٠) ويقع خارج سور أورشليم الجنوبي، والمذكور باعتباره حدود يهوذا في يشوع ١٥:٨، حاصور (٣٣) وهنا لا يجب الخلط بينها وبين حاصور قلعة يابين الشمالية الحصينة. وهناك العديد من المدن التي تحمل اسم حاصور في العهد القديم؛ «أونو» (٣٥)، انظر التعليق علي ٦:٢. ويقترح بروكنجتون «أن صنّاع» تلك المنطقة ربما كانوا يعملون في صناعة الخشب، حيث أنها ليست بعيدة عن يافا، وهو المكان الذى كانت تفرغ فيه حمولات الخشب الواردة من لبنان (عز ٣:٧).

الأصحاح الثانى عشر

أعداد ١- ٢٦ سجلات الكهنة واللاويين :

إن الاستمرارية هنا لها أيضاً أهميتها العظيمة. ومع عدم اشتمال الجزء الأول من الأصحاح على أى شئ مثير، فإن الأمر لم يخل مما يدعو إلى الاهتمام لرفضه اعتبار الأجيال السالفة الماضية غير ذات موضوع ولا أهمية تذكر لها، وإذا كان من الأمور المسلّم بها أن كتابة التاريخ قد تحرّف الحقيقة أو الواقع بتركيزها الاهتمام على الشخصيات البارزة، وعلى قوى التغيير، فإننا نجد هنا ما قد يؤدى إلى إصلاح الموازين.

أعداد١- ٧ بيوت الكهنة عند الرجوع من السبى : نجد هنا أسماء ٢٢ عائلة ويتضح من الآيات ١٢- ٢١ أن العائلات الكهنوتية استمرت معروفة، بهذه الأسماء. والواقع أن خمسة عشر من معاصرى نحميا ختموا الميثاق المذكور فى الأصحاح العاشر بهذه الأسماء (انظر القائمة التالية)، بينما أن أقلية ضئيلة منهم قد استخدمت أسماؤهم الشخصية. وحيث أنه كان يوجد في الأصل ٢٤ فرقة كهنوتية للخدمة في المقدس (١أى ٢٤: ٧-١٩)، وقد عاد هذا العدد من الفرق إلى الخدمة الكهنوتية مرة أخرى فى الديانة اليهودية فى عهدها المتأخر، فإنه يبدو أنه قد سقط اسمان منها خلال عملية النسخ، كما أن اسماً واحداً فى القائمة الحالية (حطّوش HATTSH الآية ٢) لم يعد إلى الظهور فى الآيات ١٢ - ٢١. ولكن ربما لم تعد هيئتهم بعد إلى ما كانت عليه بصورة كاملة.

ومن بين الاختلافات فى التهجئة، فإن الاسم عزريا (الثانى من العمود رقم ٣) كان من الواجب أن تتضمنه هذه القائمة، باعتباره الصيغة الأكبر لاسم عزرا (عون) أو الرب في عونى. ومن المحتمل أنه من بين الاختلاف الأقل وضوحاً اسم رَحوم (٣:١٢) بديلاً عن «حريم» (١٥:١٢؛ ٥:١٠)، وفى هذه الحالة نقل الحرفان الساكنان الأولان، حيث أن الحروف المتحركة ليست جزءاً من النص الأصلى.

للمقارنة نقدم هنا ثلاث قوائم بأسماء العائلات، ذُكرت في ثلاثة مواضع من سفر نحميا

نحميا ١٢:١-٧ العائدون الأوائل إلي الوطن	نحميا ١٢:١٢-٢١ أو الجيل التالى	نحميا ١٠:١-٨ جيل نحميا
سرايا	سرايا	سرايا
يرميا	يرميا	عزريا
عزرا	عزرا	يرميا
أمريا	أمريا	فشحور
ملوخ	مليكو	أمريا
حطّوش	شبنيا	ملكيا
شكنيا	حريم	حطّوش
رحوم	مرايوث	شبنيا
مريموث	علّو	ملوخ
علّو	جنتون	حاريم
جنتوى	أبيّا	مريموث
أبيّا	منيامين	عوبديا
ميامين	موعديا	دانيال
معدّيا	بَلجة	جنتون
بلجة	شمعيا	باروخ
شمعيا	يوياريب	مشلام

يوياريب
يدعيا
سلّو
عاموق
حلقيا
يدعيا

يدعيا
سلاّى
عاموق
حلقيا
يدعيا

أبيّا
ميامين
معزيا
بلجاى
شمعيا

العددان ٨ و ٩ : بيوت اللاويين العائدين من السبى : تملأ هذه الأسماء الفراغ الموجود فى الملخص المذكور فى عز ٢: ٤٠ و٤١، والتى فيها فقط أسماء بيوت عائلات يشوع وقدميئيل وهودويا ومن المغنين آساف . ومن المحتمل أن اسم يهوذا فى هذه الفقرة هو ذاته اسم هودويا فى عز ٢: ٤٠ مع ٣:٩ (من نفس الأصل العبرانى للكلمة)؛ وبنوّى يمكن أن تكون حلقة الوصل مع عز ٣:٩ فى ضوء نحميا ٣: ٢٤. أما الأسماء الأخرى فى القائمة مثل شربيا قارن ٨:٧ ؛ ٩:٤، ١٠:١٢) فقد ادخرت بدرجة كافية لاستخدامها كأسماء لاوية فى زمن نحميا، وكانت على صلة فى بعض الحالات ببعض المناصب كما كان الحال أولاً. وعلى هذا فإن متنيا وبقبقيا كانا من رؤساء المغنين المجاويين فى زمن العودة، والذى نتقابل مع اسميهما فى نفس هذا العمل الذى يقومون به فى ١١:١٧ على مسرح الأحداث بعد قرن من الزمان، كما نلقاهما مرة أخرى فى ١٢:٢٥ حيث جرى التأكيد على استمرارية العمل بنظام الملك داود [1].

العددان ١٠ و١١ : بيت رئيس الكهنة وهذه تسد الفجوة ما بين الجيل الأول بعد السبى (حقبة الآيات ١-٩) ومعاصرى نحميا. وهى تمضى إلى الأمام بسلسلة الأنساب التى فى ١أى ٦:٣- ١٥، والتى يجرى ابتداءً من هارون إلى السبى البابلى، وهى مثل تلك الوثيقة، تحذف بعض الأسماء المعروفة لنا من الأسفار الأخرى، وهى لا تتضمن بالضرورة كل جيل، وبين يشوع الذى عاد من بابل فى سنة ٥٣٨ ق.م. وألياشيب، رئيس الكهنة فى زمن نحميا، بعد ذلك بحوالى قرن من الزمان، يوياقيم (١٠) الذى يمكن أن لا يكون حلقة الاتصال الوحيدة فى هذه السلسلة، رغم أنه ليس من غير الممكن أن يكون كذلك.

---

(١) فى ١ أي ٢٥ : ٤- جاء اسم (بقيّا) ضمن قائمة أسماء موسيقيي الملك داود مع (قنيا) وهذا قد يكون هو النموذج الأصلى لاسم (بُقبقيا). و (عُنّى) الوارد فى ١ أى ١٥ : ٢٠ قد يكون أيضاً الاسم الأصلى (عنو) الوارد فى عدد (٩) من نحميا ١٢- وإن كان هذا الاسم فى النسخة العربية (عنّى) أيضاً. واسم (عبدا) فى نح ١١:١٧ هو اختصار لاسم (عوبديا) المدرج ضمن قائمة (متنيا) و(بقبقيا) في نح ١٢:٢٥.

إن أسماء يوناثان ويوياداع المذكورة هنا (الآية ١١)، وداريوس ويوحانان فى الآيتين (٢٢ و٢٣) تثير بعض التساؤلات التاريخية والتى نوقشت فى الملحق الثالث. وبالاختصار فإن النقطة موضوع الجدل هنا تتركز حول ما إذا كانت القائمة تمضى بنا إلى نهاية الحكم الفارسى، أى حوالى مائة سنة بعد نحميا، فى عهد داريوس الثالث (٣٣٦/٥ - ٣٣١)، أو ما إذا كانت تمضى بنا فقط إلى زمن داريوس الثانى (٤٢٣- ٤٠٤)، وهو الملك الذى خلف ارتحشستا الأول نصير نحميا. إن الأمر يتوقف على التعويل الذى يمكن الاستناد عليه من الترتيب الزمنى لسير الأحداث للمؤرخ اليهودى يوسيفوس وعلى مدي تحققنا من الهوية الشرعية التى هى محل شكوكنا فيما يتصل مثلاً بيوناثان بن يوياداع (الآية ١١) مع يوناثان ابن ألياشيب (الآية ٢٣)، والموازنة بين بعض الأسماء التى ذكرها يوسيفوس مع الأسماء المشابهة لها من مصدر آخر، وهو برديات إلفنتين. ويبدو من مناقشة الملحق الثالث أنه من الأسلم أن ننتهى إلى القول بأن القوائم المذكورة هنا لا تمضى بنا إلى أبعد من زمن داريوس الثانى (أى زمن حياة نحميا، أو بعده بقليل)، وأن رواية يوسيفوس عن يوحانان رئيس الكهنة القاتل وابنه يدّوع تشير ليس إلى القوم المذكورين فى الآية ١١ و٢٢ و٢٣، بل إلى خلفائهم من جيل أو اثنين بعد ذلك. انظر أيضاً التعليق على الآيتين ١٣: ٢٨و٢٩.

أعداد ١٢- ٢١ رؤوس بيوت آباء الكهنة فى الجيل الثانى: كان يوياقيم (الآية ١٢) وابن يشوع، والذى كان رئيس كهنة فى زمن العودة من السبى (وبالنسبة لما يبدو من طول مدة شغل يوياقيم لمنصبه انظر التعليق على الآية ١٠ السابقة)، وكما سبق أن لاحظنا، فى التعليق على الآيات ١-٧، فإن الاهتمام الخاص فى هذه الفقرة يقوم على الدليل الواضح على أن البيوت الكهنوتية كانت حريصة على التمسك بأسمائها التقليدية، وعدم تغييرها مع الرئاسات المتتابعة.

أعداد ٢٢- ٢٦ رؤوس البيوت اللاوية

كانت الحقب المتعاقبة تحسب قبل الملكية بحياة رؤساء الكهنة (قارن عد ٣٥: ٣٨)، والآن أيضاً وبسبب عدم وجود ملك، صارت أسماؤهم علماً على الأزمنة.

عدد ٢٢: كان ألياشيب يشغل منصب رئيس الكهنة عند قدوم نحميا إلى أورشليم (٣:١). وقد ذكر أن يوحانان هو ابنه (الآية ٢٣) [١]؛ وعلى هذا (فإذا كانت كلمة «ابن» تؤخذ بالمعنى الحرفى لها) فإنه يبدو أنه قد خلف أخاه يوياداع فى منصب رئيس الكهنة. وقد نوقش هذا الأمر فى الملحق الرابع. ونحن نعرف من برديات إلفنتين (انظر الملحق الثالث) أن رئيس الكهنة فى سنة ٤١٠ ق.م، فى حكم داريوس الثانى[٢] كان يدعى يوحانان. والاسم والتاريخ يتناسبان تماماً مع فقرتنا هذه.

عدد ٢٣ : سفر أخبار الأيام (سفر الأحداث اليومية): هو سجل يضم أخبار الأحداث، ولا يقصد به السفران المعروفان بهذا الاسم والموجودان ضمن أسفار الكتاب المقدس القانونية، وعن يوناثان انظر الآية ٢٢ وتعليقنا عليها.

العددان ٢٤ و٢٥ : وردت الأسماء المذكورة فى الآية ٢٤ أيضاً فى قائمة اللاويين الذين ختموا ميثاق العهد المذكور فى الأصحاح العاشر، ومعظمها تواتر ذكرها فى الأصحاح الحالى. الآية الثامنة. ومن المؤكد أن هناك خطأ وقع فيه الناسخ فى الآية ٢٤ بين أسماء يشوع وقدميئيل، حيث أن ابن يجب أن تقرأ «بنوى BINNUI» كما فى الآية الثامنة، قارن ٩:١٠.

---

(١) تفترض بعض الترجمات أن يوناثان (١١) و (يوحانان) هما اسمان لشخص واحد، وتترجم (ابن) إلى (حفيد) ولو أن هذا المعنى الموسع محتمل إلا أن استخدامه هنا يحتاج إلى مسألة تاريخية هامة وهى المفسرة فى الملحق رقم ٤ - وترجمة GNB هى الوحيدة التى خطت الخطوة التالية التى لا يمكن تبريرها وهى استبدال اسم يوناثان بدلاً من يوحانان دون أى تعليق.

(٢) عبارة (حتى أيام حكم داريوس) هى تصحيح لما جاء فى المخطوطة الماسورية والترجمات القديمة الأخرى التى جاء فيها المعنى (فى مُلك داريوس) كما فى الترجمات العربية.. ويبدو أن هذا قد يتضمن أن الكهنة كانوا يسجلون على فترات أكثر تحديداً من مدد اللاويين. وهذا أمر بعيد الاحتمال. وأبسط تخمين لذلك هو أنه حدث نتيجة خطأ فى النسخ [(إلى) بدلاً من (فى) كما فى عدد ٢٣] قبل تجميع الترجمة السبعينية. وعن موضوع (داريوس الثانى والثالث) انظر التعليق على عددى ١٠ و١١ اعلاه والملحق رقم (٣).

وفى التنظيم الذى وضعه داود فإن عبارة «نوبة مقابل نوبة» كانت تطبّق على البوابين (١أى ٢٦:١٦). ويبدو هنا أنها تحكم فى المقام الأول المغنين، والذين نراهم واقفين الواحد فى مقابل الآخر، سواء فى بداية هذه الآية (٨) وكذلك فى الآية ٩. ولكن يبدو أن الآية ٢٥ تجعل من الأسماء الثلاثة الأولى يقومون بالعملين، فهم مغنون (انظر التعليق على الآيتين ٨ و٩) وبوابون، إلا إذا حسبنا أن الآية ٢٤ تمضى لغاية اسم عوبديا فى قائمتها للمغنين، وأن الآية ٢٥ تبدأ عند اسم شلاّم [١].

عدد ٢٦ : تضع هذه الآية التأكيد مرة أخرى على استمرارية مسئولية عائلات معينة عن خدمة الهيكل، والتى تستغرق معظم القرن. إن الإشارات المتنوعة المتعلقة بالترتيب الزمنى لسير الأحداث تتقدمها بصفة رئيسية عبارة «فى أيام..» (قارن الآيات ٧ و١٢ و٢٢ و٢٣)، وليس من الميسور دائماً أن نربط بين الواحد والآخر، ولكن الصعوبات تظهر بصفة رئيسية من العدد الوافر من القوائم المستخدمة بواسطة جامع القائمة أو مصنّفها. ولسوف نلاحظ من خلال استعراضنا أن النص العبرى لهذه الآية يقرن نحميا وعزرا برباط أوثق مما تفعله معظم ترجماتنا، والتى يجب عليها حذف كلمة "OF" التى تسبق اسم عزرا. وقد راعت الترجمة العربية هذا الأمر: «وفى أيام نحميا الوالى وعزرا الكاهن الكاتب [٢].

أعداد :٢٧- ٤٣ تدشين السور: عند هذه النقطة، أو فى موضع آخر فى الآية ٣١، نعود مرة أخرى إلى مذكرات نحميا فى ضمير المتكلم. وآخر مرة سمع صوته مباشرة كان فى الآية ٧:٥ حيث قدم قائمة بأسماء القادمين الأوائل إلى الوطن، بعد ذلك يتناول المحرّر سرد الرواية، متحدثاً عن نحميا بضمير الغائب (٩:٨، ١:١٠؛ ٢٦:١٢).

---

(١) تعليقا على (عوبديا) انظر الحاشية الموضوعة عن الأعداد ٨ و٩- أما اسم «مشلام» فقد يكون صيغة مختلفة من اسم (شالوم) الموجود فى قائمة عائلات البوابين فى عزرا ٤٢:٢، مع كل من طلمون ويعقوب وغيرهما.

(٢) وعن قصد النص فى تقديم الرجلين معاً كمعاصرين لبعضهما ومع نحميا كرئيس أعلى منهما مرتبة، انظر (روولف)- كما أن ترجمة GNB تدخل عبارة (فى أيام) وذلك تحت تأثير النظرية التى تقول إن هذين الرجلين لم يكونا معاصرين لبعضهما.

أعداد٢٧ – ٣٠ : الاستعداد لليوم : قد تكون المهرجانات التي يبذل فيها غاية الجهد جوفاء، ولكن حيث تكون المناسبة عظيمة، فإن أمور التخطيط لازمة لها، والإعلان عنها، وتجميع القوم لها.[1]، والتدريب عليها، تصبح من العوامل اللازمة التي تلهب المشاعر، والتي لا يمكن أن تكون بديلاً عن الاستعدادات الدقيقة التي نراها في الآية ٣٠ (حيث لم يُترك أي شئ أو أي شخص بدون تطهير، و التي لا يجب الاستخفاف بها بأي حال من الأحوال. وإذا كان العهد الجديد يؤكّد على الأمور الداخلية والروحية في العبادة، فإن فيه أيضاً موضعاً للوسائل الطبيعية التي تشجعنا وتحمسنا. لقد ذهب ربنا إلى جثسيماني مزوداً ليس فحسب بالصلاة، بل بطعام طقسي وتسبيح جماعي، وهي أمور لا تستغرق الروح فحسب بل الجسد والمشاعر والأحاسيس أيضاً.

أعداد ٣١– ٤٣ المواكب المزدوجة : الابهة تميز هذا الموكب الذي اشتمل المدينة وأسوارها بكل مظاهر الأبهة وامتلأ الموكب بالحمد والتسبيح، وإعادة تكريس هذه الأحجار واستعادتها من أجل الله ومن أجل إسرائيل، وكما قد يبدو، فإن كانت هذه الأحداث وقعت قبل تلك المذكورة في الأصحاح الحادي عشر، فإنها تقدّم لنا تأكيداً على التعبير المذكور هناك «المدينة المقدسة» (١١:١ و١٨). ولكن قد نسئ فهم هذا الأمر إذا نظرنا إليه باعتباره رسم دائرة مقدسة بأسلوب شبه أسطوري، إذ أن الفكرة الأساسية هنا هي الاعتراف بما عمله الرب (انظر التعليق على الآية ٣١). ويصف المزمور ٤٨ الضرب على نحو متكرر على ما يماثل نطاق هذا العمل، ويؤكد على ما يجب أن يحقّقه هذا العمل للمتعبدين، ليس من أجل الأسوار المجهزة للدفاع عن المدينة، بل لكونها تذكير بعناية الله الفائقة بشعبه.

«طوفوا بصهيون ودوروا حولها. عُدّوا أبراجها. ضعوا قلوبكم على متاريسها

---

(١) النقاط المذكورة هنا (من الدائرة حول أورشليم) هي إلى الجنوب (نطوفة) في يهوذا (عزرا ٢٢:٢) وإلى الشرق (إذا كانت بيت الجلجال هي نفسها– الجلجال الواردة في يش ١٩:٤). وإلى الشمال (جبع وعزموت– في بنيامين).

تأملوا قصورها لكى تحدثوا بها جيلاً آخر. لأن الله هذا هو إلهنا إلى الدهر والأبد. هو يهدينا حتى إلى الموت» (مزمور ٤٨: ١٢- ١٤).

ومن الأمور اللافتة للانتباه، تعبير «فرقتين عظيمتين من الحمادين» (٣١) والعبارات المماثلة الآيتين ٣٨ و ٤٠ والتى هى ترجمة لكلمة عبرانية واحدة todot «الحمادين» أو «الاعترافات»- كما لو كانت فِرق الحمد والتسبيح هذه تجسيداً لما ينشدونه. وهكذا تمضى إحدى فرقتى الحمّادين إلى اليمين (٣١) والآخر إلى اليسار (٣٨)، وأخيراً تقف الفرقتان فى بيت الرب (٤٠).

وحيث أننا نجهل نقطة البداية، فإننا لا يمكن أن نكون على يقين بمساراتهم، ولكن الفقرة الأولى تذكّرنا بالرحلة الاستطلاعية الليلية التى قام بها نحميا (٢:١٢- ١٤)، الأمر الذى يجعلنا نقول مثله، بأنهم ابتدأوا من باب الوادى ومضوا (كما يبدو) إلى الجانب الغربى، فى حين أن موكب عزرا (٣٦ ج) مضى فى عكس اتجاه عقارب الساعة على امتداد السور الجنوبى ثم بعد ذلك السور الشرقى[1] (قارن ٣١ج و٣٧ مع الأصحاحات ٢:١٣ و١٤؛ ٣: ١٣- ٢٦) فى اتجاه الهيكل، بينما أن جماعة نحميا (٣٨) مضت فى الطريق الآخر، وعلى امتداد السور الشمالى. إن بعض معالم الحدود فى الآيات ٣٨ و ٣٩ قد ذُكرت فى ٣: ١- ١١، ٢٨- ٣٢، عن روايتها لأعمال الترميم. إن كل بوصة من هذه المتاريس لها ذكرياتها الخاصة بالنسبة لمجموعة ما أو لأخرى.

ومع ذلك فإن نقطة الوصول كانت هى بيت الله (٤٠)، ذلك لأن الأسوار كانت بدرجة مناسبة هى المحيط المطوّق للمواكب الاحتفالية وليست مركزها الرئيسى، ولقد كانت فرق المغنين، وليس الموظفون الرسميون هم الذين يقودون الموكب. وعلى هذا فبينما رأس عزرا الكاتب (٣٦) الموكب الأول، نرى أن موضع نحميا كان بعد فرق

---

(١) على اليمين (٣١) وعلى اليسار (٣٨) وذلك بالنسبة للمواجهة للجانب الغربى من السور من الخارج أو من يقف فوق السور ويتطلع إلى المدينة من حيث يقف.

المغنين (٣٨)[1]، وكانت ذروة الاحتفال تقديم «ذبائح عظيمة» (٤٣) من خلال أفراحهم العظيمة. وبالمغايرة مع عزرا ٣:١٣ لم يسمع على مبعدة من هذا الموكب إلا صوت الفرح.

نحميا ١٢:٤٤- ١٣:٣ بهدوء ونظام

أعداد ٤٤- ٤٧ احتياجات العبادة

أن تتحمس فى مناسبة عظيمة شئ، وأن تقدم ذبيحة الحمد والتسبيح بصفة مستمرة وتسهم بشكل مادى فى توفير الاحتياجات الحقيقية لكل ما تستلزمه الخدمات الدينية للكنيسة شئ آخر. إن تعبير «فى ذلك اليوم» (٤٤) يوضح أنه لم يضع أى وقت فى سبيل شهود هذه المناسبة العظيمة، ولقد كان من الأمور الطبيعية التى تتفق مع ما هو معروف عن نحميا أن يستغل البهجة والحماسة التى طغت على الشعب ليكسب شيئاً عملياً وواقعياً لدعم أمور العبادة- لأن حماسة شعب يهوذا للكهنة (٤٤جـ) أمر لا يمكن الارتكان عليه، كما يتبين لنا من ١٣: ١٠- ١١.

وعلى الرغم من ذلك نجد نفس العبارة «فى ذلك اليوم» فى ١٣:١ والتى من المحتم أن تؤخذ بالمعنى العام (فى ذلك الوقت فى ترجمة JB)، من حيث أن ١٣:٤

---

(١) يبرز «مايرز» التناسق بين الترتيبات حتى يوضحها كما يلى (وهى هنا مختصرة وأدخل عليها بعض التعديلات الطفيفة:

مجموعة بقيادة عزرا إلى اليمين	مجموعة تتقدم إلى اليسار
فريق المنشدين الحمادين	فريق المنشدين الحمادين
هوشعيا	نحميا
نصف رؤساء يهوذا	نصف الولاة (عدد ٤٠)
نبى الكهنة بالأبواق	الكهنة بالأبواق
(سبعة مذكرون بالاسم من عزريا إلى يرميا)	(سبعة بالاسم من ألياقيم إلى حنانيا)
حاملى آلات الغناء(الموسيقيون)	المغنون
(زكريا وثمانية آخرون)	(يزرحيا وثمانية آخرون)

و٦ يشيران إلى أنه قد انقضت عدة سنوات قبل أن يتحقق هذا الأمر. وعلى هذا فإن ترجمة من المحتمل أنها كانت على حق أن تتضمن عبارة «فى ذلك الوقت». إن هاتين الفقرتين ١٢: ٤٤- ٤٧؛ ١٣: ١- ٣، هما من الجانب التاريخى قد حُشرا بطريقة عرضية بين فقرتين من مذكرات نحميا التى يتحدث فيها بضمير المتكلم.

العددان ٤٥ و٤٦ : إن ذكر داود وسليمان يميِّزان طوائف المغنين والبوابين التى تأسست حين أصبحت أورشليم موضعاً مستقراً للعبادة، وذلك من طوائف الكهنة واللاويين الذين يخدمون عند المذبح (٤٥أ). ويقابلنا اسم آساف بصورة رئيسية فى ١ أى ١٥ و١٦ و٢٥ وفى عناوين المزامير ٥٠: ٧٣-٨٣.

العدد ٤٧ : الأنصبة اليومية : وهى ترجمة لنفس التعبير العبرى المُلفت للنظر «أمر كل يوم فيوم» على مثال ما جاء فى ١١: ٢٣ والذى ترجم هناك «حسب حاجة كل يوم». أما الترجمة العربية فلقد التزمت بالتعبير العبرى فى الحالتين: (أمر كل يوم فى يومه ١٢: ٤٧) و(فريضة أمر كل يوم فيوم ١١: ٢٣؛ ومن المحتمل أن هذه إشارة إلى الواجبات التى يتطلب الأمر القيام بها فى هذا اليوم- انظر التعليقات على هذه النقطة)، أما فى الآية ١٢: ٤٧ فإنها تشير إلى متطلبات هذا اليوم واحتياجات الخدمة الدينية للمذبح. أما تفكير المسيحى فهو أن راعيه لا ينعس ولا ينام وهو يذكر جيداً كل احتياجاته على نحو أفضل مما كان عليه رجال يهوذا فى ذلك الوقت. (انظر ثانية ١٣: ١٠).

وبالنسبة لأعشار الأعشار والتى كانت حقاً للكهنة، انظر التعليقات على عز ٢: ٤٠- ٤٢.

الأصحاح الثالث عشر

أعداد ١- ٣ المستبعدون من جماعة إسرائيل : يمكننا أن نقف على هوية هذه الفقرة من (سفر موسى) من حيث أن الآيتين ١ و٢ يلخصان بأمانة ما جاء في التثنية ٢٣:٣-٥. ومن خلال أخذهما بأمانة بأسلوب العهد القديم، فإن الأمر القاضي بالتحريم والحظر وإن كان شديداً فإنه في نفس الوقت كان باتاً وقاطعاً مما يؤدي إلى الصرامة في تطبيقه والالتزام بأحكامه، ولكن القارئ يعرف أنه كانت هناك اعتبارات تتوازن مع هذا الأمر في مواضع أخرى من العهد القديم. إن العموني أو الموآبي المقصودين هنا هما اللذان يجسدان العدو اللدود لإسرائيل: ابن أو «بنت إله غريب» (ملا ٢:١١)، حيث كان العمونيون والموآبيون ينخرون كالسوس في حياة بني إسرائيل بل وفي لغتهم أيضاً (انظر ١٣:٢٣- ٢٥). أما إذا جاء أحدهم كمؤمن على غرار راعوث المؤابية هنا يكون له الحق في أن يُستقبل من الجماعة بشكل مغاير تماماً.

ومرة أخرى نقول إن قراءة الشريعة بشكل علني هي التي أتت بإسرائيل ثانية إلى مسئولياتهم والتزاماتهم كشعب الله (قارن ٨:١-٣ و١٣- ١٥؛ ٩:٣- ٥). ولسنا نعرف على وجه اليقين متى تمت قراءة الشريعة، حيث أن تعبير «في ذلك اليوم» ليس بالضرورة تعبيراً دقيقاً، كما ترينا الآيات ٤- ٦ أن ذلك قد حدث بعد فترة ولاية نحميا الأولى على يهوذا (انظر الفقرة الثانية من التعليقات على ١٢:٤٤-٤٧).

أعداد ٤- ٣١ نحميا يعود ثانية إلى يهوذا

وهنا مرة أخرى، بعد الفترة الفاصلة التي جاءت على لسان المحرر في الآيات ١٢: ٤٤- ١٣:٣، والتي جاءت في ضمير الغائب، يعود نحميا إلى التحدث بضمير المتكلم في فقرة شديدة الوطأة ونابضة بالحيوية أكثر من أية فقرة أخرى في هذا

السفر. وبعد أن أمضى نحميا فترة حكمه الأولى على يهوذا والتى دامت اثنتى عشرة سنة (٤٤٥- ٤٣٣ ق.م.) عاد إلى الإمبراطور الفارسي، وحينئذ وبعد مضى بعض الوقت (الآية ٦) حصل على إذن من الإمبراطور بالعودة إلى أورشليم. وإذا كان نحميا فى ولايته الأولى كالعاصفة، فإنه كان فى ولايته الثانية ناراً متأججة وزلزالاً لمدينة قد أخلدت فى غيبته إلى المهادنة والتساهل مع العالم الأممى الوثنى.

أعداد ٤-٩ مخدع طوبيا: كان لعدو نحميا القديم معجبون وأنصار مؤيدون فى الدوائر العليا ذات النفوذ فى يهوذا (٦:١٧- ١٩). ثم إنه (أي طوبيا) إذ كان يحمل اسماً يهودياً (انظر التعليق على الآية ٢: ١٠)، فقد ارتبط برباط الزواج بأحد بيوت الرؤساء، وهكذا أيضاً فعل ابنه، على النحو الذى رويناه فيما سلف [(١)] (قارن ٦:١٨ مع عز ٢:٥؛ نح ٣: ٣٠)، والآن يبدو أن رئيس الكهنة نفسه كان حلقة الاتصال [(٢)] فى هذه العلاقة الأسرية.

كان طوبيا يتصف بالجرأة. وفى الوقت الذي لم يكن أحد يجد فيه موطئ قدم فى الهيكل، نجده وقد حصل على غرفة فسيحة، قاست السلطات الدينية نفسها بإخلائها له (٧). وليس ثمة شك فى أنه لما يرضى غروره أن يجد أن متعلقاته الشخصية صارت لها الأسبقية على البخور الذى يقدم لله، وكذلك العشور التى يتعيش منها خدامه، بل والأفضل من كل هذا وذاك أنه أصبح فى موقع القيادة والنفوذ فى أورشليم، وهو أنسب موضع لممارسة السلطان وتدبير المؤمرات.

وعلى نحو يختلف تماماً مع السلطة الدينية فى هذا الوقت ،والذين كانوا على علم تام بكل نواحي الموضوع بما فى ذلك الجانب الذى يؤيدونه، نرى نحميا يثور ثورة

---

(١) قارن أيضاً نحميا ٦:١٨ مع عزرا ٢:٥ ونح ٣: ٣٠.

(٢) (مرتبطاً بـ) - أو (قرابة) أي أنهما يعملان معاً يداً بيد، وهى فى نفس الوقت تعنى (علاقة عائلية) وقد تساءل البعض عما إذا كان ألياشيب هو رئيس الكهنة. حيث كان (المقام على مخدع البيت) هى وظيفة أدنى قليلاً- لكن أصحاب المناصب العليا يميلون دائماً إلى الحصول على كثير من السلطات المماثلة، والنقطة هنا هى إساءة استغلال هذه السلطات. والعدد (٣٨) يظهر أن عائلة رئيس الكهنة كانت فى نفس مأزق هذه الأسرة.

عارمة، كانت فى شدتها مماثلة لما سوف يفعله سيده عندما أقدم على تطهير الهيكل. وعلى امتداد هذا الأصحاح يقف نحميا موقفاً يختلف فيه عن معاصريه برفضه السماح للحظة واحدة أن يجعل القداسة موضوعاً للتفاوض أو أن العُرف وحده هو الذى فى مقدوره أن يقدّس أى شئ. وللوقوف على الترتيب الزمنى لهذه الحادثة راجع الآية ٦ مع ١٤:٥ والتعليقات الافتتاحية عن الآيات ٤:١٣- ٣١ فيما أسلفناه.

أعداد ١٠ – ١٤ إهمال وتسيب: كان موقف التذمر والاستياء بالنسبة للعشور والتقدمات من سمات تلك العصور. لقد أدت المعتقدات الخرافية والتى سادت على المجتمع اليهودى قبل السبى، إلى جعل الشعب يعطى بغير حساب وبإسراف العطايا والتقدمات الدينية (قارن عاموس ٤:٤ و٥؛ ٢٢:٥)، أما الآن وقد رجعوا من عباداتهم الوثنية إلى عبادة الإله الحقيقي، فإن الأمر أصبح على العكس من ذلك تماماً، إذ نرى محاولاتهم الإقلال بقدر الإمكان من تقديم العطايا- لأنه لم يعد هناك حاجة إلى رشوة الله (وفى تعبير ملاخى) أن يسلبوا الله بالتراخى فى أداء المطلوب منهم لله. إن نحميا يواجه الآن بتخلى اللاويين عن القيام بمهامهم، وكان نافذ البصيرة، حين وضع أصبعه على مكمن الداء ووضع اللوم على الذين يستحقونه: إنه لم يتوجه باللوم إلى الذين هجروا مواقعهم للسعى وراء لقمة العيش (الآية ١٠)، وإنما توجّه باللوم إلى الولاة (الآية ١١). لقد اتخذت خطوات طيبة فيما يختص بضرورة أن يكون الوكلاء صالحين للقيام بواجبهم على الوجه الأكمل بحسب العهد الوثيق الذى قطعوه على أنفسهم وختمه الرؤساء واللاويون والكهنة (١٠:٣٨)، والذى وعدوا فيه بأن لا يهملوا بيت الله (١٠:٣٩)، ولكن الآن فإن هذه الكلمات الناعمة لا تغنى ولا تسمن من جوع. ولم يكن من الممكن أن تحقّق اعتراضات واحتجاجات نحميا الشئ الكثير، لو أنه لم يتبعها بالتنظيم الجيد المذكور فى الآية (١١ب) والعناصر الأمينة التى عينها للإشراف على تنفيذ ما عهد إليهم القيام به من مهام على النحو الذى جاء فى الآية ١٣.

عدد ١٤ : يخيل إليك وأنت تقرأ هذه الآية الاعتراضية أنك تسترق السمع (انظر مثيلاتها فى الآية ١٩:٥ والآيات ٢٢ و٢٩ و٣١ فى الأصحاح الحالى). والمذكرات هنا تصبح انسكاباً شخصياً ونحن فى موقف المتطفلين. ولكن حياة نحميا الخاصة لا

يمكن الفصل بينها وبين حياته العامة: فقد كان مخلصاً صريحاً، وتقياً للغاية. وإذا ما نحن حاولنا أن نثير الاعتراضات التافهة على قوله «اذكرنى يا إلهى من أجل هذا»، فإنه فى إمكانه القول بأننا قد انحرفنا كثيراً فى نقدنا وفى الكتاب المقدس ما يؤيده. فقوله هذا كان نابعاً من المحبة، لا من محبته لذاته، وهو ما أثبتته غيرته المتقدة لله. والتطلع إلى سماع الله وهو يقول «حسناً فعلت» يُعد من أنبل الطموحات وأكثرها نقاء. وفوق ذلك فإن قوله هذا نابع من تواضعه، وليس من الاعتداد بالنفس، من حيث أنه يُعد مناشدة لطلب العون والمساعدة من الله. وفى ذكر الله لنا ضمان دائم على تدخله فى صالحنا، وليس مجرد تذكّر وتقدير لفضلنا. إن نحميا إنما يضع نفسه وقضيته (قارن الآية ٢٩) بين الأيدى الوحيدة الأمينة. ويُمكن لنا أن نترجم «أعمالى الحسنة» «أعمال محبتى الصادقة» وهى ما تعنيه الكلمة العبرية hesed والتى يحدد بروكنجتون Brockington معناها على نحو رائع بقوله: هذه الصفة التى تتقبل أى التزام فى إجلال واحترام وأيا كان هذا الالتزام. إن الله فى الآية ٢٢ هو ذاته الذى يُظهر لنا هذه الصفة بمحبته الثابتة وكثرة رحمته.

أعداد ١٥- ٢٢ الخطر الذى يتهدد حفظ السبت:

كان هناك قبل السبى إحساس بضيق الإسرائيليين من شريعة السبت. ولقد كان فى مقدور عاموس فى القرن الثامن قبل الميلاد أن يرى التجار وهم فى غيظ وحنق من توقف أعمالهم فى عطلة الأسبوع (عاموس ٨:٥)، ومن المؤكد أنهم فى زمن نحميا قد أهملوا هذه الشريعة التى تحرّم البيع والشراء فى يوم السبت، ذلك أن البضائع كانت تتدفق داخلة إلى المدينة وخارجة منها فى يوم السبت. ولقد حذّر إرميا من مغبّة هذا العمل (إرميا ١٧: ١٩- ٢٧)، ومن الواضح أن هذا الأمر كان فى ذهن نحميا عندما رأى فى تلك الأيام الأحمال الممنوع حملها [1] فى مثل هذا اليوم الذى قدّسه الرب (نح ١٣:١٥؛ إرميا ١٧:٢١ إلخ). وذكرّهم بالتاريخ بقوله: ألم يفعل آباؤكم هذا فجلب إلهنا علينا كل هذا الشر وعلى هذه المدينة وأنتم تزيدون

---

(١) لقد أغفل الذين أدانوا المريض الذى شفاه يسوع يوم السبت عندما حمل سريره ومشى (يوحنا ٥: ١٠) أغفلوا النقطة التى حرّمها إرميا- كما أنهم أغفلوا أيضاً وصية يسوع.

غضباً على إسرائيل إذ تدنسون السبت: (الآية ١٨). إن مناظر النشاط الصاخب فى الآيتين ١٥ و١٦ يُرينا السرعة التى بها تحولت هذه القطيرات التى سالت فى أول الأمر رقيقة هزيلة والذى حتماً قد بدأت فى غيبة نحميا (قارن الآية ٦) إلى أن أصبحت طوفاناً، وهو الأمر الذى نعهده فى مثل هذه الحالات.

أعداد ١٩ - ٢٢ : والآن وللمرة الثانية يدعم نحميا احتجاجه باجراءات حاسمة، اتسمت باليقظة وبالاستعداد لتنفيذ كل الأوامر بالقوة . ومن ذلك الوقت لم يعد بمقدور أحد حتى لو كان من الباعة الجائلين أن يتسلل إلى المدينة. كما أن نحميا بحكمته أناط هذه المهمة بأناس يركن إليهم، حيث تأكد أنهم سيتقبلونها كمهمة مقدسة، ولذلك كان عليهم أن «يتطهروا ويأتوا ويحرسوا الأبواب»- «بهذا أيضاً اذكرنى» (٢٢): انظر التعليق على الآية ١٤.

١٣ : ٢٣ - ٢٧ الخطر الذى يتهدد التضامن: يقول هوشع «أفرايم يختلط بالشعوب.. أكل الغرباء ثروته وهو لا يعرف» (هو ٧:٨ و٩). هناك الشئ الكثير الذى قيل فى العهد القديم عن الخيانات المباشرة والملازمة للزيجات المختلطة؛ ولكن نحميا قد أذهله مظهر آخر، نادراً ما أشير إليه فى الناموس أو الأنبياء (باستثناء كلمات «زرع الله» مل ٢:١٥) أى فساد الجيل التالى. إن تحدث الأطفال بلغة غير مفهومة وعدم اجادتهم الكلام بلسان الشعب اليهودى (الآية ٢٤)، لم يكن مجرد ظاهرة عادية وإنما كان يمثل تهديداً خطيراً، إنه يمثل تآكلاً منظماً للهوية الإسرائيلية على كل مستويات التفكير والتعبير، وخسارة على طريق فهم كلمة الله واستيعابها، وهو الأمر الذى من المحتم أن يؤدى إلى انتشار الوثنية فيما بينهم. إن تهاون جيل واحد قد يؤدى إلى نقض عمل قرون بأكملها.

كان انفجار ثورة نحميا مماثلاً للانفجار الداخلى أو الضمنى لعزرا. وكلا الموقفين كانا على درجة فائقة من التأثير، وكلاهما نجد له مثيلاً إلى حد ما فى مواجهات الرب للشرور. لقد تعامل نحميا مع هذا الموقف الخطير بعنف وبنفس الأسلوب الذى يعامل به المتاجرون فى العملة، أما مظاهر الأسى التى تبدت على عزرا (عز ٣:٩-٥؛ ١٠:١-٣)، فقد كانت مثيرة للأحاسيس والمشاعر، على نفس النحو الذى رثيت به أورشليم.

وثمة استنتاجات كثيرة نجمت من حقيقة أن نحميا لم يأخذ إجراءات الطلاق التى وضعها عزرا، واكتفى باتخاذ خطوات تكفل الحد من استشراء هذه الظاهرة الخطيرة، أو تفجر الموقف. وهذا هو ما سوف نناقشه فى الملحق الرابع، حيث أننى استندت فى مناقشاتى إلى أن السبب يرجع إلى أن نحميا فضّل الأخذ بالعمل المباشر والشخصى، والذى تقوّى من ملاحظته للآثار التى ترتبت عن تفكك الروابط الأسرية وانفصام عراها فى ظل النظام القديم (عز ١٠: ١٨- ٤٤)، وليس فى هذا أى تضاد مع ما أورده الراوى عن التتابع الحقيقى للأحداث.

إن الإجراءات التى قام بها نحميا والمذكورة فى الآية ٢٥، لم تكن ردود فعل عمياء صادرة عن رجل غاضب. إن استخدامه عبارة (خاصمتهم) تفيد استخدام نفس الفعل «خاصمت» فى الآيتين ١١ و١٧، وهى تحمل مناقشة الفرد لقضيته فى مواجهة خصمه (وثمة مناقشات من التاريخ ومن حالة أقوى فى دلالتها استخدمت فى الآية ٢٦). أما بقية الهجوم الضارى الذى شنه نحميا فلقد استخدمت فيه فعالية العقوبات الإلهية. (اللعنة، والوعد المرتبط بقسم)، والضرب كعقاب بدنى، وإشعارهم بالخزى والعار (قارن ٢صم ١٠:٥؛ إش ٦:٥٠ بعبارة نتف شعورهم)، ومناشدتهم الولاء وترك الخيانة ضد إلههم (الآية ٢٧). لقد كان هجوماً عنيفاً، ولكنه كان ضرورة حتمية للحفاظ على تماسك المجتمع.

العددان ٢٨ و ٢٩ خطر يتهدد الكهنوت: لقد تجلت لنا بوضوح فى الجزء المتقدم من الأصحاح (الآيات ٤- ٦) الصلة الأسرية والصداقة الوثيقة القائمة ما بين رئيس الكهنة ألياشيب وطوبيا الذى اشتهر بالسمة الرديئة.

ولقد كان سنبلط فى المقام الأعلى فى دائرة الذين يضمرون الشر لنحميا، والآن مع ابنته التى أصبحت من أفراد بيت رئيس الكهنة [1]، فقد وصل من خلال رابطة المصاهرة هذه إلى أن يكون على درجة أبعد من كونه مجرد حليف. لقد أصبح بهذا

(١) النص العبرى للعدد (٢٨) غامض فى موضوع رئيس الكهنة- هل هو يشير إلى (يهوياداع) أم إلى (ألياشيب). لكن لابد أن يكون يهوياداع قد خلف والده فى ذلك الوقت.

الموقف يمثل طعنة إلى عمق القلب. وليس هناك من شئ يعد أكثر تدنيساً لرئيس الكهنة من مثل هذه الزيجة. وسواء أكانت ابنة سنبلط فاقدة الأهلية الشرعية بحسب اللاويين ٢١:٧ أم لم تكن، فإن وطأة القدم التى اكتسبها والدها عن طريقها بدخولها فى أسرة رئيس الكهنة قد جعلت من زواج يوياداع ابن ألياشيب عظيم الكهنة بابنة سنبلط أمراً يستحيل الدفاع عنه أو السكوت عليه. ولكن نحميا ما لبث أن طرد (ويا لها من كلمة مجيدة) زوجها يوياداع من مسرح الأحداث. ولقد كانت إزاحة نحميا لسنبلط وابنته أثره الكبير فى تخليص الكهنوت وعهد الكهنوت واللاويين من كل دنس، فكان تدخله الحاسم فى هذا الأمر يمثل قمة المسئولية التى تدفع الخطر الذى تهدد الكهنوت [١].

العددان ٣٠ و ٣١ الخاتمة : من الأمور التى تعكس مقدار تقديرنا لمعيار القيم التى يمثلها نحميا بينما نحن نذكر له بناء أسوار المدينة أورشليم (ويضيف سفر حكمة سليمان ٤٩:١٣ إعادة بناء البيوت) إلا أنه يختتم مذكراته بثلاثة من إنجازاته الأقل إلى حد ما من حيث إثارتها العجب والإعجاب. إن هذا الأصحاح الحالى يضرب مثلاً باثنين منهما (والذين استفاضت الأصحاحات ١٠ - ١٢ فى الحديث عنهما)، كما أن موضوعات الآية ٣١ تلتفت بأفكارها إلى شئ ماضٍ ذكر فى ١٠ :٣٤- ٣٥. إن هذا الرجل القادم من البلاط الفارسى لم يحمل معه أية قيم دنيوية.

لقد طهّرت .. لقد أقمت.. ولأجل .. وهى كلمات .. قصيرة للذكرى تقل فى

---

(١) يتحدث يوسيفوس (فى كتابه) عن سنبلط السامرى، وهو مسئول فى حكومة داريوس الثالث (بعد أيام نحميا المتفق عليها بمائة سنة) الذى زوّج ابنته المدعوة (سيكاسو) إلى (منسى) شقيق (يادوع) رئيس الكهنة. وقد انتقم منسى (كما يقول يوسيفوس) من طرده، بأن بنى هيكلاً منافساً على جبل جرزيم مؤسساً بذلك طائفة السامريين.. ومن المتفق عليه حالياً على وجه العموم أن يوسيفوس يحتفظ لنفسه بصورة مشوهة لقصة نحميا. وقد نجم ارتباكه جزئياً من حقيقة أن اثنين أو ثلاثة من حكام السامرة حملوا اسم سنبلط خلال الفترة من أيام نحميا إلى أيام داريوس الثالث (كما يستدل عليه من بردية السامرة المستخرجة من وادى داليه) وأن هناك أكثر من واحد باسم (ياروع) فى عائلة رئيس الكهنة- انظر التعليق على ١٢ :١٠ و١١. وكذلك الملحق (٣).

روعتها من افتخار قيصر بمنجزاته: «أنا قدمت.. أنا رأيت.. أنا فتحت بلاداً». ولكن كان عمل نحميا هو بناء شعبه. إن غيرته الإصلاحية، التى صاحبتها تعاليم عزرا التربوية الدقيقة، أفاضت على إسرائيل ما بعد السبى إيماناً قوياً ناشطاً. ولا شك أن هذه الذكرى العطرة هى أفضل ما يمكن أن ينسب له. ولاشك أن هذا العمل- مع فوائد هذا السفر للكنيسة المسيحية- يكونان الجزء الأكبر من استجابة السماء لصلاته المتكررة (التى نراها أيضاً فى عدد ١٤): اذكرنى يا إلهى للخير.

مـــلاحـــق

١- التسمية، المصادر، اللغة، الكاتب لسفرى عزرا ونحميا

أ- التسمية المستخدمة المألوفة:

يعامل سفرا عزرا ونحميا - فى الأصل العبرى- لبعض الأسباب على أنهما سفر واحد مع وجود فصل قصير فى نهاية سفر نحميا فى الماسورية.

وهناك من الدلائل ما يشير إلى أنه فى بكور اليهودية قد أطلق عليهما معاً اسم عزرا. وهذا هو نفس الموقف فى الترجمة السبعينية والترجمة اللاتينية العامة «الفولجاتا». ولكن المسألة تعقدت بظهور سفرين من الأبوكريفا بذات الاسم (مع تغييرات فى الأسماء المستعملة فى الترجمات والطبعات المختلفة). والجدول التالى والذى ندين به إلى حد بعيد إلى مايرز، يمكن أن تكون له فائدته كمرجع عن هذا الأمر، ولكنه لا يغطى كل التباديل.

الترجمة الإنجليزية	الترجمة السبعينية	ترجمة الفولجاتا
عزرا	اسدراس ب (أو ب ١-١٠)	اسدراس ١
نحميا	اسدراس جـ (أو ب ١١- ٢٣)	اسدراس ٢
١- اسدراس (أبوكريفا)	اسدراس أ	١- اسدراس ٣
٢- اسدراس (أبوكريفا)		٢- اسدراس ٤

وبالنسبة للسفرين فى الأبوكريفا، هناك جزء من اسدراس الأول يضم ما يتماثل مع ما جاء فى ٢أى ١:٣٥ إلى عزرا ١. بالإضافة إلى نحميا ٨:١- ١٣أ، وفى مرحلة متقدمة، يضم قصة محادثة جدلية (كما سنشرح فيما بعد). وهذا الجزء مكتوب باليونانية. أما اسدراس الثانى فهو أيضاً سفر منحول يرجع بتاريخه إلى أواخر القرن الأول الميلادى، وقد اندثر أصله العبرى أو الأرامى وكذلك اندثرت ترجمته اليونانية، استثناء آيات قليلة منها. أما الترجمة اللاتينية وغيرها من الترجمات فيظهر أنها ترجمات ثانوية مستقاة من الترجمة اليونانية.

ب- المصادر :

هناك من الدلائل ما يُبرهن على الدقة التامة فى الكتابة التاريخية لهذين السفرين القانونيين، من حيث أن مادتهما بالكامل مأخوذة من مصادر أساسية. (سنناقش الآراء المضادة فى الملحق الخاص بتاريخية عزرا - نحميا).

١- مذكرات عزرا:

(عز ٢٧:٧- ٨: ٣٤ والأصحاح ٩ بأكلمه). وهذه رواية فى ضمير المتكلم عن إرسالية عزرا إلى أورشليم وموقفه بازاء الانحلال والتراخى الذى وجده هناك.

٢- مذكرات نحميا :

(نح ١ و٢؛ ٤:١- ٧:٥، ١٢ : (٢٧ أو) ٣١- ٤٣؛ ١٣:٤ إلى نهاية السفر). إن هذه الرواية التى تكلّم فيها نحميا بمنتهى الصراحة تحتل أكثر من نصف السفر.

٣- القوائم اليهودية:

من الواضح أن بعض هذه القوائم قد نسخت من سجلات الهيكل، والبعض الآخر من الإدارة المدنية. ويمكن أن نرى مدى أهمية هذه القوائم من عزرا ٢:٥٩ و٦٢. وهذه تضم قوائم جرد السلع والموجودات (عز ١:٩- ١١، ٨:٢٤- ٣٤، مع ملاحظة الآية ٣٤)؛ وقائمة الأنساب (عز ٢= نح ٧:٦-٨؛ نح ١٢: ١-٢٦)، وقائمة البنائين ومهامهم وواجباتهم المحدّدة لهم (نحميا ٣)، وسجل البيوتات وتصنيف للعاملين فى

خدمة الهيكل المقيمين فى أورشليم (نح ١١: ١- ٢٤)، وقائمة بالمدن الرئيسية والقرى والضياع التى خصصت لسبطى يهوذا وبنيامين (نح ١١:٢٥- ٣٦). وهناك بيانات عن الذبائح (عز ٨:٣٥ و٣٦؛ قارن ٧:١٧ و٢٢)؛ وهناك أيضاً قائمة أسماء من محكمة الطلاق التى عقدها عزرا (عز ١٠: ١٦- ٤٤)؛ ونسخة من «ميثاق العهد» الذى ختمه الرؤساء والكهنة واللاويون والذى نجده فى نحميا ١٠، مع قائمة الموقعين عليه.

٤- المراسيم والمراسلات الإمبراطورية :

كانت الإدارات الحكومية القديمة شديدة الحرص فى الحفاظ على سجلات القرارات والمراسلات شأنها فى ذلك شأن الإدارات الحكومية فى العصور الحديثة، وهناك برهان مباشر نجده فى (نحميا ١١: ٢٤)، كما تتضمن دليلاً غير مباشر على استخدام الفرس مستشارين من السكان الوطنيين لصياغة التنظيمات المحلية. ومن الواضح أن كاتبنا كانت له حرية الوصول إلى السجلات (لاحظ الكلمات «صورة الرسالة...» فى عز ٥:٦؛ ٧:١١)، كما كان يسمح لهم بالحديث عن أنفسهم، ويقدّمون لنا ليس فحسب، وعلى سبيل المثال، نداء كورش والمطلوب إذاعته فى جميع أنحاء الإمبراطورية الفارسية ليكون معلوماً بصفة عامة لجميع الرعايا (عز ١:٢- ٤)، ولكن أيضاً المذكرات التى تزوّدنا بالتفصيلات الإدارية والحكومية (عز ٦:١-٥). وتحتل المراسلات المتبادلة بين الولاة المحليين والملك الفارسى عزرا ٤:٧- ٢٢؛ ٥:٦- ٦:١٢، وكذلك خطاب تعيين عزرا الصادر إليه من أرتحشستا نجده مسجلاً فى عزرا ٧:١٢- ٢٦. وكانت الأرامية هى لغة المراسلات الرسمية فى ذلك العهد، وهو ما يصل بنا إلى القسم التالى.

جـ - اللغات المستخدمة :

إن هذين السفرين القانونيين قد كتبا باللغة العبرانية، إلا أن عز ٤:٨- ٦:١٨ وعزرا ٧:١٢- ٢٦ مكتوبة باللغة الأرامية. وهناك سبب واضح لمعظم هذا الأمر. ذلك أن مادتها تتكون بصفة رئيسية من صور من المراسلات الرسمية، والتى كانت

الأرامية هى اللغة المعترف بها. ويشير بروكنجتون إلى أن ٥٢ آية من ٦٧ قد جاءت على هذا النحو، ولم تترك سوى ١٥ آية بمثابة فقرات تربط فيما بينها. وبالنسبة للحفاظ على اللغة الأرامية فى هذه الروايات التى تعد بمثابة حلقات اتصال، فهناك ثلاثة اقتراحات جديرة بالتصديق إلى حد ما: (أ) إن المادة الأرامية مستخلصة من تاريخ هذه الحقبة، والمدّونة بهذه اللغة؛ (ب) إنها تتكون بحسب مقولة ل. أ. براون (L.E. Browne) من مذكرات أعدّت للدفاع فى مرحلة زمنية متأخرة.. عندما كان اليهود يسعون إلى الحصول على حظوة فى البلاط الفارسى، وللتدليل على أن ولاءهم كان على الدوام أمراً معترفاً به. (جـ) نظراً لأن الكاتب وقراءه كانوا على معرفة باللغتين (وإلاَّ فإن الأمر كان يقتضى الترجمة بديلاً من استخدام اللغة الأرامية وتضمينها فى النص)، أما الفقرات القصيرة الرابطة فقد كُتبت بالأرامية لتجنُّب العديد من التحولات من لغة إلى لغة أخرى.

وعلى الرغم من الدهشة التى قد تعترينا عن السبب فيما يتصل بالحالة التى عليها الآيات الأربعة الأخيرة من الأصحاح السادس من عزرا والتى انتقل فيها كاتبنا إلى اللغة العبرية بديلاً عن الأرامية (يحتل الأصحاح السابع قطاعاً جديداً من السفر)، وبرغم ذلك فإنه يبدو أن الاقتراح الثالث هو الأقوى، من حيث أنه لا يقضى بافتراض وجود وثائق تدعم ما ذهب إليه.

د- الكاتب الحقيقى للسفرين :

لقد كان من المسلّم به لفترة طويلة أن أسفار أخبار الأيام، وعزرا ونحميا كتبت بيد كاتب واحد، ومن باب التسهيل أطلق عليه المؤرخ الاخبارى. إن سفر عزرا لم يبدأ فحسب من حيث ينتهى سفر أخبار الأيام الثانى بل ويكرِّر الفقرة الأخيرة منه، ولكن الأسلوب ووجهة النظر لهذين السفرين يبدوان من النظرة الأولى أنهما متطابقان، باستثناء الفقرات التى نجد فيها بصمات واضحة لنحميا. ويبدو أن هـــذا الموضـوع قـد حسمتـه قوائم الكلمات والتراكيب اللغوية التى أعدها س. ر. درايفر S.R. Driver وهى الصفة المميزة لهذا النوع من الأدب، والمتضمنة فى كتابه:

«المدخل إلى دراسة أدب العهد القديم». ومهما يكن الأمر، فهناك نظرة أوثق اتصالاً بهذه المسألة، نجدها فى مقالة سارة يافت Sara Japhet: عن القول بأن سفرى الأخبار، عزرا- نحميا كتبت على يد كاتب واحد، وكذلك تناول هـ. ج. وليامسون نفس الموضوع منذ فقرة قريبة فى كتابه: «إسرائيل فى سفرى الأخبار» والذى صدر عام ١٩٧٧، والذى يؤدى بنا إلى القول بأنه فى حين أن هذه الأسفار تتشارك فى سمات أسلوبها مع حقبة ما بعد السبي، بالمقابلة مع الأعمال الروائية لحقبات أخرى، إلا أنها تختلف على نحو بيّن فيما بينها (أى أن هناك اختلافات بارزة فيما بين سفرى الأخبار وسفرى عزرا ونحميا) فى مسائل عديدة تتصل باللغة والاهتمامات. ثم إن قائمة درايفر الهائلة للكلمات، والإضافات التى ألحقها بها كورتيس Cortis ومادسين Madsen قد أعدّت لبيان المغايرة بين هذا الأدب الكتابى والأسفار الأولى من العهد القديم، وهى تتضمن عدداً كثيراً من الأمثلة (وجد منها وليامسون ٤٧ مقالاً) لكلمات وجدت فى سفر أو أكثر بمعنى خاص (أى فى سفرى الأخبار أو فى عزرا- نحميا)، ولكنها غير موجودة فى الاثنين معاً، والتى هى لهذا السبب لا علاقه لها مع هذه المسألة الخاصة التى نعرض لها بالبحث. وتظهر من بين البقية العديد من الاختلافات، «والتى تناصر القول باختلاف كتبة هذه الأسفار أكثر من تأييدها لوحدة كاتبها. ولو أننا قمنا بوضع هذه الأسفار تحت مجهر البحث، فإن المغايرة بين أخبار الأيام وعزرا- نحميا فى عادات الحديث تبرز بدرجة من الوضوح، وتُظهر التنوّع فيما يختص بالأفضليات، وعلى سبيل المثال استخدم الصيغ الأقصر أو الأطول لبعض الكلمات [١] أو لظروف الحال الأثيرة لديهم، أو المترادفات للمصطلحات الطقسية والشعائر الدينية أو الصيغ الاستهلاكية. وليست بصمات الأصابع اللغوية هذه فحسب ولكن هناك اعتبارات عديدة تشير إلى أن الكاتب المصنف لأخبار الأيام كان

(١) مثلاً- من ضمن الأمثلة الكثيرة لـ (يافت) هناك الصور المطولة من الأسماء الأولى التى تنتهى بـ (أ) ترد ٥٠ مرة فى عزرا ونحميا ولا ترد مطلقاً فى أسفار أخبار الأيام، وأيضاً بينما توجد فى سفرى أخبار الأيام صور عديدة من الأسماء التى تظهر اسم الله والتى تنتهى بـ (ياهو) أو (يو) أو (ياه) نجد أن هذه الأسماء تكتب دائماً فى عزرا - نحميا بحيث تنتهى بـ (ياه).

شخصاً قائماً بذاته. وعلى سبيل المثال فإن وليامسون يشير إلى أن موضوع الزيجات المختلطة والتى كانت مثاراً للغيظ والحنق فى عزرا- نحميا لا وجود لها فى أخبار الأيام، بل إنها صمتت تماماً عن مثال سليمان وأثره المدمر فى هذا المجال، وهو الأمر الذى لفت نحميا الانتباه إليه (نح ١٣: ٢٦). ومرة أخرى، فإنه بينما نجد أن ٢ مل ١٧: ٢٤- ٢٦؛ وعز ٤:٢ و ١٠ تحدثنا عن الأثر المدمر للغرباء الذين أتى بهم ملوك أشور ووطنّوهم فى إسرائيل، لا نجد لمثل هذا الموضوع مكاناً فى أخبار الأيام، وذلك على الرغم من أن هذا الأمر كان ثقيل الوطأة على اليهود العائدين من السبى.

وهناك أمر آخر هو ذلك الترتيب العجيب لهذه الأسفار فى النسخة العبرية من الكتاب المقدس، من حيث أن أخبار الأيام يأتى تالياً فى الترتيب لعزرا- نحميا، ليكون بذلك آخر أسفار العهد القديم. إن التفسير المقنع الوحيد لهذا الأمر، هو أن سفر أخبار الأيام كُتب فى وقت متأخر، حيث أنه ليس هناك أى دليل (كما اقترح بعض الكتّاب) على أنه كان فى أول أمره مستبعداً من الأسفار القانونية، ثم أضيف إليها فى فترة تالية [1]. أما كون أن الفقرة الأخيرة من أخبار الأيام توجّه أنظار القارئ بطريقة أكيدة إلى سفر عزرا، فإن عاقبة هذا القول يمكن مناقشته بطريقة أخرى، ذلك أنه بينما أن هذه الفقرة تقيم رباطاً وثيقاً بين سفرى الأخبار وعزرا، فإنه من الأمور الصحيحة أيضاً، وبحسب ملاحظة ويلسن Welch: «إن الناس لا يأخذون على عاتقهم مشقة جمع وثيقتين معاً ما لم تكونا فى الأصل منفصلتين».

وعلى ضوء ما سبق، يمكننا الاستدلال على أن جامع عزرا- نحميا، ليس هو نفسه جامع أخبار الأيام. وأكثر من ذلك فإن فى الإمكان ملاحظة ما جاء فى تقليد التلمود -ولو أن ذلك أمر لم يقطع به- أن عزرا هو الكاتب (بابا باثرا Bab Bathra ١٥ أ). ومن الممكن أن يكون هذا هو صحيحاً، إذا ما كانت المناقشة التى تضمنتها الفقرات

---

(١) السبب المقترح لهذا الاستبعاد المفترض هو أنها تكررت فى أسفار أخرى، لكن كما أبرز وليمسون- أن مثل هذا الاعتراض لم يمنع من إدراج مواد إضافية أكثر تشابهاً (مثل إش ٣٦ وما بعده مع ملوك الثانى ١٨:١٣ وما بعده).

التالية عن التاريخ المحتمل لهذا العمل صحيحة، حيث أنه قد أشير فى أغلب الأحوال إلى أن مذكرات عزرا الشخصية، على خلاف مذكرات نحميا، فيها إلى حد كبير الطابع والأسلوب المعبّر عن المادة الافتتاحية. ولكننا فى حاجة إلى أن نتذكر أن الكلمة الأخيرة فى هذا الموضوع يجب أن تكون فى إطار حقيقة أن كاتب السفر قد رأى أنه من الأنسب أن يترك سفره غفلاً من ذكر اسم كاتبه.

وبالنسبة لتاريخ كتابة السفر، فإن الآراء عنه غير نهائية، ومن السهل أن نتكلم عن التاريخ المبكّر والذى انتهت فيه كتابة عزرا - نحميا دون أن نؤكد شيئاً أبعد من ذلك.

إن تقديرنا لمثل هذا التاريخ المبكّر لا بد وأن يتأثر بالطبع، بإجابتنا على السؤال الذى يدور حول ما إذا كان عزرا قد عاش فى زمن حكم الملك ارتحشستا الأول أو زمن حكم الملك أرتحشستا الثانى، والذى سنناقشه فى الصفحات التالية. وإذا ما استقر رأينا على الأخذ بزمن حكم ارتحشستا الثانى، فإن هذا يجعلنا نعود إلى حد ما إلى القرن الرابع قبل الميلاد، مما يسمح بانقضاء فترة من الزمن تجعل مذكرات عزرا تخبو لدرجة لا يكون فيها عزرا معاصراً لنحميا. ولكن يمضى هذا الخطأ الجذرى بدون أن يثير انتباهنا، فإننا نكون فى حاجة ماسة إلى أن نتأخر بتاريخ كتابته إلى أبعد من ذلك، أى إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

ومع ذلك فإنه سيواجهنا السؤال: لماذا تتوقف قائمة الأسماء المذكورة فى نحميا عند مرحلة أقصر من مثل هذه الحقبة من الزمن.

ومن ناحية أخرى فإننا لو استقر رأينا أنه ليس هناك اختلاط فى الترتيب الزمنى لسير الأحداث، سواء فى عزرا ٤ (انظر التعليقات الافتتاحية عن ذلك الأصحاح) أو فى تصوير عزرا ونحميا على أنهما معاصران لبعضهما، فإننا لا نكون إذاً فى حاجة إلى افتراض وجود أية فترة فاصلة بين الأحداث وزمن تدوينها. وعن وجهة النظر هذه والتى أخذت بها، تكون هذه الأسفار قد كتبت فى أى وقت من الأيام الأخيرة من عهد الملك داريوس الثانى (٤٢٣- ٤٠٤ ق.م.) فصاعداً.

وهناك اسم محورى بالنسبة لهذه المسألة وهواسم يدوع Jaddua فى نحميا ١٢، من حيث أن يوسيفوس المورخ اليهودى يخبرنا عن اسم رئيس كهنة يحمل هذا الاسم والذى شهد سقوط الإمبراطورية الفارسية فى يد الإسكندر الأكبر سنة ٣٣١ ق.م. ولكننى من جانبى أقدم أسباباً من موضع آخر لعدم الربط بين يدوع فى تلك القصة وبين يدوع بن يوناثان المذكور فى نحميا ١٢: ١١ و٢٢، والذى هو فى الواقع خليفة يوناثان وليس ابنه (انظر التعليق على نحميا ١٢: ١١). وإذا ما تغاضينا عما ذكره يوسيفوس فى هذا الصدد، نتبيّن أن يدوع برز حوالى نهاية القرن الخامس وبداية القرن الرابع ق.م.، وتبعاً لذلك يكون سفر عزرا، نحميا قد كُتب (أو أن قوائمه تم تحديثها) فى أى وقت بعد شغله لمنصبه.

٢- شخصية شيشبصر

ذكر شيشبصر بالاسم في فقرتين فقط. فى عزرا ١: ٨- ١١ يعهد إليه الملك كورش بالآنية وبمهمة إعادة بناء الهيكل. وفى عز ٥: ١٤-١٦ يستعيد تقرير يهودى هذا الأمر ويذكر تعيينه بواسطة كورش والياً (Peha) ، ويضيف أنه قد وضع فى وقته أساسات الهيكل. ولا تعود الرواية إلى ذكره فى أي موضع آخر. وبديلاً عن ذلك تتحدث عن زربابل كزعيم للمجتمع متشارك فى العمل مع يشوع رئيس الكهنة. وهذه هى الأسماء التى نلتقي معها عند عودة المسبيين إلى الوطن (عز ٢: ٢)، وعند وضع أساسات الهيكل (٣: ٨)؛ وعند المواجهة (عز ٤: ٢- ٤)، وأخيراً عند استئناف العمل فى المشروع (٥: ٢). وعند هذه النقطة يُشار إلى زربابل بأنه الوالى (Peha) فى حجى ١: ١، وهو اللقب الذى سبق أن حمله شيشبصر (عز ٥: ١٤).

وهناك عدة نظريات قُدمت لتفسير هذا الأمر:

١- هناك نظرية قديمة العهد ذُكرت أن شيشبصر هو فحسب اسم آخر، ربما كان يُعرف به زربابل فى البلاط الفارسى، على غرار اسم بلطشاسر الذى أطلق على دانيال. وفى مقابل هذا تعوزنا المذكرة التفسيرية التى تؤيد هذا، وبصفة خاصة للأسلوب الذى يشير به زربابل ورفاقه من الشيوخ إلى شيشبصر على اعتباره

شخصية قائمة بذاتها كانت موجودة فيما مضى فى عرضهم لقضيتهم على السلطات الحاكمة: «... لواحد اسمه شيشبصر» (عز ٥:١٤)، .. وحينئذ جاء شيشبصر هذا، (عز ٥:١٦)، وذلك فى الوقت الذى كان يجب تدعيم موقفهم بوصفه بأنه ما يزال زعيمهم. وهناك نقطة أخرى ضد هذه النظرية وهى أن كلاً من هذين الاسمين يظهران على أنهما من الأسماء البابلية، فى حين أن اسم دانيال قد أُعطى له ليحل محل اسمه الإسرائيلى (ويعترض بروكنجتون على هذه المقولة بأنه من الممكن أن يكون اسم زربابل عبرانياً (مختصراً من Zrubabel، أى المولود فى بابل) وفى نفس الوقت الذي يمكن أن يكون فيه اسماً بابلياً. ومع ذلك فإن الاعتراض الثانى ليس اعتراضاً باتاً وقاطعاً، من حيث أن اسم صدقيا هو مثل للتسمية الرسمية المستمدة من نفس الثقافة مثل الاسم الذى حلّ محله (٢ مل ٢٤: ١٧) ثم عدم توافر أية معلومات لتحقيق هوية الاثنين لا يُعد أمراً غريباً، قارن أسماء عزريا وعُزيا، اللذين لم يرد ذكرهما مجتمعين فى أى موضع. فقد استُعملا فى ٢ مل ١٥ بالتبادل، حيث ورد الاسم الأول سبع مرات والاسم الأخير أربع مرات. أما فى عزرا فإن التغيرات ربما أملتها ظروف النص: شيشبصر فى أوضاعه الإمبراطورية، وزربابل فى أوضاعه اليهودية [(١)].

وهناك نظرية أخرى على أساس أن الاسمين هما اختصارات لأسماء أطول: انظر القاموس الجديد للكتاب المقدس (NBD) تحت كلمة شيشبصر.

٢- بعض الذين يرتابون فى أن كاتب السفر قد قام ببعض التصحيحات على مصادر معلوماته يقولون إن زربابل والجماعة الرئيسية من المسبيين لم يكونوا متعجلين على الرجوع وإعادة البناء عندما أصدر كورش أمره سنة ٥٣٨، وإنه إنما قبل القيام بهذه المهمة فى عهد داريوس الأول (٥٢٢- ٤٨٦)، كما هو مذكور فى عزرا ٥ و٦ وفى حجى وزكريا. ولتغطية هذه الاستجابة البطيئة (كما جاء فى إحدى صيغ المجادلة) فإن كاتبنا جعلهم يرجعون مع الجمع القليل من العائدين إلى الوطن،

---

(١) انظر دائرة المعارف الكتابية (شيشبصر) دار الثقافة.

وهو إما قد اعتبر أن زربابل هو شيشبصر، أو أنه قد ترك الصلة بينهما مسألة مطروحة للبحث، موجهاً اللوم في تأخير عملية إعادة البناء ليس إلى تخلفهم عن البدء فيه وإنما لكونهم قد أرغموا بالقوة على التوقّف.

وأمامنا الآن شهادة سليمة وأخرى يثور حولها الشك. وكلتا الشهادتين تؤيدان هذا الرأي. إن حجي الذي أدت كرازته سنة ٥٢٠ إلى استثارة الحافز إلى العمل في نفس زربابل وجماعته لإعادة بناء الهيكل، يُعد شاهداً من الطراز الأول، ويبدو أنه لم يكن على علم بأي عمل سابق في هذا المشروع. إلا أن هذا الانطباع يرجع جزئياً إلى الترجمات التي جعلته يتكلم عن وضع أساس الهيكل (حج ٢:١٨) والتي تظهر بمثابة بداية كاملة للعمل، في حين أن واقع الأمر هو أنه استخدم مصطلحاً لغوياً أكثر عمومية في دلالته من المصطلح العبري yasad الذي يعني يؤسس أو يُرمّم [١]. كما أنه يتجاهل الأوضاع الأخلاقية والحالة المعنوية للشعب والتي عرض لها عزرا. والتي تطلّبت من حجي التركيز في كرازته على الخزي والعار الذي استشرى في الوقت الحاضر أكثر من تعرضه وفحصه لأوضاع الماضي. وعلى أي حال فإن أوضاع الماضي لابد وأنه قد تضاءل أثرها بعد أن انقضى عليها نحو عقدين من اللامبالاة. فلقد غدت عملية إعادة البناء الآن عملاً رائداً، على الرغم مما كان لها من بداية وجيزة في عهد كورش.

أما الشهادة الثانية التي يرتاب في صحتها، فتجيء من اسدراس الأول (الأبوكريفا)، والذي يُقحم (تقريباً) ما بين الأصحاحين الأول والثاني من عزرا (وعلى نحو أكثر تدقيقاً وضبطاً ما بين عزرا الأصحاح الأول + ٤:٧- ٢٤، وعزرا الأصحاح الثاني) القصة الممتعة لمباراة كلامية جرت بين ثلاثة من حرس الملك داريوس. وأحد هؤلاء المتكلمين، والذي خرج فائزاً، هو زربابل، الذي اختار كجائزة لفوزه امتياز تذكير داريوس بالعهد الذي أخذه على نفسه وكذلك كورش، بإعادة

---

(١) بينما يمكن أن يكون المعنى بالتأكيد (يضع الأساسات) إلا أن الكلمة استخدمت في ٢ أي ٢٤: ٢٧ عن عملية (مرمّة بيت الله).

الآنية المقدسة إلى أورشليم وأن يُعاد بناء الهيكل. وعلى الرغم من أن الآنية قد سبق إعادتها سالمة إلى شيشبصر بواسطة كورش فى أصحاح سابق فى نفس هذا السفر (اسدراس الأول ٢:١٤)، إلا أن الراوية يبدوّ أنه لم يتنبّه إلى أنه قد سبق له أن ذكر هذا الأمر، حيث نراه الآن يذكر أنها أُعيدت بواسطة داريوس (إسدراس الأول ٤: ٥٧)، الذى أرسل زربابل وبصحبته جماعة كبيرة العدد من العائدين إلى أورشليم. ثم تعود القصة مرة أخرى وبصفة رئيسية إلى عزرا ١: ٢- ٤.

وبصورة واقعية إلى عهد كورش. وقد يكون فى هذا الأمر ذكر يتعهد لأحداث ماضية (على الرغم من أنه لا يعطى مثل هذا الانطباع) ولكن حتى وإن كان الأمر كذلك، فإنها لا تزال تشير إلى أن داريوس أصبح ملكاً بعد وفاة كورش بسنتين فحسب (إسدراس الأول ٥:٧٣).

إن القيمة الحقيقية للدلالة التى تتضمنها هذه القصة تكمن فى أنها تشير، مهما يكن الخلط والتشويش فيها- إلى وجود تقليد مختلف عن تاريخ عودة زربابل. وهذا بالطبع أمر يمكن تصوّره أو فهمه، ولكنه تناول هذا المزيج من الخيال الجامح الذى يناقض نفسه بدرجة من الجدية أكثر مما تستحقه. إلا أنه من الأسهل- وهذا يبرر الكثيرمما تضمنته من الحقائق، القول بأن كاتب سفر إسدراس الأول أو مراجعه لم يستطع مقاومة إغراء هذه القصة الجيدة، فأقحمها فى نقطة لم يحسن اختيارها فى سياق رواية لا علاقة لها بها.

٣- هناك رأى ثالث يقول إن شيشبصر وزربابل كانا على التوالى الزعيم الرسمى والزعيم غير الرسمى للموجة الأولى من المستوطنين. وأن شيشبصر يُعتبر فى نظر الحكومة المسئول عن أى شئ يُعمل، أما الشعب فنظراً إلى احتياجهم إلى قيادة إيجابية، فإنهم قد توجهوا بأنظارهم إلى كل من زربابل ورئيس الكهنة يشوع، وهما من رجالهم ومن نسل الملوك والكهنة. وعلى هذا فإن عزرا فى الأصحاح الثالث يُنسب إليهم وعن جدارة محاولة إعادة البناء، فى حين يذكر فى عزرا ٥:١٤- ١٦

فى التقرير المرفوع إلى الجهات المسئولة أن الذى قام بهذا العمل هو شيشبصر مع ذكر التبريرات المناسبة لتأييد هذه المقولة، نظراً لكونه الموظف الرسمى المنوط به مسئوليات الأعمال التى يتم تنفيذها، وأن اسمه يمكن التحقق منه من السجلات الرسمية أكثر مما هو بالنسبة للاسمين الآخرين (عز ٥:١٧). وأخيراً، وبالتأكيد، فإنه فى عام ٥٢٠ ق.م. تم تعيين زربابل والياً (حج ١:١).

وهناك سؤال نجم عن هذا التفسير هو جنسية شيشبصر. فإذا كان بابلياً فإنه من الطبيعى للرئاسة الحقيقية أن يكون مصدرها الأساسى من مكان آخر: من زربابل المنحدر من النسل الملكى ومن يشوع رئيس الكهنة الذى من بيت الكهنوت. ولكن شيشبصر قد دعى «رئيس يهوذا» (عز ١:٨)، وبينما هذا المصطلح العبرى (nasl) ليس لقباً ملكياً فإنه يوحى بأنه كان فى مكانة سامية فى المجتمع اليهودى. إنه المصطلح الذى كان يستعمل لرؤساء أسباط الآباء (عد ١:١٦)، ولقد استعمله حزقيال للمسيّا الذى من نسل داود (خر ٣٤: ٢٤). وعلى الرغم من أن هذا ليس بالأمر الحاسم، من حيث أنه ربما يمكن ترجمة المصطلحين العبرانيين ha - nasl lihuda المقام لأجل يهوذا (وعلى هذا النحو البديل العبرانى للمصطلحات الأجنبية المستخدمة فى موضع آخر «للوالى»، وعلى هذا فهو إلى حد ما مقحم. أما المعنى العادى فهو أمير وطنى من أهل البلد أو رئيس، وليس رئيساً أجنبياً [١].

وأياً كان الأمر، فإذا كان هذا الرجل يهودياً، (وهو كما يبدو كذلك) فلماذا أعطيت له الأسبقية على زربابل، والذى كان من النسل الملكى؟ إن الإجابة ربما تكون فى أن الفرس قد ترددوا فى تعيين مطالب محتمل بالعرش، مفضلين عليه فى هذه المرحلة رجلاً فى إمكانه أن يحظى بالاحترام ولكن ليس على قدر كبير من الحماسة. وهناك اقتراح آخر مختلف تماماً كان قد حظى بقدر كبير من التأييد إلى حد ما، وهو

---

(١) مثلاً حزقيال ١٢: ١٠ و ١٢ يستخدمها بانتظام عن صدقيا الملك الألعوبة فى يد نبوخذ راصر الذى أسر الملك الحقيقى. لكن صدقيا كان يهودياً ومن نسل ملكى.

أن شيشبصر ذاته كان من دم ملكى، وإنه ليس سوى شنأصر عم زربابل (١أى ١٨:٣). إن معظم الاختلافات التى لا نهاية لها عن اسم شيشبصر فى الترجمات اليونانية تقدم شيئاً من المعقولية فى هذا الاقتراح، ولكن قد ظهر حديثاً، وإن كان الأمر لا يخلو من الشك، أنه فى النص العبرى (كما زعم بذلك س.س. تورى C.C. Torrey منذ أمد طويل يعود بنا إلى سنة ١٩٢٠) فإن الاسمين موضوع المناقشة، شيشبصر وشنأصر قد نُقلا إلى النسخة العبرية نقلاً صحيحاً وأنهما متميزان تماماً «وهكذا فقد ترك الحدس- وهو هزيل- دون الدليل الذى استند إليه .

وهناك حقيقة أخيرة ربما تكون حاسمة وهى أن شيشبصر لم يذكر لنا أى شئ عن البيت الذى ينتمى إليه. وهذا اعتراض آخر- إذا كان الأمر فى حاجة إلى اعتراض- على القول بأنه شنأصر ابن الملك يهوياكين، ولكنه فى نفس الوقت يعتبر مناقضاً لكونه يهودياً له مكانة سامية فى المجتمع. وعلى هذا، وكما يبدو الأمر، فإننا قد أصبحنا أمام بديلين يمكن الأخذ بهما، إما أنه موظف رسمى أجنبى (إذا ما كان لقب «رئيس يهوذا » يعنى قانوناً «الوالى»)، أو أنه على الرغم من صمت الرواية، فإن شيشبصر هو اسم زربابل من الناحية الرسمية، والذى وقفنا على محتده الكريم فقط عندما ذُكر باسمه الشخصى.

وبين هذين البديلين أجد أنه من الصعوبة بمكان أن نصل إلى حكم فى هذه المسألة، ولكننى أرى نفسى ميالاً إلى قبول البديل الأول.

٣- برديات إلفنتين وبعض أقوال روايات المؤرخ اليهودى يوسيفوس

لقد ذكرت بعض الإشارات فى مناسبات معينة فى التعليقات إلى برديات إلفنتين، والتى هى مجموعة من الوثائق باللغة الأرامية (فى غالبيتها رسائل قانونية أو متصلة بالمعاملات التجارية) وقد وُجدت فى مدينة أسوان الواقعة على الحدود الجنوبية لمصر. إن اسم إلفنتين يشير إلى جزيرة فيلة الصغيرة الواقعة فى النيل عند تلك المنطقة، وهى تُدعى أيضاً وُيب Yeb، والتى أُقيمت فيها مستوطنة عسكرية

من اليهود. والذين ربما كانوا فى الأصل من الجنود المرتزقة، ولكن فى زمن هذه الوثائق التى تعود بتاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، صارت مجتمعاً مستقراً لليهود يضم الزوجات والعائلات والممتلكات التى يقتنونها.

وثمة إشارة إلى أن الإمبراطور الفارسى قمبيز قد دمّر العديد من المعابد المصرية فى سنة ٥٢٥ ق.م. ولكنه تجاوز عن تدمير المعبد اليهودى، وفى هذا ما يوحى بأن المجتمع اليهودى القائم هناك كان قديم العهد ويرجع إلى بداية الحقبة الفارسية، وهذا يذكرنا بأن مصر كانت على ما يبدو ملاذاً طبيعياً لليهود منذ زمن إرميا، منذ أوائل القرن السادس ق.م. وعلى غرار الذين اختطفوا إرميا (إرميا ٤٣: ٥- ٧، ٤٤ : ١٥- ١٧)، فإن هؤلاء المغتربين كانوا أبعد ما يكون عن المذهب الدينى المستقيم، فلقد قرنوا بحماقة اسم الرب (يهوه) بأسماء آلهة وإلاهات كنعان. وهم على هذا النحو يقدمون لنا عينة واضحة من اليهودية غير المصلحة، والتى أقاموها جنباً إلى جنب مع المجتمع الذى تم إصلاحه بعد رجوعه مطهراً من بابل، ليكون على درجة أكبر من الوعى الدينى بفضل نشر التعليم الدينى بينهم فى زمن عزرا ونحميا. وعلى غرار المندوبين المحليين الذين جاءوا إلى زربابل فى عزرا ٤: ١ -٣، ربما كانوا قد احتجوا عليه قائلين: «لأننا نظيركم نطلب إلهكم، إلا أن وثائقهم توضح لنا بجلاء، الاختلاف اللاهوتى الخطير الذى يختفى وراء هذه العبارة.

وكما أشار أ. كاولى A. Cowley، إن اليهودية على النحو الذى نعرفه «هى النمو الطبيعى للنظام الدينى الذى تكوّن فى زمن عزرا. ولا يمكن أن تكون قد نمت من نظام يماثل ذلك النظام الذى كان عليه المستوطنون اليهود فى إلفنتين». ومما له مغزاه أن هذه الجماعة قد استغاثت طالبة العون من كل من أورشليم والسامرة وذلك فى مناسبة واحدة، وقد رُفض طلبها من الأولى. وفى رسالة يرجع تاريخها إلى سنة ٤٠٧ ق.م. إلى باغوص Bagohi وإلى يهوذا، نراهم يطلبون العون والتأييد لجهودهم لإعادة بناء هيكلهم بعد المذبحة التى حلّت بهم والتى راح ضحيتها الآمنون، كما يشكو المستوطنون من أن يوحنان رئيس الكهنة ورفاقه فى أورشليم قد تجاهلوا ملتمسهم

على مدى ثلاث سنوات ماضية، وأنهم قد كتبوا أيضاً إلي دالايا وشلميا أبناء سنبلط والى السامرة.

ولهذه الرسالة نفس الأهمية لتاريخ هذه الحقبة:

أ- أنها تكشف لنا عن منزلة سنبلط، حيث أنها تضمنت أنه فى سنة ٤٠٧ ق.م. كان والياً ولكنه كان يشغل المنصب بالاسم فقط لأن أبناءه كانوا يقومون مقامه، وهى تتفق فى هذا مع رواية نحميا عنه أثناء ولايته الأولى على يهوذا فى سنة ٤٤٥ ق.م. وفى هذا ما يساعدنا على إثبات أن نصير نحميا كان الملك أرتحشستا الأول (٤٦٤- ٤٢٣)، وليس بالأحرى الملك أرتحشستا الثانى (٤٠٤- ٣٥٩ ق.م.).

ب- ومن ناحية أخرى، فإن ذكر يوحانان كرئيس كهنة فى سنة ٤١٠ ق.م.، هو بمثابة معلومة هامة فى مواجهة أولئك الذين يجادلون فى أن عزرا جاء تالياً لنحميا وليس بالأحرى سابقاً عليه.

جـ- إن اسم باغوهى والي يهوذا، يقودنا إلى بسلسلة من تحقيق هويات الناس والأحداث التى تحدث عنها يوسيفوس، والذى استخدم الصيغة اليونانية أى باغوسيس Bagoses. وهو يعطى اسم يؤانس Joannes لرئيس الكهنة (أى يوحانان Johanan) معتبراً إياه ابناً وليس بالأحرى أخاً ليوياداع ابن ألياشيب [١]، ويذكر أن له أخاً اسمه يسوع والذى خطط باغوسيس والى يهوذا ليحصل له على رياسة الكهنوت. وفى خلال النزاع قتل يؤانس يسوع فى الهيكل، وإذ ذاك أوقع باغوسيس عقوبة لمدة سبع سنوات على الشعب اليهودى. إن يوسيفوس الذى كان قد عيَّن هوية باغوسيس على أنه قائد ارتحشستا آخر، يمضى ليخبرنا عن مدة رئاسة يدوع بن يؤانس للكهنة، والذى بدوره دخل فى صراع مع أخيه. وهذا الأخ منسى تزوج نيكاسو ابنة سنبلط الذى كان قد أرسل بواسطة داريوس آخر الملوك ليكون والياً على يهوذا. ولقد صدم هذا الزواج شيوخ يهوذا إذ اعتبروه غير أخلاقى، وقد خيَّروا منسى

---

(١) سيأتى الرد على هذا الرأى فيما بعد.

بين طلاق زوجته وفقدان وظيفة الكهنوت. ولكن كانت لسنبلط الكلمة الأخيرة ببنائه هيكلاً على جبل جرزيم لزوج ابنته وبموافقة الإسكندر الأكبر والذى كان سنبلط قد نقل ولاءه إليه.

إن هذا يمضى بنا إلى أبعد من برديات إلفنتين أو سفر نحميا، ولكن فيه أسماء مشتركة بين الاثنين مما يخلق نوعاً من الحيرة والارتباك يحتاج منا إلى قدر من إعمال الفكر لحل هذا التشابك وما ينطوى عليه من غموض.

إن أول ما نحتاج قوله أن رسالة إلفنتين هى بمثابة دليل مباشر على أن ثلاثة أشخاص من الذين تكررت أسماؤهم فى فقرة يوسيفوس، أى يوحانان (وباليونانية يوّانس)، وباغوهي (وباليونانية باغوسس)، وسنبلط (وباليونانية سنبلاطس Sanab-allates)، كانوا يشغلون مناصبهم عندما نتقابل معهم فى السنتين: الرابعة عشرة والسابعة عشرة من حكم داريوس الثانى (أى ٤١٠ و ٤٠٧ ق.م.).

والأمر الثانى أن نحميا يحدثنا عن عضو من بيت رئيس الكهنة، وهو ابن يوياداع بن آلياشيب، الذى أصبح زوج ابنة سنبلط، وأنه طُرِدِ من حضرة نحميا، ليس بعد سنة ٤٣٢ ق.م. بزمن طويل (نح ١٣: ٦ و٧ و٢٨).

أما الأمر الثالث أن يوسيفوس يضع تاريخاً ثابتاً لقصة زوج ابنة سنبلط والذى أدى إلى الانشقاق الذى حدث عند المرحلة التى كان عندها الإسكندر الأكبر يستولى على الإمبراطورية الفارسية أى حوالى سنة ٣٣١ ق.م. أى بعد قرن من حادثة نحميا. وعلى هذا فلقد أصبحنا أمام احتمالين فيما يتصل بهذا الجزء من رواية يوسيفوس: إما أن التاريخ يكرّر نفسه على نطاق واسع، وإما أن يوسيفوس قد اختلط عليه الأمر فى ترتيبه للتسلسل التاريخى للأحداث. وفى الواقع أنه من الممكن أن تكون هناك عناصر صحيحة بالنسبة للاحتمالين، وذلك لأنه فى العديد من العائلات ذات المكانة الرفيعة فى المجتمع فى هذه الحقبة، ومن بينها أسرة سنبلط، تتكرر بعض الأسماء فى الأجيال المتعاقبة (انظر الملاحظات على برديات السامرة)، مما يتسبب عنه الخلط

بسبب هذه المشابهات فى ترتيب التسلسل الزمنى لبعض الأحداث، ويتكشّف لنا فى بعض المواضع سوء الفهم الذى وقع عليه يوسيفوس بالنسبة للحقبة الفارسية . والأمر الذى لا جدال فيه أن سنبلط الذى ذُكر فى تاريخ يوسيفوس لا يُلقى أى ضوء على ترتيب التسلسل الزمنى للأحداث بالنسبة لسنبلط المذكور فى سفر نحميا وبرديات إلفنتين.

وحيث أن الأمر على هذه الشاكلة، فإنه من التهور أن نعتمد على يوسيفوس فى تحقيقه لهويات الأشخاص الآخرين، من حيث أن يدوع الذى يذكر اسمه على أنه رئيس الكهنة عند سقوط الإمبراطورية الفارسية فى سنة ٣٣١ ق.م. هو ابن يوحانان (يؤانس) وخليفته المباشر والذى نعرف أنه كان يشغل منصبه فى سنة ٤١٠ ق.م. أى منذ قرابة ثمانين عاماً سابقة. إن كلاً من ترتيب التسلسل الزمنى للأحداث والنزعة إلى تكرار أسماء الأسر على فترات، يجعل فى مقدورنا أن نعتبر إلى حد ما أن يؤانس ويدوع اللذين ذُكرا فى يوسيفوس، قد عاشا فى عهد آخر ملوك فارس وأنهما ليسا اللذين ذكرهما سفر نحميا ١٢: ١١ و٢٢. وعلى أى حال فإن يدوع المذكور فى الكتاب المقدس هو ابن يوناثان، وليس ابن يوحانان (انظر التعليق). أما عن حقيقة الربط بين أسماء باغوسس (باغوهى) ويوحانان فى كل من يوسيفوس والبرديات، فإنه يبدو أمراً متناقضاً من هذه الناحية، ولكن كلا الاسمين كان لهما صفة الشيوع [1]. وقد وُصف الأول فى البرديات بالمعلومة التى وردت بخصوصه فى أن حامل هذا الاسم كان والياً على يهوذا فى حكم داريوس الثانى، فى حين أنه فى يوسيفوس كان «قائداً» لأرتحشستا آخر، (على الرغم من أنه من الواضح أن وظيفته كانت تتضمن بعض المسئوليات المدنية إلى جانب مسئولياته العسكرية). ومن الممكن أن يكون هو

---

(١) هناك تهجية مختلفة عن السابقة وهى (بغاى): عزرا ٢: ٢ = نح ٧:٧، عزرا ٢:١٤ = نح ٧:١٩، عزرا ٨:١٤ = نح ١٠: ١٦ وهو اسم فارسى يجمع بين (باجا - واسم الله). وقد أطلق على كل من اليهود والفرس.

نفس الشخص فى كلا القرينتين، وذلك إذا كان أرتحشستا الآخر، يعنى أرتحشستا الثانى (٤٠٤- ٣٥٩ ق.م.)، والذى خلف داريوس، ولكن ترتيب تسلسل الأحداث السالف ذكرها فيما يتصل بيؤانس ويدوع غير المرجّحة الصحة، يمكن فى رأيى، إن تيسر الأمر بعض الشئ، بأن نربط ما بين باغوسس هذا وأرتحشستا الثالث (٨/٣٥٩- ٧/٣٣٨)، والذى أقرب إلى الأحداث التالية المذكورة فى يوسيفوس. وإذا كان الأمر على هذا النحو، فمن الممكن أن تصوّر أنه كان القائد الفارسى باغواس تلك الشخصية العدوانية الطموحة الذي وصل إلى درجة كبيرة من القوة والنفوذ فى عهد أرتحشستا الثالث، وفى وقت ما «كان متسلطاً على كل شئون الملك فى الولايات العليا»، طبقاً لما أورده المؤرخ ديودورس الصقلى Diodorus Siculus (والذى لم يحدد بدقة على أى حال هوية هذه الأقاليم). ولكن شيوع الاسم وقلة المعلومات المتوافرة يترك الباب مفتوحاً على مصراعيه للبحث والاستقصاء.

وللوقوف على مناقشة وافية بالنسبة لما ذكره يوسيفوس، راجع ما أسلفنا ذكره عن مقالة هـ.ج. وليامسون. ويكفى هنا ما قلناه لبيان أنه بينما يُقدّم لنا يوسيفوس معرفة بالأحداث والشخصيات والتى كان من الممكن من نواحٍ أخرى أن نجهلها، فإن مخططه لترتيب تسلسل الأحداث التاريخية بالنسبة لهم، هو إلى حد بعيد موضع شك، بحيث لا يمكن أن نتخذه أساساً لإعادة ترتيب تسلسل الأحداث التاريخية فى أسفار الكتاب المقدس القانونية.

٤- جدل حول ترتيب التسلسل التاريخى للأحداث

عزرا - نحميا أو نحميا عزرا؟

هناك اقتراح أبداه م. فرنيز M. Vernes فى سنة ١٨٨١ تلته الدراسة التي قام بها أ. فان هونكر A.Van Hoonacker فى سنة ١٨٩٠ أثار موضوع ما إذا كان كلاً من عزرا ونحميا قد عملا فى خدمة نفس الملك أرتحشستا أو أنهما بالأحرى كانا ينتميان

فى خدمتهما إلى عهود مختلفة- فكانت خدمة نحميا فى عهد أرتحشستا الأول (٤٦٤- ٤٢٣ ق.م.). وخدمة عزرا فى عهد أرتحشستا الثانى (٤.٤- ٣٥٩ ق.م.). كانت تلك فكرة بمثابة بذرة كان مقدراً لها أن تنمو وتتكاثر بطريقة ناشطة فوق العادة. ففى خلال عشرين سنة انبثق العديد من الافتراضات الجديدة: إن إرسالية عزرا قد بدأت ليس فى السنة السابعة من عهد أى من هذين الملكين، وإنما فى السنة الثانية والثلاثين من عهد الملك أرتحشستا الأول (على نحو ما قال كوستيرز Kosters سنة ١٨٩٥)، أو فى السنة السابعة والعشرين (حسب مقولة تشينى Cheyene سنة ١٩.٢)، أو فى خلال ذلك العـــهد،فى زمن ما يقع بين زيارتى نحميا (كما يقول بذلك كينيت Kennett سنة ١٩.٩)، بينما يتبع س.س. تورى C.C. Torrey فرضية أكثر تطرفاً من فرنيز تـــقول بأن عـــزرا كان مـــجرد شـــئ ملفق اختلقه خيال المؤرخ الإخبارى Chronicler. وهناك اقتراحات أخرى كان مقدراً لها أن تبرز إلى حيز الواقع، تؤرخ زمن عزرا على سبيل المثال فى السنة السابعة والثلاثين من حكم أرتحشستا الأول (مثل ألبرايت Albright. فى سنة ١٩٤٦ أ. باڤلوڤسكى A. Pavlovsky فى سنة ١٩٥٧) أو يبادلون ما بين زمنى عزرا ونحميا، وعلى هذا يكون نحميا قد جاء إلى أورشليم فى السنة السابعة وعزرا فى السنة العشرين (حسب قول چليكو Jellicoe فى سنة ١٩٧٤). ولكن فرضية هونكر التى تحافظ على سنوات الحكم المذكورة فى النص إلاّ أنها تلحقهما باثنين مختلفين من الملوك، استمرت تلقى تأييداً من كثيرين.

وفيما عدا استثناءات ضئيلة، فإن هناك اتفاقاً عاماً على أن تواريخ نحميا، على العكس من تواريخ عزرا، هى تواريخ موثوق بها (أى ٤٤٥- ٤٣٣ لفترة ولايته الأولى، ولمدة قصيرة بعدها لفترة ولايته الثانية) حيث تقدم لنا برديات إلفنتين بطريقة عارضة تأييدها للدقة التى عليها هذه التواريخ بصفة عامة. وللوقوف على بعض التفصيلات بخصوص هذه البرديات، حيث أن هذه البرديات تقدم بعض

المعلومات من أزمنة نحميا إذ تتضمن أن سنبلط، الذى كان من أقوى أعداء نحميا فى عهد الملك ارتحشستا، كان قد تقدم به العمر فى الوقت الذى جاءت فيه رسالة معينة كُتبت فى سنة ٤٠٧ ق.م. وتُرينا هذه البرديات أيضاً أنه فى سنة ٤١٠ ق.م. كان يوحانان رئيس كهنة أورشليم، على نحو ما هو مذكور فى نح ١٢:٢٢ والذى كان الخليفة الثانى فى منصب رئيس الكهنة لألياشيب الذى كان معاصراً لنحميا.

ومن المتفق أيضاً إن إعادة ترتيب تسلسل الأحداث الزمنية والتى تجعل قدوم نحميا سابقاً على قدوم عزرا، تتضمن إعادة كتابة الرواية الكتابية، وليس مجرد إعادة تفسيرها. إن النص الكتابى بحالته الراهنة يحول دون مثل هذا التسلسل للأحداث، ومن ثم فلقد لجأوا إلى إجراء تصحيح له فى بعض النقاط اعتقاداً منهم أن الكاتب أو المحرر الأخير، على حسب ما جاء فى عبارة هـ. هـ. راولى H.H. Rowley : «قد مسّ هذه القصة من بعيد». أما إذا كانت هذه العبارة تنطبق فعلاً على الكاتب القديم أو الكاتب أو المحرر الأخير فهذا ما سوف نبحثه الآن.

إن الخيط الذى يجرى خلال هذه الفرضيات المتنوعة، هو عدم تقبّلهم للسبق الزمنى لعزرا على نحميا، على الرغم من أن بعضهم قد يتسامح بعض الشئ فى اعتبار أنه قد جاء قرب نهاية خدمة نحميا، وعلى هذا كانت له بعض التعاملات معه. وبينما قدّمت حُجج عديدة لإعادة ترتيب التسلسل الزمنى للأحداث، فإن أغلبية المؤيدين لها يعطون الأسبقية لأمور أربعة تُعد ثغرات فى القصة، وأعنى بها :

أ- الافتقار النسبي إلى إثبات النشاط المشترك بين هذين المصلحين.

ب-فجوة الثلاثة عشر عاماً التى ما بين قدوم عزرا وما قد ذُكر عن قراءته للشريعة.

جـ- ما تبدّى من عدم معرفة نحميا بترتيبات الطلاق التى اتبعها عزرا.

د- سلسلة الاتصالات التى تمت مع رئيس الكهنة ألياشيب وخلفائه والتى يبدو

أنها تجعل الفارق الزمنى بين نحميا وعزرا جيلاً أو اثنين. وهناك اعتبارات أخرى أقل فى أهميتها أصبح هناك اتفاق عام على أنها غير حاسمة، مع أنها تستحق مناقشتها بعد هذه الأمور الأربعة السالفة،والتى نعود الآن إلى مناقشتها.

أ- ندرة العمل المشترك:

من الأمور التى قد تدهشنا غالباً أن هذين الرجلين البارزين اللذين كرسا حياتهما لنفس الأهداف والغايات مسلحَين بالسلطان الملكى فى مجالات عملهما، نادراً ما كنا نراهما يشتركان معاً فى عمل ما، إننا نقرأ حقاً أنه بعد إعادة نحميا لبناء الدفاعات عن المدينة، استُدعى عزرا لقراءة الشريعة (نح٨:١- ٣)، وأن نحميا عاون فى توجيه الشعب إلى الاستجابة لها (٨:٩)، وكان على رأس قائمة الذين ختموا العهد من الكهنة واللاويين (١:١٠)، وأنه عند تكريس الأسوار فإن الرجلين أخذا على عاتقهما القيام بالأجزاء الهامة والبارزة فى الموكبين التوأمين (نحميا ١٢: ٣١ و٣٦ و٣٨ و٤٠). إن هذا الأمر، على الوجه الذى تبدّى به، هو دليل كاف على أن عزرا ونحميا كانا متداخلين فى الزمان والمكان، وأن كليهما قد دعم الإنجاز المتميّز والهام للآخر وعلى رؤوس الأشهاد- وكان دور نحميا هو إعلان الشريعة، فى حين جاء دور عزرا فى اكمال بناء السور. ولو أننا توقعنا تعاوناً أكثر من ذلك لكان ذلك أمراً مفهوماً، إلا أنه إذا طلبنا ذلك، كدليل على كونهما معاصرين فإن الأمر يبدو أيضاً غير منطقى، ولا سيما أن هناك من العوامل التى ما نزال نجهلها فى الموقف، والتى من الصعوبة بمكان التعرّف على كنهها، وهى فى الواقع عديدة وليس فى الإمكان استقصاؤها. وعلى الرغم من ذلك ففى مقدورنا أن نتحدّى هذا الدليل الذى يستند إليه فى ظهورهما المشترك.

١- من واقع النص: فالشهادة الخارجية ليست بالإجماع، ذلك لوجود اختلافات فى الترجمات اليونانية (السبعينية) عن هذه الشواهد السالفة. واثنان من هذه الاختلافات قليلة الشأن. ففى نحميا ٨ :٩، ١:١٠ تحذف الترجمة السبعينية عبارة (الذى كان) الوالى (وحرفياً «الترشاثا»، الترجمة المنقحة RV) بعد اسم نحميا

(على الرغم من أن اسدراس الأول ٩:٤٩ باتباعه عكس ذلك أوضح أن «الترشاثا»، كانت موجودة فى النص العبرانى لنحميا ٨:٩). ومع ذلك فإنه فى نحميا ١٢ لم يذكر النص أقصر فحسب فى الترجمة السبعينية (إذ حذفت الآية ٣٨ وشذرات على جانبيهما من هنا وهناك، وأيضاً الآيات ٣٩ ج - ٤٢ ج) ولكن تضمن الضمير الغائب للجمع (هم) بديلاً عن ضمير المتكلم المفرد (أنا) لنحميا فى الآية ٣١- وعلى هذا فإنه فى هذه الترجمة للعهد القديم يختفى نحميا من رواية تكريس السور (والآيات الناقصة فى الترجمة السبعينية مدونة على هامش المخطوطة السينائية Co-dex Sinaiticus). ومن جهة أخرى، وحتى فى النص غير المعدل للترجمة السبعينية نجد عزرا حاضراً (نح ٣٦:١٢)؛ وأنه هو الاسم الذى له الأهمية الفائقة، ذلك أن حضوره وليس بالحرى حضور نحميا هو الذى ما كان من الممكن التسليم به، فى مثل هذا اليوم العظيم. وعلى هذا فإنه يبدو إلى حد ما أننا لا نستطيع حذف الرواية القائلة بوجود العمل المشترك بين هذين الرجلين استناداً إلى هذه الأسباب.

٢- من الناحية اللغوية : أثير اعتراض على نحميا ٨:٩ من حيث أن الفعل قال Said جاء فى صيغة المفرد، فى حين جاء الفاعل فى صيغة الجمع (فى الترجمة العربية جاء الفعل فى صيغة الجمع «قالوا» مسايرة على الفاعل الذى فى صيغة الجمع)، الأمر الذى يعتبره بروكنجتون خرقاً لقواعد النحو، ومن ثم فهو علامة على أن نحميا واللاويين لم يكونوا مذكورين أصلاً فى هذه الآية. ولكن هذه البنية اللغوية ليست فحسب ممكنة، بل إنها صيغة عادية للغاية عندما يكون الفعل (كما هو هنا) وله أكثر من فاعل. ويلاحظ جيسنيوس Gesenius أن استخدام المفرد المذكر الغائب «متكرر الحدوث كثيراً» (النحو العبرانى G.K. Hebrew Grammar)، ويسرد علينا أربعة أمثلة من منتصف سفر التكوين وحده (تكوين ١٦:١٢ الخ)على استخدامه قبل الأسماء الجمعية والفواعل المختلطة. وإن مثل هذا التواجد والذى هو بصفة مناسبة فى متناول أيدينا كشاهد نجده فى عزرا ٨:٢٠، حيث نجد «داود مع

الرؤساء» يشتركون معاً فى فعل للمفرد الغائب كما هو الأمر هنا [ليس هذا هو الحال فى ترجمتنا العربية، وكذلك فى ترجمة الملك جيمس الإنجليزية]. ومن هنا ليس هناك سند من القوة لمثل هذا الاعتراض، ما لم يلجأوا إلى الآية العاشرة على زعم أن عزرا هو فى الأصل موضوع هذه الآية [ويقول ج. أ. إمرتون J. A. Emerton] فى صحيفة الدراسات اللاهوتية (السلسلة الجديدة) Journal of Thelogical Studies NS لسنة ١٩٦٦ إنه لم يجد بحسب هذا أية صعوبة نحوية فى الآية ٩، على الرغم من أنه يعتبر أن الفعل المفرد فى الآية العاشرة يشير إلى عزرا على اعتباره الفاعل المحتمل لكلا الفعلين. ومع ذلك، فإن هذا ليس هو مطلب الآية نفسها، التى تجعل نحميا الشخص الذى تدخل فى الموقف، بمعاونة من رفاقه، وأنه هو ضمنياً الذى أعطى الأوامر للتعييد والابتهاج المتضمنة فى الآية العاشرة. أما إذا كان المقصود هو مجرد الجدل، فإن أى أسماء تحذف من الآية ٩ لن يكون لها سوى أهمية ثانوية، إذ أن التركيب اللفظى للجملة يشير إلى رفع أسماء عزرا واللاويين، وليس بالأحرى اسم نحميا.]

إن الفقرات التى تزاوج بين الاسمين قد أثير حولها الشك بصفة رئيسية وعلى أسس أوسع نطاقاً. والاعتراض فى جانب منه (وكما سبق ورأينا) يذهب على أن هذه الفقرات (كما فهمها البعض) تصور قدراً ضئيلاً من التعاون المشترك بين عزرا ونحميا وعلى نحو لا يمكن قبوله، ومن ناحية أخرى لكون هذه الشواهد تقف عقبة كأداء فى طريق إعادة الترتيب الشاملة للقصة. ونظراً لضآلة هذه المعلومات، وأنه من الميسور إزاحتها من النص دون جهد يذكر يجعل منها جميعاً أمراً يثير الغضب والسخط، وعلى هذا، وعلى مثل ما يقول هـ.هـ. راولى H.H. Rowley : «هذه الفقرات (والتى تجد فيها اسم كل من عزرا ونحميا مجتمعين) هى فى ذاتها غير كافية لاقناعنا بأن عزرا ونحميا كانا شخصيتين مسيطرتين يعيشان معاً ويعملان جنباً إلى جنب فى أورشليم، بالقدر الذى كانا يعملان فيه مستقلين فى نفس المسائل.

وحيثما وجدنا اسميهما مجتمعين، فإن الواحد منهما يكون مجرد عابر سبيل، يمكن إسقاط اسمه بدون أن يكون له أدنى تأثير على النتيجة التى يصل إليها ختام الرواية».

ومع ذلك، فإن هذا الأمر من الناحية الموضوعية بالنسبة لكليهما (غير كاف لاقناعنا)، واعتباطاً (يمكن إسقاط اسمه بدون أن يكون له أدنى تأثير على النتيجة التى يصل إليها ختام الرواية). وليس فى مقدور أحد أن يعيد كتابة مصادره على مثل هذه المبادئ. ولكى نكون عادلين، فإن أولئك الذين يقترحون أن من واجبنا أن نفعل ذلك، فإنهم لا يستطيعون القيام بهذا العمل بدون توافر بعض الأسباب الإضافية، من حيث أنهم يرون أن علاقة عزرا بنحميا كواحدة من المشاكل العديدة المتشابكة.

ب- فجوة الثلاثة عشر عاماً:

هذه هى الفترة المفهومة ضمناً الواقعة ما بين قدوم عزرا إلى أورشليم فى السنة السابعة من حكم أرتحشستا ليشرف على تطبيق الشريعة (عز ٧:٨) وقراءته الجهرية للشريعة فى السنة العشرين بحسب ما هو مدون فى نحميا الأصحاح الثامن (قارن نحميا ٢:١).

وإذا نحن أقنعنا أنفسنا بأن هذه المناسبة العامة كانت أول تحرك لعزرا للقيام بمهمته، فلسوف نجد أنفسنا أمام أمر شاذ. إننا سوف نعود إلى حرف الشرط «إذا If» الحاسم فى الفقرة الأخيرة من هذا القطاع. ولنسأل أنفسنا أولاً: كيف يمكن أن نكون على يقين من هذه السنوات الثلاث عشرة؟.

من المؤكد أن جامع (أو مصنف) عزرا - نحميا يشهد على صحة هذا الأمر. وعلى العكس من هذا، لقد قيل إنه سواء عن إهمال أو عن رغبة فى متابعته لموضوع أكثر من كونه بالحرى يتبع التسلسل الزمنى للأحداث، فإنه قد وضع الأصحاحات ٨-١٠ من نحميا فى الموضع الذى لم تكن فى السابق توجد فيه بالمصدر الذى أخذ

عنه. ولكن هذا لا يمكن التمسك به إلا إذا كان النص قد جرى تصحيحه، حيث أن حضور نحميا الشخصي يربط هذه الأصحاحات (نح ٨-١٠) بعهد أرتحشستا الأول، (ولقد أوضحنا أسباب أحداث نحميا)، أو على الأقل في السنة العشرين من حكمه (٤٤٥ ق.م.). ومع ذلك، فإذا ما أزيل اسمه من هذه الأصحاحات (وكذلك اسم عزرا من نح ١٢: ٣٦) على أساس الحجج التي ناقشناها في القسم الأول، فإن هذه الأصحاحات ذاتها (نحميا ٨-١٠) يمكن تحريكها كلها معاً إلى الوراء إلى سفر عزرا، لتتبع إما عزرا الأصحاح الثامن (في الأربعة الأشهر والنصف ما بين قدوم عزرا وأحداث الأصحاح التاسع) أو لتالي الأصحاح العاشر من عزرا، وفي هذه الحالة يمكنها أن تقدم ختاماً أكثر إيجابية وواقعية لهذا السفر. وفي هذا ما يسمح بتأريخ إرسالية عزرا بدون الإشارة إلى إرسالية نحميا، وأن توضع قراءة الشريعة في أي زمن بعد قدومه إلى أورشليم وهذا ما قد يبدو أمراً مناسباً. بل وما كانت إعادة الترتيب هذه بدون دعم أو تأييد مرئي وواضح. إن سفر اسدراس الأول المنحول يستمر في روايته لقصة عزرا بحسب الطريق الثاني من هذه الطرق، متحركاً مباشرة من ما يقابل الأصحاح العاشر من عزرا (عمليات الطلاق وإجراءاتها) إلى نحميا ٨: ١-١٢، أو ١٣أ (قراءة الشريعة)، حيث يتوقف بطريقة فجائية. وهذا هو أيضاً النظام الذي اتّبعه يوسيفوس، الذي ينهي روايته عن عزرا بهذه الحادثة (وملاحظة عن تقدم عزرا في السن إلى مرحلة الشيخوخة وموته) وذلك قبل أن يتحوّل إلى تاريخ نحميا.

إن الموضوع الذي يهمنا، مع ذلك، هو لماذا اتبّع هؤلاء الكُتّاب هذا النظام. هل توصلوا إلى مصدر مستقل للتاريخ خاص بهم، أو هل كان كاتب سفر اسدراس الأول (والذي يسايره يوسيفوس) [١] قد وجد أنه من الأفضل أن يختتم قصته التي تتناول مصلحاً واحداً قبل (أو بدون) تقديمه لذلك المصلح الأخير؟ إن ثاني البدائل هو في

---

(١) قد يكون أحد أسباب تفضيل يوسيفوس هو أن ((اسدراس الأول)) يتضمن القصة الممتعة عن الحراس الثلاثة التي تشبه ما جاء في عزرا ص١- ص٦ - وقد يكون هناك سبب آخر هو أن قصة (اسدراس الأول) كانت أكثر سلاسة حيث أنها استمرت إلى قمة عمل عزرا قبل أن تشرع في عمل نحميا.

ذاته دليل كاف يمكن الأخذ به لهذا الذى نجده، وخاصة إذا كان سفره، الذى ينتهى فجأة عند هذه النقطة، لم يقصد به أن يمضي بنا إلى ما وراء سيرة عزرا. وبينما أنه ليس فى مقدورنا البرهنة على هذه الإمكانية الإضافية، فإن الزعم بأن اسدراس الأول ربما يكون قد رجع إلى مصدر للأحداث تختلف فى نظام أحداثه عن المتبع فى الأسفار المقدسة أصبح الآن مرفوضاً رفضاً تاماً. وقد أوضح لنا هـ.ج. م. وليامسون أن نص إسدراس الأول ٩:٣٧ يجعل من الواضح أن الكاتب قد استخدم وثيقة تجعل الأصحاح الثامن من نحميا تالياً للأصحاح السابع منه وعلى النحو المتبّع فى الكتاب المقدس، وليس تالياً للأصحاح العاشر من عزرا.

والآن أصبح الطريق مفتوحاً لإلقاء نظرة على الدليل الكتابى نفسه. وعند هذا الأمر تبرز أمامنا الحقيقة، وربما يبدو هذا الأمر مثيراً للدهشة من ناحية المناقشات التى جرت والأخرى المعارضة لها، حتى أنه عند هذه النقطة بالذات (فجوة ١٣ سنة بين عزرا ٨ ونحميا٨)، أنه ليست هناك أية مشكلة على الإطلاق فيما يختص بالنص الكتابى. وإنما تتبدى المشكلة فى الأسلوب الذى نقرأ به هذين الأصحاحين. إن فجوة الثلاثة عشر عاماً موجودة هناك، ولكن ليس هناك ما يوحى بأنها كانت سنوات صمت: إن هذا يحدث فقط من الزعم بأن عزرا قدّم سفر الشريعة للمرة الأولى أمام هذا الجمع المحتشد العظيم. إن هذا الزعم ليس له مسوغ أو مبرر من ناحيتين من حيث كونه يحصره فى وسيلة وحيدة للتعليم، ومن خلال هذه الوسيلة يحصره فى كون أن هذه هى المناسبة التي جرى استخدامها لأول مرة [1].

إن هذا التعدّى على صمت النص هو إنكار ضمنى لحق المؤرخ، الذى قد يرى أن

---

(١) إن الرواج الواسع لهذا الزعم ربما يرجع للنقد الموجه إلى أسفار موسى الخمسة الذى يدّعى أن ما أحضره عزرا معه إلى أورشليم كان النسخة المستكملة حديثاً من أسفار موسى الخمسة، وفى تلك الحالة كان لابد أن تكون خطوته الأولى أن يدعو إلى اجتماع عام ليكسب قبول هذه الشريعة الجديدة – وهذا ما يقال إن (نحميا ص٨) يسجله فى قرينة خاطئة.

لكن هناك تحفظ بين المفسرين المحدثين على الرأى القائل أن عزرا كان مجدّداً ومبتكراً، ومع ذلك فإن تأثير هذا الرأى لا زال مستمراً وخصوصاً فى تأكيد الزعم الذى أشرنا إليه بعاليه (انظر الملحق رقم ٥).

الضرورة تقضى بأن له الحرية فى أن يدّون شيئاً أو أن يتجاوز عن تدوينه. ومع ذلك فقد يبدو الأمر من الصعوبة بمكان تخطي الراوية استناداً إلى اختياره لبعض الفترات ذات الأهمية الخاصة بالنسبة لعزرا: أزمة الزوجات الأجنبيات فى السنة الأولى لشغله لمنصبه، والاحتفال بالتوراه ليتوّج بها سيرته. إن الاعتراض أيضاً لا يحفل كثيراً بشهادة عزرا ٩: ١-٣، حيث أنه من الواضح هناك أنه عند قدومه قد بدأ للتو إرساليته بكل نشاط. واهتمام الرؤساء الذين نقلوا إليه خبر الزيجات المختلطة، وتأثرهم بلغة أسفار موسى الخمسة فى عملهم هذا (انظر التعليق على عزرا ٩: ١ و٢)؛ وحساسية الشعب وتأثره بما أحدثته هذه الأخبار من أسي بالغ على نفسية عزرا، واستعدادهم فوق العادى للإصلاح، كل هذا يتضمن بوضوح حملة حديثة وقوية استهدفت تعليمهم متطلبات الشريعة ومقتضياتها. إن فترة الثلاثة عشر عاماً المفترضة لتبطّل عزرا هى آخر ما يمكن أن نستخلصه من هذا النص. فلو أراد أحد أن يقرأ من خلاله أحداث الأصحاحات ٨- ١٠ من نحميا، بعد تعديلها ونقلها فإن عليه أن يفعل ما فعلنا ويقتفى خطانا، ولكن ليس النص الكتابى هو الذى فى حاجة إلى مثل هذه الممارسة.

ج- معالجة نحميا لموضوع الزيجات المختلطة :

كانت طريقة معالجة عزرا لهذه المشكلة جذرية (عز ١٠: ١- ١٢): فالشر يجب اقتلاعه من أصوله بالطلاق. فلماذا كانت قناعة نحميا أقل بكثير مما كان عليه الأمر: لقد اكتفى فى مواجهته لهذه المشكلة بأن استخلص منهم قسماً وحلفاً بعدم تكرار هذا الاثم (نح ١٣: ٢٣- ٢٥)؟ لقد كان فى مقدور نحميا، على ضوء ما سبق إليه عزرا أن يعقد محكمة ويقرر فسخ العدد الكبير من هذه الزيجات المختلطة. فهل يمكن الإجابة على ذلك بأن تسلسل الأحداث كان خاطئاً، وأن نحميا كان أول من واجه هذه المشكلة بالأسلوب الصحيح؟ فى هذه الحالة يكون قد لجأ إلى تجربة أسلوب معدّل وعلاج محلى، وجد أن الحاجة ماسة إليه، ليحلّ محل العمل القانوني الذى

استخدمه عزرا- وهذا تسلسل منطقي ومعقول. وهناك مجادلة أخرى كان لها وزنها فى نظر بعض الكتّاب وهى أن الرواية الكتابية (فى نظرهم) تتوافق بصعوبة مع سمعة عزرا الهائلة. وبتعبير جون برايت John Bright فى كتابه تاريخ إسرائيل الصادر سنة ١٩٧٢:... إن أى نظرية تضع إصلاحات عزرا (عز ٩: ١٠) قبل نحميا، فإنها حتماً تتضمن الاستنتاج بأن عزرا بطريقة أو بأخرى قد فشل... وفى اعتقادي أن عزرا لا يمكن أن يكون شخصاً فاشلاً فى إصلاحاته. فالكتاب المقدس لا يصوّره بمثل هذه الصورة بتاتاً، بل إن المسار الكامل لليهودية قد تشكّل بعمله. فلو أن الحالة كانت على هذا النحو، فهل كان التقليد يصوّره بأنه موسى الثانى؟ ومع هذا فإنه يكون كذلك إذا ما كانت إصلاحاته سابقة على إصلاحات نحميا.

إننى أجد أن هاتين المجادلتين تثيران الدهشة والاستغراب. وبالنسبة للمجادلة الأولى، هناك شئ من الدقة والبراعة فى فكرة التقدم إلى أعلى فى أسلوب نحميا الخشن فى معالجة موضوع ما بسرعة وعلى المستوى المحلى وبالمواجهة وجهاً لوجه. وبين أسلوب عزرا فى مواجهة الموضوع على مستوى الأمة كلها ومن خلال المحاكم. ولكن مثل هذا القول يُعد تبسيطاً كبيراً للموضوع. فلو أننا أردنا المقارنة بين إصلاحات نحميا وإصلاحات عزرا، فلا يكفى أن نذكر رؤوس الموضوعات أو أن ننظر إلى السوابق القانونية. إننا فى مواجهة شخصيتين متغايرتين وأسلوبين متباينين للعمل، ثم بعد ذلك بموقف إنسانى أكثر تعقيداً ويفوق بكثير تلك النقاط الضئيلة فى نظام السوابق القانونية. إن الجراحة العظمى التى أجراها عزرا كانت فعّالة، ولكن ماذا عن طوفان الطلاقات والأطفال الذين اجتثوا من جذورهم وأطلقوا على المجتمع؟ وأى مصلح يأتى بعد ذلك كان عليه أن يختار بين تكرار هذا الأسلوب أو الأخذ بأسلوب بديل لا يقل عن سابقه على أمل أن يحقق قدراً أكبر من الإصلاح. وأى من هذين الأسلوبين ينطوى على شر أقل من الآخر، فهذا أمر لا يسهل القطع فيه.

أما فيما يتصل بالمجادلة الثانية، التى تقول لو أن عزرا كان سابقاً على نحميا، فلابد أنه شُطب باعتباره فاشلاً، وهذه مقولة غير حقيقية على نفس المستوى، إذ أنها لا تعمل حساباً للتيارات المتضاربة التى يحركها أى إصلاح، وبدون أن تتعرض لعوامل التآكل التى يحدثها مرور الأيام وكرّ الأعوام. إن كل إصلاح ينتج عنه السخط والنقمة، ما يلبث أن يفقد قوته الدافعة، وما يلبث أن يواجه بجيل جديد عليه أن يعمل على هدايته. وأولئك الذين يجادلون فى أن عزرا لم يكن «موسى الثانى»، إذا كان شعبه قد ارتد إلى سابق عهده، لابد وأنهم نسوا قصة موسى الأصلى. وليس فى إمكاننا أن نذكر اسم أى مصلح أو مخلّص لم يكن عمله فاشلاً فى نفس هذا المعنى، ومع هذا فلا يستطيع أى أحد أن يوجه اللوم إلى المصلح بسبب تقلب الرعية.

د- التزامات مع بيت رئيس الكهنة :

هذه الحجة عن قلب النظام التقليدى للأحداث هى فى شكلها بسيطة للغاية، إذا كانت وقائعها صحيحة. إنها تؤكد على أنه فى حين أن أليشايب كان رئيساً للكهنة عندما قدم نحميا إلى أورشليم (نح ٣:١)، فإن يـ (هو) حانان J (eh) ohanan حفيد ألياشيب كان رئيساً للكهنة فى زمن مجئ عزرا. إن هذا الأمر إذا كان على هذا النحو يجعل زمن عزرا متأخراً عن زمن نحميا ربما بجيلين، بدلاً من كونه متقدماً عليه بثلاثة عشر عاماً. علاوة على ذلك فإننا نعرف من برديات إلفنتين أن رئيس الكهنة فى سنة ٤١٠ ق.م. كان اسمه يوحانان.

وأيًا كان الأمر فإن الدليل على العمد الرئيسية لهذه الحجة يبدو ضعيفاً. وتقوم هذه الأسانيد على الزعم المزدوج بأن رئيس الكهنة فى عهد عزرا هو يوحانان، وأن يوحانان هذا هو حفيد ألياشيب.

وللإجابة على الافتراض الثانى وهو الأضعف من بين هذه الافتراضات، نقول أولاً إن حقيقة الأمر هو أن يوحانان قد ذُكر على أنه ابن ألياشيب، وليس حفيده، وذلك

فى التعبيرين الكتابيين عن الصلة التى بينهما (عز ١٠: ٦؛ نح ١٢: ٢٣) (١). حقاً إن كلمة ابن Son، يمكن استعمالها بصفة عامة عن أى سليل منحدر من سلف، لكن هذا ليس هو المعنى الرئيسى، وأن الذين يأخذونها هنا على أنها تدل على الحفيد، عليهم أن يسلّموا أيضاً أن يوناثان Jonathan (الرب قد أعطى) المذكور فى نحميا ١٢: ١١ هو خطأ من الكاتب للاسم يوحانان Johanan (الرب قد أظهر رحمته). وهناك تباين واضح بين هذين الاسمين الواحد عن الآخر، فى حين أن يهوحانان Jeho-hanan ويوحانان Johanan وفى اليونانية يؤانس Joannes هى جميعها صيغ متنوعة لتسمية واحدة،، مصدرها الاسم المعلوم لنا يوحنا (John). وعلى هذا فإن هذا الجزء من الحجة الذى يقوم على معنى ثانوى للاسم (حفيد) وعلى تصحيح للنص لا يدعمه أى تأييد، من حيث أن الترجمة السبعينية وغيرها من الترجمات القديمة تؤيد وتدعم النص العبرى لنحميا ١٢: ١١ المتضمن اسم «يوناثان» وليس «يوحانان» تسليمنا بصحة النص الكتابى من حيث مُعطياته، نقف منه على أنه كان لآلياشيب ابنان، هما يهوياداع (نح ١٢: ١٠) ويوحانان (عز ١٠: ٦؛ نح ١٢: ٢٣). ومن الواضح أن يوياداع قد خلفه فى منصب رئيس الكهنة ليس ابنه يوناثان بل خلفه أخوه يوحانان (نح ١٢: ٢٢)، وأن الذى خلف يوحانان فى منصبه يوياداع حفيد يدوع (نح ١٢: ١١ و٢٢). ولم نخبر السبب الذى منع يوناثان من أن يخلف أباه يوياداع فى منصبه- ما لم يكن ممكناً أن تأتى الإشارة إلى الإجابة على هذا السؤال فى نحميا ١٣: ٢٨؛ أى أن يوناثان هو المرتد الذى طرده نحميا. ولكن هذا ليس أكثر من مجرد إمكانية واحدة من العديد من الإمكانيات المحتملة العديدة المجهولة لدينا.

أما الزعم الآخر والأهم فهو افتراض أن يوحانان كان فى الواقع رئيس الكهنة فى السنة الأولى من مجئ عزرا إلى أورشليم. ويقوم هذا الزعم على أن عزرا بعد أن

(١) عن التجاوزات التى حدثت فى هذه النصوص فى بعض الترجمات الحديثة- انظر الهامش الخاص ب نحميا ١٢: ٢٢.

أمضى يومه فى النوح والبكاء الجهرى خارج الهيكل، أمضى الليل فى مخدع يهوحانان بن ألياشيب (عز ١٠: ٦). ويُعلق «راولى» Rowley على هذا الأمر بقوله: «فى سياق الأحداث التى تتضمنها الرواية فى هذا الأصحاح لا يمكن أن نتوقع أن يكون عزرا رفيقاً لرؤساء ثانويين ولجمع من الشباب، وإنما مع رئيس الكهنة، والأمر الذى يبدو الأكثر قبولاً هو أن يوحانان قد استقبل عزرا فى غرفته باعتبار أن عزرا رئيس كهنة».

فإذا اعتبرنا يوحانان حفيد ألياشيب (انظر ما أسلفناه) وليس بالحرى ابنه، فإنه لا يكون فى هذا الوقت أكثر من مجرد غلام فى العام ٤٥٨ ق.م.، كما أوضح «رايلى» Ryle [والذى توصل إلى استنتاج مختلف عما ذكره «راولى»، أى أن الكاتب إنما يوضح لقرائه هوية المخدع بالإشارة إلى من كان يشغله آنذاك]. ولكن ما يقوله «راولى» فى هذا الصدد ليس بالفرضية المؤتمنة التى يمكن الاستناد إليها، وعلى نحو ما رأينا، وإذا ما نحن التزمنا بدقة بهذا الدليل، وهو أن عزرا قد استخدم مخدع يهوحانان بن ألياشيب، فى حين أنه لم يذكر يهوحانان على أنه رئيس الكهنة، كما لم يذكر ابن ابن ألياشيب، وهو الأمر الذى يُطلب منا أن نتصوره. وأكثر من ذلك فإن عزرا قد يُعرِّض نفسه للسخرية والاستهزاء به لو أنه ترافق مع أى فرد أقل من رئيس الكهنة، فمن الواضح أن مثل هذه الفكرة لم تدر بخلد كاتب السفر، وإنما دارت فى مخيلة الدارسين الذين جاءوا فى ما بعد، والذين تقصر بصيرتهم عن إدراك معايير عزرا للقيم، وأنهم لم ينفذوا بهذه البصيرة ليسبروا أعماق الظروف القائمة فى ذلك الوقت، فإن ما انتهوا إليه من رأى لا يرقى إلى درجة الكمال.

ومن الملاحظ أنه حتى فى المؤلفات الحديثة فإن أولئك الذين يشايعون التاريخ المتأخر لعزرا يميلون إلى معالجة هذه الحقبة على اعتبار كونها جزءاً غير حاسم فى قضيتهم. إن الرأي الذى انتهى إليه كوجينز Coggins فى هذا الصدد يتسم بالحكمة وحسن التمييز: الأمر باختصار أنه من الممكن أن ننتهى إلى القول بأن هذه الآية تتواكب جيداً مع النظرية التى تجعل زمن عزرا متأخراً عن زمن نحميا بخمسين سنة،

وإن كانت بعيدة تماماً عن إمكانية البرهنة عليها. إن هذا الحكم الصريح، أو ما يشابهه، ليس محصوراً فى نطاق هذا الجزء من الحجة، أو محدوداً بمؤلف واحد. إننا يمكن أن نجد ما يتوازى معه ويماثله من خلال آراء العديد من الكتّاب والمؤلفين عن موضوع سفرى عزرا- نحميا والتى خضعت لمراجعة شاملة لترتيب تسلسل الأحداث التاريخية، إلا أنهم لا يرون أنه فى الإمكان التثبت بصفة قاطعة من صحتها.

إننا الآن وقد انتهينا من استعراض الدعامات الأربع الرئيسية المبرهنة على أسبقية نحميا، يمكن أن نتحول إلى استعراض بعض النقاط التكميلية والتى قد يكون لها بعض الاتصال بموضوعنا، وإن كانت، بحسب ما انتهى إليه رأى الأكثرين، ليس لها وزنها الكبير، وأن من الأفضل مناقشتها فى أى وضع من الأوضاع.

١- يعتبر جون برايت John Bright (فى كتابه تاريخ إسرائيل ص ٣٩٤): أن السنوات الأولى المضطربة من حكم أرتحشستا الأول يصعب أن يكون الوقت المعقول لخروج رحلة عزرا العزلاء من الحماية العسكرية والتى مضت فى طريقها بنجاح من بابل إلى أورشليم. ولكن بحسب التقدير البشرى المجرد فإنه ربما يكون الأمر صحيحاً، ومع ذلك فإنه حتى على هذا المستوى فإن هذا الأمر ليس هو كل الحقيقة، من حيث أن عدم الاستقرار والقلاقل على حدود الإمبراطورية الفارسية كان هو الدافع الحقيقى الذى حمل الملك أرتحشستا على تقوية أجهزة القانون والنظام فى أى مكان بقدر استطاعته، ومن ثم كانت إرسالية عزرا إلى يهوذا. وبالنسبة لعزرا فإن رفضه أن تصحبه حامية عسكرية، كان نابعاً من عمق إيمانه بالله، وعلى النحو الذى قاله لنا، وعلينا أن نأخذ به على هذا النحو. وإنه لمن العجيب أن نجد مدافعاً متحمساً عن منزلة عزرا الروحية مثل جون برايت (انظر ما أسلفناه فى القسم الثالث)، يضع مثل هذا الحد على ما استطاع أن يفعله بجرأة اقناع الملك بصحة موقفه (عز ٨: ٢١- ٢٣).

٢- لقد تقاطرت الجموع الحاشدة على عزرا فى أورشليم فى السنة التى قدم فيها إليها، ولكن نحميا كان قد وجد المدينة مفتقرة إلى البيوت وتكاد أن تكون فارغة

ـن سكانها (نح ٧: ٤)، ومن ثم كانت الإجراءات التى اتخذها لتأهيلها بالسكان.
ـعلى هذا فإذا ما جعلنا تاريخ عزرا متأخراً عن تاريخ نحميا، فإنه يجب علينا أن ـخطو فى تدرج ثابت من مدينة فارغة من السكان إلى مدينة آهلة بهم. إن هذا الأمر لافت للنظر، ولكنه ليس بالأمر الحاسم، من حيث أنه لم يذكر عن «الجماعة كثيرة جداً» التى تقاطرت واحتشدت حول عزرا (عز ١٠: ١) أنها كانت تتألف من السكان المحليين لأورشليم. وهى كما ذكر عنها أولاً قد تقاطرت وجاءت إليه من خارج إسرائيل- وهذا يشير بالحرى إلى الجموع التى تقاطرت على الهيكل والتى جاءت من القرى والضياع المجاورة. ومن الناحية الثانية، فإنه إذا كانت أورشليم آهلة بالسكان فى سنة ٤٥٨ ق.م.، فإنها قد عانت فى سنة ٤٤٥ ق.م. من الكارثة الفجائية التى دفعت نحميا إلى أن يقدم إليها من فارس لترميم الأطلال. ومن ثم فليس هنا ما يستدعى إعادة ترتيب تسلسل الأحداث التاريخية.

٣- إن تسبيح عزرا وحمده لله على أنه أعطاهم «حائطاً فى يهوذا وفى أورشليم» (عزرا ٩:٩ الترجمة المنقحة ٩:٩)، قد أخذت فى بعض الأحيان على أنها تشير إلى سور مدينة نحميا. وأيّا كان الأمر، فإن قلة من دارسى الكتاب المقدس، إذا ما كان هناك أحداً ما، قد يقولون الآن بهذا القول، من حيث أن هناك مشروعات عديدة إلى أن هذه مجرد استعارة لغوية، وهذا يوضحه أولاً ذكر يهوذا، والتى لم يكن هناك فى الواقع سور حولها، والأمر الثانى الكلمة العبرية الدالة على الحائط، هنا وهى جدار gader، وليست homa المذكورة فى نحميا ١: ٣ الخ). والتى نادراً ما تستخدم للدلالة على سور المدينة، وثالثاً ما جاء فى نفس شكر عزرا الله على إعطائه لهم وتداً فى مكان قدسه (عز ٩: ٨)- وهذا ما لم يأخذه أحد ما بمعناه الحرفى. ومن هنا كانت الترجمة المنقحة RSV محقة فى ترجمة كلمتى nail و wall إلى «مُلكاً آمناً» و«حماية» وهو الأمرالذى سارت على منواله الترجمات الحديثة الأخرى [1]

(١) إلا أن ترجمة NEB لا تزال تتمسك بكلمة (اسوار) لكنها تضيف كلمة تفسيرية معناها (للدفاع).

٤- عين نحميا أربعة خزنة على الخزائن (نح ١٣ :١٣)، ولكن، عزرا، وكما ذكر عنه، قد وجد بالفعل أربعة خزنة يشغلون مناصبهم عندما جاء إلى أورشليم (عز ٣٣:٨)- وهذا ما يمكن اتخاذه كدلالة على أن نحميا كان هو الرائد بالنسبة لهذا التنظيم- وكما يشير «برايت Bright» فإن هذا مع ذلك لا يدل بأى حال من الأحوال على أن الأمر كان كذلك، من حيث أن نحميا ببساطة قد شغل هذه المناصب الموجودة فعلاً برجال أمناء.

٥- هناك بعض الاستدلالات التى استُخلصت من قائمة الأسماء المرتبطة بهذين المصلحين، ولكن لا يمكن الأخذ بأي منها إلاّ على اعتباره مجرد حدس أو تخمين، من حيث أن قلة ما ذكر من أسماء الآباء لا تجعلنا على يقين من هويّاتهم. إن كُلاً من نحميا وعزرا كانت لهما تعاملات مع رجال كانوا يحملون اسم مشلام (عز ١٦:٨؛ نح ٤:٣ مثلاً)؛ وحشبيا (عز ١٩:٨؛ نح ١٧:٣)؛ وحطوش (عز ٢:٨؛ نح ١٠:٣)؛ يوزاباد (عز ٣٣:٨؛ نح ١٦:١١)، وملكيا (عز ٣١:١٠؛ نح ١١:٣)؛ مريموث (عز ٣٣:٨؛ نح ٤:٣ و٢١). ومع ذلك، فإن من بين هؤلاء، نجد أن الاثنين الأخيرين فقط هما اللذان ذكر معهما أسماء الآباء فى كلا النصين- وأن ملكيا من أبناء «حريم» يمكن أن يكون واحداً من أفراد إحدى العشيرتين الكبيرتين (قارن نحميا ٣٥:٧ و٤٢ لهذين الشخصين). ومع هذا فإن مريموث بمفرده هو الذى يمكن بصورة إيجابية القول بأنه كان على صلة مع كل من عزرا ونحميا. ويمكن من خلال هذا الموضع أن نصل إلى استنتاجين مشكوك فيهما وغير قائمين على أساس وطيد. أولهما هو أنه لا يوجد أى فرد من أفراد جماعة العائدين إلى الوطن مع عزرا يمكن التثبت من المماثلة بينه وبين «مَن له نفس اسمه» من بين بناة السور فى عهد نحميا، وعلى هذا فمن الأسلم القول بأن أحداً من العائدين مع عزرا لم يشترك فى المشروع، وأكثر من ذلك فإنه بإمكاننا أن نقول أيضاً أنه لم يوجد منهم أى واحد فى أورشليم مع نحميا على وجه الإطلاق. إن هذا أمر لا يمكن دحضه، ومع ذلك فهو لا يشكل دليلاً. والصمت هنا لا يشكل نقطة خلاف، بل الخلاف ناجم عن الإبهام والغموض فحسب. إن الصمت فى حد ذاته ربما لا تكون له هنا أهميته المعتادة، من حيث أنه فى عزرا ٨ لم يذكر من بين العائدين إلى الوطن والذين بلغ مجموعهم ١٧٨٧ فرداً سوى ٣٨ اسماً.

أما الاستدلال الثانى فهو متعلق بشخص مريموث، وهو الشخص الوحيد الذى أمكن التثبت من معاصرته لكل من عزرا ونحميا. ويحاجّ «راولى Rowley» بأن مهمته المحدَّدة بدرجة بالغة الدقة فى البناء فى زمن نحميا (نح ٣:٤ و٢١) توحى بأنه كان شاباً يفيض بالحيوية والنشاط فى سنة ٤٤٥ ق.م. فى حين أن منصبه كأحد خزنة الهيكل فى عزرا ٣٣:٨ يُشير إلى أنه كان متقدماً فى السن، ومن الممكن أن نتصور أن ذلك كان فى زمن متأخر يعود إلى سنة ٣٩٨ ق.م. وهى السنة السابعة من حكم أرتحشستا الثانى (راولى : تاريخ إسرائيل). ومن المؤكد أن مثل هذا القول قابل للجدل، ولكنه يقدّم هنا بصفة مبدئية لتجنب دحض حجة القائلين بإعادة ترتيب تسلسل الأحداث فى سفر عزرا؛ وأنه من السذاجة إلى حد ما افتراض أن البناة فى الأصحاح الثالث من نحميا كان من المحتم أن يكونوا على درجة من صغر السن لكى يكون بمقدورهم الإسهام بنصيب كامل فى العمل اليدوى بأنفسهم. وقائمة الأسماء التى تُفتتح باسم رئيس الكهنة والتى تُعدد أسماء أعداد من الرؤساء، تُشير بالأحرى إلى الرجال الذين كانوا مسئولين عن القطاعات المختلفة من العمل. وعلى هذا فإنه يمكن القول بأن العمل المحدد الذى كان على مريموث أن يقوم به كان يعنى نضجه أكثر من شبابه [1].

٦- ربما يكون فى مقدورنا التفكير فى أن العمل الذى قام به نحميا والذى أنجز من خلاله معظم إصلاحاته كان يتطلب منه أن يأخذ نفسه بالأسلوب المرتجل للرائد، وأن يكون متأثراً فى ذلك إلى حد كبير بسفر التثنية (الذى يدّعى أنه الإنتاج المبكر نسبياً للتطور الناموسى، أكثر من تأثره ببقية أسفار الشريعة. وهذا أيضاً قد يشير إلى سبقه على عزرا، وبصفة خاصة إذا ما كان عزرا قد قدم سفراً موسعاً للشريعة. إننا قد نخرج بهذا الانطباع عن نحميا، بسبب توجهاته الدنيوية، ولكن بالفحص الدقيق يظهر أن (على حد قول و. م. ف. سكوت W. M. F. Scott وآخرون) أربعاً من

(١) يحاج (و. ث. ايدرسميتن) قائلاً إنه إذا كان (أوريابن هتوص) فى سن الكهنوت عند عودة زربابل فلابد أن تواريخ (راولى) تجعله كبير السن لدرجة غير معقولة عند ميلاد «مريموث» ،وهذا على أى حال يفترض أكثر مما يمكن أن يقوله (عزرا ٢:٦١).

الهجمات الخمس التي شنها على المساوئ المذكورة في الأصحاح الأخير كانت أعمالاً تحقق العهد المذكور في الأصحاح العاشر من نحميا، والذى نبع من تعليم عزرا. وهناك نقطة أخرى مماثلة يقول بها بروكنجتون، وذلك على الرغم من ميله إلى جعل نحميا وليس عزرا هو بالأحرى المسئول عن محتوى هذا العهد (أي عن التفصيلات في نحميا ١٠: ٣٠-٣٩). ولكن أيّا كان الشخص الذى صاغها، فإن تلك الوثيقة تعبّر عن التعاليم المستخلصة من الشريعة في مجموعها، وليس من سفر التثنية فحسب: قارن ما جاء في بروكنجتون في صفحة ٣٤ و ١٨٦، حيث انتهى إلى القول بأنه: «من هذا ربما يمكن الاستدلال على أن الأسفار الخمسة في مجموعها كانت معروفة في فلسطين قبل أن يقرأها عزرا على جموع الشعب المحتشدة، وقبولها من الشعب في مجمعهم، وبالاختصار فإن هذه الحجة ليست بالدليل الحاسم في موضوع ترتيب تسلسل الأحداث التاريخية.

وفي الختام، فإنه من الإنصاف القول بأن هذه الاعتراضات، الكبير منها والصغير، والتى وُجهت ضد تسلسل ترتيب الأحداث التاريخية في الكتاب المقدس، ليس في أي منها ما يلزمنا على الأخذ بها، وأنها في رأى معظم دارسي الكتاب المقدس ليست أكثر من احتمالات إعادة ترتيب الأحداث، وليس فيها أي شئ من القوة أكثر من ذلك. وإذا ما كان الأمر كذلك، فإن ما لدينا بالفعل لابد وأن يكون له الأسبقية على ما ليس لدينا. وبصرف النظر عما قيل من أفضلية ما هو واقعي على ما هو فرضي، فليس هناك أي شئ في كل ما جرت مناقشته له وزن يمكن أن يوازن الفرض الذى لا يمكن وقوعه، القائل بأن كاتبنا الذى عرف عنه تمسكه بالتفصيلات، وبوضعه الذى كان يتيح له الاطلاع بنفسه على السجلات الخاصة بالشخصيات الرئيسية بين جماعته، لم تكن لديه أية فكرة عن صلة هؤلاء الرجال بعضهم ببعض أو من كان منهم سابقاً على الآخر.

وهذا الفرض غير الممكن متوافق مع الحاجة إلى الاعتقاد بأن سفره، بينما قد وقع في خطأ في أمر شائع المعرفة، كان مقبولاً بصفته كتاباً مقدساً من الجماعة التى كان عزرا ونحميا من بين أحدث رجالها والأسمى شرفاً وكرامة بين عظمائها. وعلى

العكس من هذه الصعوبات، فإن الأسفار القانونية التى هى موضوع هذه المناقشة والتى تمت دراستها بالعناية التى يستلزمها مدى جهلنا بالكثير من الأمور المتعلقة بها ، لا تثير مشكلات تقارن بتلك التى تحيط بالافتراضات الأخرى.

٥- سفر شريعة عزرا

منذ تلك الثورة التى أطلق عليها ثورة كوپرنيكس فى علم نقد العهد القديم Old Testament Criticism . والتى اعتبر فيه «ناموس موسى» وعلى أوسع نطاق (وعلى الأقل فى صيغته النهائية) أنه من إنتاج المسبيين أو من إنتاج الحقبة الفارسية التى تلته، توجهت الأنظار نحو سفر عزرا الذى أحضره معه من بابل. ولقد توجهوا بهذا السؤال: أيمكن أن يكون هذا هو نص الأسفار الخمسة الجديد الذى استكمل أخيراً؟

وقد سجل ى. كيلرمان U. Kellermann فى خلال شرحه لوجهة نظره الخاصة عن هذه المسألة، أربع إجابات رئيسية من إجابات نقّاد الكتاب المقدس على هذا السؤال.

١- يُنظر إلى سفر عزرا على أنه عبارة عن أسفار موسى الخمسة فى آخر مراحل تطورها. وأيًا كانت وجهة النظر العامة هذه، فلقد اختلفت فى شأنها الآراء عما إذا كانت قد جاءت كابتداع جديد أم لا. فمن ناحية يقول رودلف Rudolph على سبيل المثال إنه حتى إذا كانت الشريعة قد وصلت إلى المستمعين كشئ جديد (بالحكم على تأثيرها العميق عليهم) إلا أنها ليست بالضرورة شيئاً جديداً فى ذاته ولكن مجرد شئ غير مألوف من خلال ما هم عليه عندئذ من إهمال لها، بينما يُحاج ماونيكل Mowinckel من زاوية مختلفة قائلاً إن المناسبة العظيمة قد تُضفى على الكلمات المألوفة جداً فعالية وقوة جديدة، ويُشير إلى أنه فى الأمور الدينية من النادر أن نجد ترحيباً فورياً عند قبول الأمور الجديدة. ولقد قيل أيضاً أن السامريين ما كانوا سيقبلون أسفار موسى الخمسة كأسفار قانونية(بينما هو يرفضون حتى أسفار الأنبياء) ما لم تكن قد جاءت إليهم من جديد على يد عزرا. ومرة أخرى أشار الكثيرون إلى أن مهمة عزرا التى أعطاها له الملك أرتحشستا تعتبر من الأمور البديهية أن الشريعة التى فى حوزته فى بابل سوف يُعترف بها فى يهوذا باعتبارها

تحمل السلطان الإلهى وليس السلطان الإمبراطورى فقط. وعلى هذا فإنه مع التسليم بأنه ربما توجد بعض الاختلافات العملية التى كان يتعين حلها بين المجتمع البابلى والمجتمع الفلسطينى، إلا أن مونيكل يرى أن شريعة عزرا كانت مراجعة لأمور كانت معروفة على مدى واسع، ومعترف بها. ومن زاوية أخرى ينظر «جالنج» إلى هذا الحفل العام من منظور المحافل الليتورجية الطقسية للشريعة، كان الهدف التقليدي لها ليس إعلان تشريعات جديدة بل وضعها موضع التنفيذ الفعلى (أى أن تصبح سارية المفعول حالياً)، وإن كانت فى حقيقة أمرها موجودة منذ زمن طويل. من ناحية أخرى نجد هـ. كازيلز H. Cazelles يحسب أسفار شريعة عزرا تفرض نظاماً جديداً على السامعين، يضفى الحيوية على مسرح الأحداث بأصالته. إن هذا الكاتب يقيم وزناً كبيراً للإجراءات والوصايا التى يتضمنها سفرا الخروج واللاويين بالنسبة للمساواة فى المعاملة بين المغتربين (وبالعبرانية ger) والمقيمين (بالعبرانية ezrah). وهو ينظر إليها باعتبارها مواد تضمنتها هذه الأسفار بصفة خاصة لعلاج الانقسامات بين يهود القرن الخامس والتى كانت قائمة بين الذين كانوا قبلاً مسبيين (والذين يراهم كمغتربين) وبين أولئك الذين استمروا مقيمين فى الأرض (الوطنيين). ومن رأيه أن نحميا كسابق لعزرا، قد عمق الانقسامات بين أحزاب الشمال والجنوب (من حيث أن كلا الطرفين يحاول تبرئة ساحته من خلال سفر التثنية، ومن ثم جعلوا هذا السفر عديم الجدوى فى حسم نزاعاتهم)، حتى أن السلطات الفارسية قد قررت أن تفوض اليهود الموالين لها فى بابل لإعداد مجموعة جديدة من القوانين المنظمة للتقاليد الدينية للتوافق مع هذا الوضع الجديد. ولهذا الغرض أرسل عزرا فى الوقت المناسب إلى أورشليم.

ولقد رحب ج.ج. فينك J. G. Vink بهذا الرأي واعتبره بصيرة نيرة، وربما تكون الكلمة الأفضل هى الاختلاف فى وجهات النظر وهو الشك الذى تأكد حين تبين أن كازيلز والمؤيدين الأكثر تحمساً له ليسوا على اتفاق على الهوية المقصودة «للمغتربين» و«للمواطنين» الذين يشكلون النقطة المحورية فى الفرضية.

٢- هناك وجهة نظر أخرى وهى أن سفر عزرا هو المعروف بمجموعة القوانين

الكهنوتية أو المدّونة الكهنوتية أى الشرائع المتضمنة فى أسفار الخروج واللاويين والعدد والتى يفصلها نقد الأسفار الخمسة باعتبارها قد وصلت إلينا أو ابتدعها الكهنوت الأورشليمى. وبينما أن هناك اتفاقاً عاماً على أن المادة القديمة جزءاً لا يتجزأ منها، فإن هذه المجموعة تحسب عادة فى نظر النقاد بأنها قد تم تحريرها فى بابل، إما أثناء السبى أو فى القرن التالى له، وعلى هذا فقد شكلت إغراء للتخمين أن إرسالية عزرا كانت بقصد تقديم هذه المادة وكسب قبول المجتمع اليهودى لها. وبالنسبة لوجهة النظر هذه، فإن تكملة أسفار موسى، بما تضمنته من الروايات والشرائع قد تم تحريرها أخيراً على يد هذه الدائرة الكهنوتية، وأنها لم تكن قد تمت بعد فى زمن عزرا [1].

٣- هناك خط آخر أكثر تحفظاً أخذ به على سبيل المثال كيتل فون راد Kittel Von Rad ونورث North، اللذان اعتبرا أن شريعة عزرا هى تجميع لمواد الشريعة التى وجدت طريقها غالباً إلى الأسفار الخمسة لموسى، وأن مصدرها متنوع وليس محدد الهوية دائماً. ويشير «فون راد» مثلاً إلى أنه يوجد فى الأصحاح العاشر من نحميا بعض تنظيمات تتوافق مع مادة التقليد الكهنوتى «أ»، والبعض الآخر مع مصادر أخرى فى الأسفار الخمسة، والبعض الآخر ليس هناك ما يماثله فيها.

٤- أما المجموعة الرابعة فهى مجموعة كيلرمان Kellermann، وهى المجموعة التى يربط نفسه بها مع بعض التحفظات، ويصف كتاب شريعة عزرا بشريعة التثنية.

وأيًا كان الأمر، فإن كيلرمان ينتقد أغلب أسلافه فى كل هذه الجماعات لفشلهم فى التمييز بين الجدير بالقبول على نحو ما يراه هو، وبين ما لا يمكن قبوله من البيّنات الكتابية. وفى رأيه أن المصدر الوحيد للمعلومات التى لا يمكن إنكارها عن عزرا هو رسالة أرتحشستا فى عزرا ٧:١٢- ٢٦ مع قائمة جرد الموجودات فى عزرا ٨:٢٦ و٢٧. أما الباقى فيُعلن أنه من المدراش Midrash أى مصدره رواية الأخبار

---

(١) لا يلقى هذا الوضع تأييداً كبيراً اليوم كما كان فى الأيام السابقة، فإن (كراوس) يدافع عنه بتردد- كما أن (فوهرر) يستبعده تماماً.

من بعض الرواة الأتقياء، لكنهم متحيزون فى سردهم بنوع من الإسهاب للمادة ولقدر قليل من التقليد الشفاهى. أما الكلمة الأخيرة فلم تُترك لراوية «الأخبار» وإنما للصوت المخالف الصادر من كاتب من عصر متأخر. (ويحاجّ كيلرمان من خلال هذه الآيات القليلة التى ثبتت صحتها أن سفر التثنية كان أساساً كتاب شريعة عزرا، على أساس أن الشريعة موضوع تساؤلنا قد اعتبرها الملك مسبقاً أنها المعيار المقبول فى يهوذا، وأن من بين المرشحين لمثل هذا الدور هو كتاب العهد والذى حلّ محله سفر التثنية، وأطلق عليه شريعة القداسة (لاويين ١٧- ٢٦) وهى شريعة متخصصة جمعت حديثاً لكن لها منزلتها السامية الرفيعة، وقد سميت «المدونة الكهنوتية أو مجموعة الشرائع والقوانين الكهنوتية»، والتى فى نظره لم يكن لها أي دور هام فى تفكير ملاخى ونحميا، والتى لا يمكن أن تكون شريعة عزرا، والذى كان معاصراً لملاخى وسلفاً لنحميا.

هذا الرفض لكل رواية عزرا ما عدا خمس عشرة آية بدا وكأنه مبالغة فى نظر دارسى الكتاب المقدس الذين يمارسون نفس الأساليب الفنية وإن كانوا لا يرفضونه تماماً، ولكن من المدهش أن قلة من الكتّاب ذهبوا بهذه العملية إلى خطوة أخرى أبعد من ذلك. إن أ. كايزر O. Kaiser يعتبر حتى عزرا ٧:١٢- ٢٦ ليست له مصداقية، ويصف المؤرخ الكتابى بأنه قد اختلق قصة عزرا. ولم يكن هو أول من فعل هذا الأمر، من حيث أن س. س. تورى C. C. Torrey قد قال مثل هذا القول منذ أمد بعيد يرجع إلى سنة ١٨٩٦. وفى تعبيرات لغوية أكثر قوة. ومن الطبيعى مع وجهة النظر هذه أن تصبح هوية شريعة عزرا بلا معنى كموضوع للدراسة.

٥- وعند هذه النقطة، والتى يصل الشك التاريخى عندها إلى نهاية المطاف، فإما أن نعود إلى الوراء إلى أحد الأوضاع المتوسطة التى سبق لنا أن وقفنا عليها، أو أن نأخذ الطريق البديل بقبول الرواية كما هى. إن هذا الأمر يحمل فى طياته قوة البساطة، حيث أنه لا أحد يجادل - كما قال وينكل - فى حقيقة أن الكاتب نفسه لم يشك للحظة فى أن كتاب الشريعة موضوع تساؤلنا هو «شريعة موسى التى أمر الرب إسرائيل بها»، وأنه كتاب الشريعة الذى كان مألوفاً بالنسبة له ولمعاصريه، والذى كان موجوداً معروفاً منذ أيام موسى.

وبالنسبة لسفرى عزرا ونحميا ليست هناك أية عقبات على درجة من الخطورة فى سبيل قبولنا لوجهة النظر هذه من حيث مادتهما، حيث أن الصعوبات القليلة التى ذكرناها هي على الأكثر ظاهرية أكثر منها حقيقية. ومن مثل هذه الاعتراضات هى أن الأصحاح الثامن من نحميا يصمت بدرجة مذهلة فيما يتعلق بيوم الكفارة، والذى كان يحل فى اليوم العاشر من الشهر السابع، ويتلوه عيد المظال فى اليوم الخامس عشر (لاويين ٢٣: ٢٧- ٣٤). ولكن نقص معلوماتنا عن الأحداث بين الثانى والخامس عشر عن هذه المناسبة لا يعطينا الحق لأن نزعم بأنه لم يحدث أى شئ فى العاشر، ومن ثم نتخذ من هذا الزعم دليلاً على أن أيام الأعياد المذكورة فى سفر اللاويين ٢٣ لم تكن قد عُرفت بعد[1] انظر بعد ذلك التعليقات على نحميا ١٦:٨ و١٧.

وهناك أيضاً تناقض مزعوم فى شريعة ضريبة الرؤوس المفروضة على البالغين وأنها ١/٣ الشاقل (نحميا ٣٢:١٠) بدلاً من نصف الشاقل المذكورة فى الخروج ١١:٣٠- ١٦. هذه المشكلة أيضاً ظاهرية من حيث أن نصف الشاقل كان فدية، تُجمع فقط عندما يُجرى إحصاء للسكان، فى حين أن القدر الأقل الذى تعهدوا بأدائه فى الأصحاح العاشر من نحميا كان يُدفع سنوياً. وحقيقة أن هذه الضريبة قد رُفعت بعد ذلك إلى الرقم المذكور فى الخروج (متى ١٧: ٢٤) لا يمكن استخدامها لجعل شريعة الخروج متأخرة فى زمنها عن شريعة نحميا، ذلك أن ضريبة الهيكل استمر أداؤها سنوياً، وليست لها أية علاقة بالفدية إلا فيما يتصل بمقدارها وفى استخدامها للإنفاق على متطلبات العبادة فى الهيكل.

وكما لاحظنا فى الاستهلال، فهناك اعتراض أكثر عمومية بالنسبة لقدم شريعة

---

(١) يظن (ك. براون)- بلا مبرر- أنه نظراً لأن التعليمات الخاصة بعيد المظال قد اكتشفت فى اليوم الثانى من الشهر (نح ١٣:٨ و١٤) فإن العيد نفسه تم الاحتفال به فى نفس اليوم- رغم الفترة الزمنية الفاصلة المتضمنة فى (نح ١٥:٨) للإعلان الموسع والاستعدادات اللازمة للعيد، ورغم ما يتضمنه (نح ١:٩) من أنه فى اليوم الرابع والعشرين من الشهر كان اليوم الثامن من أيام العيد فى أورشليم.

عزرا وهو أحياناً يستمد من تلهف المجتمعين وتوقهم الشديد إلى سماعها، ومن تأثيرها القوى الذى تحدثه فيهم، وكأنما هى شئ جديد ومستحدث. ولقد سبق أن رأينا بعض الإجابات على هذا الاعتراض، كما قد اقترحت أيضاً فى موضع آخر أننا لسنا فى حاجة إلى أن ننظر إلى أبعد من الأسفار المقدسة المحيطة بنا كمقوّمات لمثل هذا القلق المتفجر- مع الصورة التى رسمها ملاخى للجيل الذى سيطر عليه الإحباط والجوع الروحى، والذى تلاه الوخز القوى لضمير هذا الجيل على يد عزرا فيما يتعلق بموضوع الطلاق، وأحدث منه ما ترتب على الإحساس بالكارثة القومية من انبعاث تلقائى وفورة حماسية، وهو ما وصفته بالتفصيل الأصحاحات ١- ٦ من سفر نحميا. ولكن أيًا كانت روعة هذه العوامل كتمهيد لكلمة الله، فإن العامل الحاسم فيها، على ما أعتقد، ليست هى تلك الانبعاثة المادية وإنما هى النار من السماء- ذلك أنه من الصعب على أى فرد كان أن يصف الحالة التى أصبح عليها الشعب واعترافهم من الأعماق بخطاياهم وآثامهم، وابتهاجهم، والاجتماعات الطويلة التى عقدت والتى تحدثت عنها الأصحاحات ٨- ١٠ من سفر نحميا،والتى استهدفت تعليم الشعب شريعة الله بأوفى بيان وأوضح لسان، واعترافات الشعب ورفعهم لآيات الحمد والتسبيح لله، والذي توّج كل هذا هو تسليمهم الكلى لذواتهم لله، وما كان يمكن أن يحدث أى شئ من هذا إلا بحركة الروح القدس فى داخلهم. وهذه هى سمات ما نطلق عليه الآن النهضات الروحية أو الإحياء الروحى أو الدينى. وفى مثل هذه الحالات فمن النادر أن يكون الشئ الجديد الذى يُقال أو يُعمل هو الأمر البارز والمهم، ولكن العكس هو الصحيح: أى القوة الدافعة الحقيقية المنبعثة من الحقائق القديمة والتى تنصب فى آذان المستقبلين الجدد.

وربما ما يزال هناك اعتراض يقول بأنه مهما يكن اعتقاد هؤلاء القوم حول هذه الأمور، فإن البحث الحديث قد أوضح أن الأسفار الخمسة ليست هى كلمة الرب إلى موسى (فيما عدا أنها من نفس الفكرة الأصلية)، ولكنها مستودع لتاريخ طويل تعاقبت عليه الحقب وأنها قد وصلت إلى تلك الصيغة التى تلعب دورها فى حياة هذه الجماعات أو حياة الجماعات التى سلفت عليها. وأيًا كان القبول الواسع المدى لهذا الرأى، والذى هو نتاج المعالجة الطبيعية Naturalistic approach والتى هى فى نظرى لن تعجز عن أن تُحرّف أو تُشوّه الأسفار الخمسة (أو أى سفر آخر)، من حيث

أنها تستبعد من حسبانها، عن قصد، الشئ الوحيد الذى يميز هذه الكتابات عن غيرها من الكتابات: عمل الله المباشر والشامل فيها. إن هذا الحدث ليس حدثاً عرضيا وإنما هو حدث متكامل، ومن ثم فإن إخراجه من حسابنا ولو مؤقتاً ليس كما يُظن أنه مجرد إزالة القشرة الخارجية لكى نصل إلى البنية الحقيقية للأسفار الخمسة التى تقع تحتها. إن الأمر يقتضى تمزيق النسيج بأكمله، وإلقاءه جانباً، بدون أى إمكانية لإعادة تجميعه مرة أخرى بدون أن يحدث فيه تلفيات معينة، وهذا هو ما يقول به نقّاد الأسفار الخمسة بصراحة ووضوح . فإنه إذا ما كانت الشرائع المتضمنة فى السفر الرئيسى من أسفار موسى الخمسة (كمثال أساسى لقولنا) هى فى الحقيقة الذى «قاله الرب لموسى» على النحو الذى أخذ سفر اللاويين على عاتقه أن يذكره فى كل أصحاح– وإذا كان الرب قد تكلّم بها من فوق جبل سيناء منذ قرابة أربعين عاماً قبل الأقوال المتضمنة فى سفرالتثنية (لاويين ٢٧:٣٤؛ تثنية ١:٣)، فمن ثم فإن ما انتهى إليه النقد الحديث (من سفر التثنية يجب أن يكون سابقاً على الكثير مما جاء فى سفرى الخروج والعدد وكل سفر اللاويين، وإن كان الرب فيه كان قد نطق بجوهر أو لب هذه الشرائع، فإنه لم يكلم بها موسى، وإنما كلّم بها خلفاءه البعيدين منه لا يقدّم لنا اعادة اكتشاف العمل الأصلى بل صورة زائفة عنه. إن مثل هذه الأسفارالخمسة المنقحة، ليست معيبة فحسب، وإنما هى فى جملتها إفساد وتشويش لترتيبها ونظامها.

وإذا ما كان الأمر على هذا النحو، كما هو فى اعتقادي، فإن جزءاً كبيراً من المجادلة التى جرت عن سفر شريعة عزرا يصبح غير ذات موضوع. إن من حق أى فرد أن يناقش منطقياً وشرعاً الكم الذى قرأه عزرا من الشريعة فى هذه المناسبات [١]

(١) يمكننا ملاحظة بعض الاشارات في الأصحاحات التى قُرأ فيها السفر وما تلاها (نح ص٩- ص١٣) إلى كل أسفار موسى الخمسة: إلى ما جاء فى سفر التكوين والخروج والعدد والتثنية فى نح ٩:٦– ٢٢ وإلى المادة القانونية مثلاً فى خروج ١٣:٢ (ابكار الناس وابكار البهائم: نح ١٠: ٣٦) وفى لاويين ٢٣: ٤٠ (اغصان الشجر للاحتفال بعيد المظال فى نح ٨:١٥) وفى العدد ١٨: ٢٦ (عشر العشور فى نح ١٠: ٣٨) وفى تثنية ٢٣: ٣-٥ (العمونيين والموآبيين فى نح ١٣:١ و٢) وهذا مثال واحد من كل من خروج ولاويين وعدد وتثنية.

مهما كان هذا الكم كبيراً أو قليلاً، ولكنه ليس له أن يتطرق إلى القول، ما هو القدر الذى ما يزال باقياً حتى الآن من هذه الشريعة، أو آخر ما جاء إلينا من بابل. إن ما طلبه المجتمعون هو: سفر شريعة موسى والذى قد أعطاه الرب لإسرائيل. لقد كان طلباً حسناً، وهو طلب يستحق استجابة أمينة ولا داعى للشك فى ذلك.

٦- عزرا - نحميا كتاريخ

بينما العديد من دارسى الكتاب المقدس من كل ذوى الرأى يتعاملون مع القوائم الأساسية، والرسائل، والأوامر الملكية، فى هذين السفرين على أنها مستمدة من وثائق أصلية، وأن كتبة هذين السفرين قد استخدماها باعتبارها واقعية. وجديرة بالتصديق، فإن عدداً من أسلافهم وأقرانهم قد اعتبروا أن النوعية الأولى لا يعتد بها والثانية متحيّزة.

فلو أننا نظرنا أولاً إلى حقبة الرجوع إلى الوطن وإعادة بناء هيكل أورشليم، فربما نلاحظ أن ر. موزيس R. Mosis هو أحد الذين (إلى حد ما وبصورة استثنائية) يصرفون النظر عن مرسوم كورش فى عزرا ١:٢- ٤ ويعتبرونه موضوعاً منحولاً، كما يعتبرون الرواية التى تتناول الرجوع الضخم من السبى رواية زائفة وكذلك البدء الفورى فى إعادة بناء المذبح والهيكل فى مستهل ذلك العهد. وهو يدّعى أن «راوية الأخبار» قد أوجد المدراش (الدراسة التفسيرية غير الحرفية نوعاً) عن مراسيم عزرا ٣:٦- ٥، ١١:٧ - ١٣، ثم إنه بطريقة متماثلة صريحة ربط بين الرجوع إلى الوطن وإعادة البناء مستخدماً لتحقيق قصده التواريخ التى وجدها فى حجى وزكريا والوثيقة الآرامية المحفوظة فى عزرا ٤: ٦- ١٨:٦. ولقد قام س. تالمون S. Talmon بمراجعة مماثلة شاملة لتتابع سير الأحداث التى لكاتبنا. وقد عزل تالمون الوحدات الأدبية والتى يبدو أن عزرا- نحميا قد كوناها. ثم شرع بعد ذلك (بحسب تعبيره) فى «إعادة تقييمها وتنظيمها»، على النحو الذى ارتآه. فهو على سبيل المثال، فى رواية الرجوع من السبى، يفصل عبارة «السنة الثانية» (٨:٣١) من القرينة، حيث أنها تشير إلى تاريخ نحو سنة ٥٣٧ ق.م.، ويطابق بينها وبين السنة

الثانية لداريوس، وهى تقريباً بعد جيل من ذلك (عز ٤:٢٤؛ حج ١:١؛ زك ١:١)، أى السنة ٥٢٠ ق.م.، مع ما فى هذا من آثار مدمّرة على الرواية التى لدينا. وبنفس الثقة ينقل عز ١٩:٦- ٢٢ أ ويجعلها تالية عز ١٠: ٤٤، ويحصل بذلك (أو يعيد حسب رأيه) على تتابع دقيق محكم لتواريخ الأيام والشهور من الشهر التاسع لسنة واحدة (عز ١٠: ٩) إلى اليوم الأول من السنة التالية (١٠: ١٧)، ومنها إلى عيد الفصح الذى احتفل به بعد اسبوعين من هذا التاريخ (١٩:٦). ومع ذلك فإن هذا التدرج السلس، وإن تميّز بخفة الحركة وسرعة الخاطر، إلا أنه يقفز بنا إلى الوراء وإلى الأمام على فجوة مقدارها ٥٨ عاماً، ومن ثم كان عليه أن يُقنعنا بأن «الفرحة» التى أفاضها الاحتفال بالفصح (٢٢:٦) لم تنتج عن تدشين الهيكل (عز ١٦:٦- ١٨)، ولكن كانت نتيجة لفصم عُرى مئات الزيجات التى قام بها عزرا (١٠: ١٦- ٤٤) إننا هنا فحسب أمام مثلين لإعادة ترتيب السفرين بهذا الأسلوب المقترح، وهما يساعداننا على إدراك مدى المصداقية البديهية للرواية القائمة حالياً بالمقارنة مع غيرها من الروايات البديلة.

ولو أننا أتينا إلى إرساليتى عزرا ونحميا (عزرا ٧- نحميا ١٣) فإنه يقابلنا على الفور الموضوع الذى امتد فيه النقاش طويلاً حول ما إذا كانت رعاية الأسفار القانونية قد وضعت هذين المصلحين فى الموضع الصحيح أو الخاطئ. إن هذا الموضوع يترتب عليه نتائج هامة بالنسبة لكاتب السفر كمؤرخ. هل كان دقيقاً فى روايته للأحداث أو كان مشوشاً مضطرباً؟ وإذا كان قد عرف الحقائق، فهل احترمها، أو سخرها لقول ما يريده؟ لقد ناقشنا موضوع ترتيب الأحداث حسب تسلسلها الزمنى بصورة مطوّلة فيما سبق. ولكن اللجوء إلى التخمينات قد مضى بعيداً جداً عن هذا الميدان المحدّد، وذلك على الأقل فى ثلاثة اتجاهات، للبحث أولاً عن وجهة نظر المصلحين كاتبى هذين السفرين ، ومن الناحية الثانية طبيعة وقيمة مذكرات عزرا ونحميا، وثالثاً وجهة نظر الكاتب العامة وهدفه.

١- المصلحان:

إن شكوك تورى وجاء بعده أ. كايزر O. Kaiser عن حقيقة وجود عزرا (انظر ما

أسلفناه) تُعد أمراً نادراً، ولكن عدداً من دارسي الكتاب المقدس لا يصدّقون الصورة التي أعطاها الكتاب المقدس عنه. وبالنسبة إلى و. ث. اندر سميتن W. Th . Inder Smitten على سبيل المثال، فإن ما تعرضه علينا الأسفار المقدسة هو بصفة رئيسية الصورة المثالية لعزرا التي صارت محل التقدير المتزايد لدى الأجيال التالية. وعلى هذا فإن المؤرخ الاخباري the Chronicler [1] أعاد تفسير المنزلة التي كانت لعزرا كرئيس قيادي أو كعامل في الإدارة المدنية أو كواحد من كتبة الأسفار، وذلك بإضافته لقب «الكاتب» في عبارته: «عزرا.. وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل» (عز ٧:٦). وربما أيضاً يأتي به إلى أورشليم باثنى عشر عاماً سابقة على قدوم نحميا إليها ليضفي عليه شرف الرائد. وإنما لو تابعنا الصورة الذهنية التي اعتملت في مخيلة الكاتب إندير سميتن Inder Smitten لوجدناه يرى أن توقيت قراءة عزرا للشريعة (وهي التي قام بها استجابة لمطلب شعبي) والتي حدثت فوراً بعد انتصار نحميا الشخصي، إلا أنه يعتبرها مجرد حيلة أدبية أخرى بارعة من الكاتب. وكم كان من الأفضل، على نحو ما تساءل، أن نضع نحميا في الظل، من أن نقحم على مذكراته بمثل هذه الكتلة الضخمة من المادة التي اشتملت عليها الأصحاحات ٨-١٠ من سفر نحميا، والتي تسلط الأضواء على عزرا وتجذب انتباه الجماهير إليه؟ وهو يعتبر أننا بهذه الوسيلة قد قللنا من أهمية نحميا إلى مجرد الباني والمنظم، والذي اقتصر دوره على مجرد إعداد المسرح لذلك العملاق الروحي، والواقع على الجانب المقابل له من المسرح.

إن «سميتن Smitten» يتابع في هذا المنحى وإلى حد كبير المنهاج الذي سارعليه كيلرمان Kellermann والذي يعتبر أن الكاتب كانت لديه الأسباب القوية لتقليص

---

(١) يعني أغلب المؤلفين الذين كتبوا عن هذين السفرين، بمصطلح رواية الأخبار the Chronicler الكاتب الذي يعدّونه كاتب سفري أخبار الأيام. وفي نفس الوقت مؤلف سفري عزرا ونحميا. أما أنا فإنني كمعلق على هذين السفرين الأخيرين، فقد قصرت استخدامي لهذا المصطلح على كاتبي سفري عزرا ونحميا، وأقصد أن يكون مصطلح المؤرخ الإخباري مرادفاً وصنواً لمصطلح «المؤرخ historian » أو الكاتب وذلك للأسباب التي ذكرتها سابقاً.

شخصية نحميا والتقليل من قيمة عمله إلى الدرجة التى يصبح فيها مجرد ظل لعزرا من خلال هذا الأسلوب الذى يبدل فيه المناظر. إنه ليس واجباً فحسب أن تُغطى أعمال عزرا الروحية على الإنجازات المادية لنحميا، بل حتى إصلاحاته الدينية يجب أن تتحول إلى مجرد حاشية (نحميا ١٣)، ليظهر على أنه ليس أكثر من مجرد أداة لتوثيق العهد الثابت المذكور فى الأصحاح العاشر من نحميا، والذى هو من عمل عزرا. وإذا ما نحن التمسنا الحجة من كون النص لا يؤيد تهمة التحيز فى السرد التاريخى (من حيث أن نح ٨:٩ يُظهر لنا أن نحميا قد لعب دوراً ناشطاً فى القراءة الجهرية للشريعة، وأن نحميا ١:١٠ يُظهره على رأس قائمة الموقعين على «العهد الثابت»، فإن عدداً من أصوات الكتّاب المحدثين يردّ علينا بالقول بأن هذه الأشياء المذكورة عن نحميا هى بلا ريب اقحامات من «مُنقح لاحق»، اعتزم تصحيح رواية سلفه عن الأحداث. وهذا المُنقح المفترض ما يلبث أن يقدمه البعض إلينا بتاريخ يعود إلى سنة ١٥٠ ق.م. فى زمن الحقبة المكابية. إن الدوافع لمثل هذه التحركات الافتراضية والحركات المضادة لها سنناقشها فى القسم الأخير (فى الفقرة ٣ فى ما بعد). ولكننا فى ذات الوقت نلاحظ وجود بعض الآراء عما يبدو كمصدرين مباشرين للكاتب: وهما روايات عزرا ونحميا والتى فى ضمير المتكلم، والتى يظن المتشككون أنها مصادر ظاهرية ومزعومة وغير حقيقية.

٢- مذكرات عزرا ونحميا :

هذه الفقرات المكتوبة فى ضمير المتكلم قد أثبتناها سابقاً، وهناك أيضاً مناقشة موجزة عنها فيما يتصل بعلاقتها بالسفر بأجمعه.

إن الرأى النقدى الذى تقبّل عن طيب خاطر مذكرات نحميا كشئ له مصداقيته، يتردّد فى ما يختص بمذكرات عزرا بل إنه يميل إلى استبعادها، بل إن بعض الدارسين يعاملونها على اعتبار أنها اختراع صرف من الكاتب صاغها على غرار مذكرات نحميا، بينما أن الآخرين يعتبرونها فى آخر الأمر مستمدة من عزرا، وإن كانت قد أعيدت صياغتها عند تحريرها. ومع ذلك، فإنه حتى نحميا، الذي يسلّمون بأنه هو كاتب الرواية الخاصة به، ما يزال الشك يلاحقهم ولا يجدون مفراً من الشك فى أنه قد

أدخلت تعديلات على الحقائق، ذلك أن كيلرمان يحسّ بأنه يجب الإفادة من «النقد الموجّه» بقصد إظهار انطباع الكاتب الذى يريد أن يخلقه، وإفساح المجال المناسب لذلك، مقدّرين أنه على الأقل سوف يقمع ما لا يتوافق مع قضيته، حتى وإن كان ما يقوله لا يتضمن أية أكاذيب. والواقع إن كيلرمان يظن أنه فى حالة واحدة، إن لم يكن فى غيرها أيضاً (نح ٦: ١٠- ١٢) قد مضى نحميا إلى أبعد من القمع Soppression ليُعالج حادثة سياسية كانت مصدر قلق وضيق بسلسلة من الأكاذيب. إن هذا يتركنا بين خيارين: إما أن نأخذ بكلمة نحميا عما حدث، أو أن نأخذ بمقولة كيلرمان عمّا يعتقد أنه حدث، على أن نكون على حذر تام من التسرع فى الأخذ بالرأى الأخير، وإلا تنحاز إلى صف نحميا فى تعاملاته مع مقاوميه. إن هذا يثير سؤالاً عن الدافع الذى جعل نحميا يضمّن روايته هذه الأمور. أهى مجرد مذكرات، أم أنها شئ أكثر من ذلك؟. ولقد قدّمت عدة إجابات على هذا التساؤل. هناك الكثير من الكتّاب الذين رأوا مشابهة بين رواية نحميا والعديد من النقوش والكتابات التذكارية من الأزمنة القديمة، سواء كانت ملكيّة ، أو نذرية كتبت وفاء لنذر Votive أو نقوشاً جنائزية. وهنا تطوف بذاكرة مونيكل الآثار القديمة لملوك الشرق الأدنى، واعتبر أن مادة رواية نحميا ليست طويلة إلى الحد الذى يستدعى نقشها على لوحة أكبر قليلاً من حجر موآب الشهير للملك ميشع[1]. وهو يقول إن وعد الله للخصيان بأن يعطيهم فى بيته وفى أسواره نُصباً (إشعياء ٥٦: ٤ و٥) قد أوحى إلى نحميا بتأليف هذه القطعة الأدبية لإقامتها فى الهيكل. إن هذا القول لا يعدو أن يكون حدساً بارعاً. وفضلاً عن أن ذلك يعوزه البرهان على أن نحميا كان خصياً (انظر التعليق على نحميا ١:١١)، أو أنه كانت لديه الرغبة فى أن يُقام له نُصب تذكارى عام، فإن هناك تناقضاً صارخاً بين هذه النقوش التى يفتخر فيها أصحابها بأنفسهم، وبين تقدير هذا الرجل المتسّم بالاعتدال والجدّ.

---

(١) وهو يعترف – على أى حال– أنه مع أن عدد حروف رواية نحميا تساوى سبعة أضعاف ما كان على حجر ميشع فكان لابد أن تكون الحروف أصغر وأكثر تلاصقاً ولابد أن يكون للوح أربعة وجوه لكى يكفى.

أما النقطة المطروحة على بساط البحث والأقرب إلى الأخذ بها، فهى المقارنة التى عملها «فون راد» بين هذه المذكرات وبين بعض نقوش المقابر والمعابد لكهنة قدماء المصريين والرؤساء الذين يمكن أن يكونوا من معاصرى زمن نحميا ومن نفس مكانته، والتى تتحدّث عن إنجازهم للمهام المنوطة بهم فى إيثار وبدون أنانية (يشابه ما قاله نحميا عن نفسه فى نح ٥:١٤- ١٩). كما أنهم كانوا يذكرون أحياناً الإجراءات التى اتخذوها لتقويم وإصلاح المساوئ الدينية (قارن نحميا ١٣). ومن حيث أن الغاية من هذه النُصب التذكارية المصرية هو الرغبة فى الحصول على رضا الله وأيضاً تقدير الناس لهم، فإن البعض منهم كان يتجه بالحديث مباشرة إلى القارئ، فى الوقت الذى يقدمون فيه صلاتهم من أجل أن يذكرهم إلههم ذكراً حسناً- ولم يفعل نحميا سوى الأمر الأخير. وبينما أن «فون راد»، إذا ما كنت أفهمه، لا يرى فى كتابة نحميا لوحة تذكارية لتخليد ذكره، ولكن بالأحرى دَرْجاً ليوضع فى الهيكل (قارن : كما يقترح المزمور ٤٠:٧)، فإنه يبدو مبالغاً فيما ذكره من استنتاجات عن التأثير المصرى فى هذا الصدد، وعلى سبيل المثال تعبير : «بما جعله الله فى قلبى.. ٢:١٢؛ قارن ٧:٥ : «فألهمنى إلهى» وحتى قول نحميا من أنه كان تحت الضغط ليلاً ونهاراً. ولكن «فون راد» مع ذلك يعى جيداً تمييز المادة الكتابية، وبصفة خاصة فى تأكيد نحميا على أهمية التوجه الشخصى، والورع والتقوى، وإيمانه العميق الذى لا يتزعزع أن الله لا يتخلى عن عبيده. إن حيوية التفصيلات، والصراحة والإخلاص والاستغراق الكامل فى الله وليس بالأحرى بالقارئ، تبرز مغايرة تماماً من تلك الصور التى تتضمنها النقوش المصرية الأكثر تعميماً والتى تمثل صوراً حسبة للذين نقشت هذه اللوحات التذكارية من أجلهم.

ومع ذلك، فإنه بدلاً من الكتابة وعينه على الأجيال القادمة كلها، ألا يمكن أن يكون قصد نحميا تأليف دفاعه ضد هؤلاء الذين يفترون عليه ويشوهون سمعته ويتهددونه فى منصبه؟ إن «كيلرمان» يلاحظ بعض الاختلافات فى وجهة النظر هذه فيما يختص بهذه الوثيقة (على اعتبار أنه دفاع عن نفسه يتقدّم به إلى الملك أرتحشستا، أو مثلاً للصلوات التى يرفعها أولئك الذين يتهمون زوراً وبهتاناً، على

نحو ما نجده فى سفر المزامير، إذ يرى فيها مجموعة مؤتلفة تضم دفاعاً موجهاً نحو الإنسان ومناشدة موجهة نحو الله لتبرئة ساحته، فى محيط تجد فيه شهود الزور واثقين من قدرتهم على تكذيب روايته عن الأحداث، وحيث الكهنة سيحجمون عن مساعدته على تقديم صلاته فى الهيكل. ومن ثم كان عليه أن يتوجّه مباشرة إلى الله بدون حاجة إلى وسيط ليذكره لكل العمل الذى عمله لهذا الشعب.

وبينما فى الإمكان أن نستخلص حجة مقبولة لبعض هذه الآراء، إلا أنه من المهم أن نتذكر أن البرهان على أى واحد من هذه الآراء ضعيف جداً مثل التشابه هنا أو هناك مع كتابات أخرى، أو البينة على صراع حزبى ومن ثم إذاعة شائعات تتطلب الرد عليها. ولسوف نُلقى نظرة على النقطة الأخيرة فى القسم التالى، ولكن ما يستحق أن نتأمل فيه أثناء ذلك هو أن أكثر الافتراضات وضوحاً ربما تكون أقواها وهو أن نحميا كتب هذه الأشياء بتلقائية كما فعل فى كل أمر آخر. ذلك أن مذكراته (مستخدمين هنا أنسب مصطلح لها) لها الصفة المميِّزة الخاصة بها وهو الأمر الذى يبدو أن كل دارسى الكتاب المقدس قد اتفقوا فى شأنه، وفى إمكاننا أن نضيف إلى هذه الحقيقة أن نحميا كان واحداً من أحسن المنظمين ومن أعظم الإداريين فى ورعه وتقواه والذين ذكرت سيرة حياتهم فى الأسفار المقدسة، وإذا كان الأمر على هذا النحو، فإنه يبدو أنه يكون من المناسب جداً أن يحتفظ لنا برواية عما فعل، وأنه يجب أن يعمل هذا العمل ويصيغه فى تقرير لسيده الإلهى. ويبدو أن بعض مادة هذا التقرير قد قام بكتابتها فى خضم الأحداث (انظر التعليق على نح ٤:٤ و٥)؛ والرجل الذى رفع إلى إله السماء صلاة سريعة فى اللحظة ما بين سؤاله إلى الملك وسماعه الإجابة عليه (نح ٢:٤)، هو الرجل الذى اعترف له بأنه من خلال صلاته التى يرفعها فى خشوع وضراعة إلى إلهه قائلاً: «اذكرنى» فإنه قد أكد واختتم روايته المكتوبة عن مهمته التى أنجزها على أكمل وجه.

٣- غاية المؤرخ:

من المحتمل أن أغلب القراء، وبالتأكيد الكاتب الحالى، قد يحسبون أن تسجيل

قصة إعادة بناء حياة إسرائيل ومؤسساتها فى القرن الأول بعد السبى، فى وسط عالم من الأمم الوثنيين وكان بعض هذه الأمم عدوا والبعض حامياً والبعض مضطهداً. ولإظهار عناية الله بإقامة القادة الذين قادوا الشعب للقيام بدوره كشعب فريد، متمركز حول هيكل الله ومدينته وشريعته، وهذا كله كان الغاية الرئيسية والإنجاز الحقيقى لكاتب هذا السفر، إلا أن بعض الدارسين يقرأون بين سطور الرواية أكثر مما تتضمنه الرواية نفسها، مستهدفين فى المقام الأول إعادة التقييم الجذرى أولاً لصور الأحداث التى جرت، ثم لخصائص وغرض هذين السفرين.

ولقد أصبح الشغل الشاغل والرئيسى فى العديد من الدراسات أن نكتشف هنا آثار المنازعات الطائفية فى الحقبة السابقة على العهد اليهودى المسيحى، سواء فى الأحداث التى تكوّن مادة سفرى عزرا - نحميا أو بالأكثر فى عرض الكاتب لهما. قد يكون فى هذا ما يلقى الضوء على هذين السفرين. ولكن من الممكن أيضاً أن يؤدى هذا إلى نوع من المبالغة أو التطرف فى الرأى. إن علينا أن ننظر إلى كل شئ فى إطار التعارض القائم ما بين التطلعات الأخروية لطائفة ما والتى يمكن أن نسمح لأنفسنا أن نسميها مسيانية Messianic (والتى تُغذيها كما يقول البعض، النبوات الوهّاجة لفقرات كتلك الواردة فى إشعياء ٦٠- ٦٢)، والنظرة الأكثر تحجراً وجحوداً للعناصر الكهنوتية، ونظرة الأغنياء الذين لا يرون سبباً للتطلع فى شوق إلى بزوغ فجر عصر جديد، أو البقاء بعيداً وبمعزل عن جيرانهم ذوى السلطان والنفوذ. وبالتأكيد فإنه ليس فى مقدور أحد أن يقرأ هذه الروايات بدون مواجهة شئ من مثل هذا التوتر ما بين المتمسكين بالدنيويات والعازفين عنها، إلاّ أن هناك قدراً كافياً من الإيضاحات الأصيلة فى الرواية بدون أن نرغمها على الإفصاح بأكثر مما تريد الإفصاح عنه. فعلى سبيل المثال (وهنا نأخذ المثل من سُلين Sellin الذى قدّمه فى سنة ١٨٩٨، والذى تناوله بعد ذلك آخرون وعلى فترات). إنها تتجاوز عن الدليل الذى يُصوّر زربابل فى صورة الشخص المتهور الذى حاول أن يعيد ملك بيت داود، بيد أن حركته قمعت، ولذلك اختفى من الرواية بعد عز ٥:٢. وبالمثل فإنه لأمر مُغرٍ أن تقيم من نبوةّ مثل نبوة إرميا ٣٣:١٤- ٢٦ قصة عن الآمال المسيانية والتى فشل زربابل

فى تحقيقها ولكنها الآن وقد نُفخ فيها توهجت مرة أخرى بمجئ نحميا [(١)]؛ إلا أننا هنا أيضاً نفتقر إلى الحقائق التي تؤيد ذلك.ومع ذلك فإن «كيلرمان» على ثقة بأنه فى الإمكان أن نستشف وجود حزب مسيانى فى أورشليم ليس فحسب فى أيام زربابل (الذى كان أفول نجمه بحسب تفكير هـ. جيسى H. Gese قد أخمد التوقعات التى تنتظر قدوم «الرئيس الآتى»، (بالعبرانية nasi) الذى جاء ذكره فى حزقيال ٤٤: ١- ٣، الخ) بل كقوة فعّالة فى أيام نحميا. وفى هذه القراءة للأحداث، وبينما لا يفكر أحد فى تشجيع نحميا الآمال التى علّقت عليه، إلاّ أنه كان هناك من يتخيل أنه داودى- حيث أن «كيلرمان» يرى فى إلماعته إلى «مدينة قبور آبائه» إشارة إلى أنه من نسل ملكى (نح ٢:٥؛ قارن حزقيال ٤٣: ٧ و٨)، وهى الفكرة التى تضمنت فى ما بعد فى اتهام سنبلط لنحميا فى أنه يتطلع إلى أن يكون ملكاً ويعتلى العرش (نح ٦:٦ و٧) وبمبادرة نحميا التى أعلن فيها الإبراء من الديون (مثل مبادرة صدقيا بتحرير العبيد فى إرميا ٣٤: ٧ و٨؛ قارن نحميا ٥:٦- ٨). هذه مجرد براهين قليلة، ولكن على هذا الأساس نرى «كيلرمان» يُعيد جذرياً كتابة قصة محاولة شمعيا إغراء نحميا بالقدوم إلى الهيكل (نح ٦: ١٠- ١٢). ولقد أصبحت هذه الآن مؤامرة لتتويج نحميا سراً، وعلى الرغم من فشل المؤامرة برفض نحميا، إلا أنها ساعدت على تشويه سمعته. وفى ضوء هذا فسرّت عودته إلى بابل بعد اثنتى عشرة سنة (نح ٥:١٤؛ ١٣: ٦)، بأنها استدعاء له ليُعطى جواباً عن اتهامه بعدم الولاء أو لفشله فى إدارة أحوال البلاد بسلام وطمأنينة. وأكثر من ذلك فإن ما سُمى

---

(١) النبوة المذكورة هى (وعد بألا ينقطع لداود إنسان يجلس على كرسى بيت إسرائيل ولا ينقطع للكهنة اللاويين إنسان أمام الرب) وعلى افتراض أن مثل هذا الوحى يمكن أن يكون قد نجم عن موقف استدعى ذلك القول فيمكن للإنسان أن يبنى عليه وضعاً خيالياً عن توقعات خابت والحاجة إلى تعزيز عن المسيا أو الكهنوت مرة أخرى وأخيراً يمكن للإنسان أن يبحث عن موقف تاريخى يصلح لينطبق على هذه الملامح.

والنبوة مؤرخة على هذا الأساس ويمكن أن تنسب إلى واحد أو لآخر من الأنبياء بخلاف ذلك النبى التقليدى (إرميا)- وفى هذه الحالة يجمع النقاد على أنها من نبوات عصر ما بعد السبى.. وبذلك يمكن أن ندرك أن كل حلقات هذه السلسلة هى مجرد افتراضات لا يمكن للإنسان أن يحكم على صحة أي منها.

بمذكراته فهمت على أنها الدفاع الذى كان قد أعدّه سلفاً، كما أن صلاته المقحمة على الرواية تُشير إلى أنه لم يكن فى مقدوره أن يعتمد فى كثير أو قليل على مساندة شعبية إذا ما قُدم للمحاكمة. أما بالنسبة للفترة الثانية من ولايته (نح ١٣) والتى يبدو أنها تتناقض مع هذه الرواية لما قد حدث، فإن «كيلر مان» يستبعدها باعتبارها اختلاقاً من المحرر. وهو يعتبر أن الأصحاح ١٣ يجب إعادة صياغته، وأن يكون موضـعـه قريباً من بداية السفر ليصف ما ينتظر نحميا عند قدومه الأول إلى أورشليم.

ويبدو أن إعادة قراءة المعطيات هذه لم تكن كافية فى نظر «كيلر مان»، ولذلك نراه يميِّز، على نحو ما سبق أن رأيناه بين تقييمين متضادين لنحميا من حيث تحرير السفر. أولهما نسب إلى المنقّح للسفر فى القرن الثانى قبل الميلادى والذى رآه كخليفة لزربابل والسابق للملوك الكهنة الحشمونيين- والمؤسس كالكاهن للمجتمع الدينى فى ما بعد السبى، والمؤسس كملك لدولة ما بعد السبى. أما التقييم الآخر فهو تقييم الكاتب، الذى نظم مواده ليُلقى بظل عزرا عليه بحيث يحجبه وليرجّحه عليه فى كل موقع وموضع، والإقلال من شأنه بحيث لا يظهر بأكثر من مقاول المبانى الذى يعمل فى خدمة الفرس.

لقد سبق أن عرضنا لبعض الانقسامات فى الرأى حول عزرا ومهمته .وكان ذلك لمحة بسيطة عن المجادلات المستفيضة، أما اهتمامنا فى هذا القسم الحالى فهو ليس إلى حد كبير متعلقاً بالشخصيات والأحداث فى ذاتها، كاهتمامنا بالأسلوب الذى عولجت به فى الرواية الكتابية. فماذا عن وجهات النظر والغايات المفترض تشكيلها لهذين السفرين؟. وإلى أى مدى نحن نتعامل مع أحداث ونتائج واقعية وفعلية، ومدى القيمة الحقيقية التى لها فى ضوء التفسير الحقيقى لها، وإلى أى مدى - إذا كان ذلك موجوداً- نتعامل مع صورة نقحت وأعيد تنقيحها لتتوافق مع اهتمامات فئات متصارعة.

إن بعضاً من الذين لهم تأثير كبير وليسوا جميعاً بالطبع، قد يجيبون على الفور

أن الكثير مما ينظر إليه هنا على أنه تاريخ ليس هو بالسجل التاريخى وإنما هو مجرد إسقاط للحاضر فى هيئة الماضى، لإضفاء الهيبة والاعتبار على مجريات الأحوال الحاضرة وربطها بالأسماء العظيمة، ومن هنا يجب علينا أن نميّز هنا ليس فحسب بين معالجة مؤرخ فرد واحد متحيّز ولكن (وعلى حسب ما رأينا) أن نقف على المصحح المخالف والذى ينتمى إلى عصر آخر وحزب آخر أيضاً.

إن المثل المفضل لكل من هاتين الظاهرتين المقترحتين- النظر إلى الحاضر فى ضوء أحداث الماضى والتواريخ المتصارعة يتمثل فى رواية قراءة عزرا للشريعة فى نحميا ٨، والتى سبق أن شغلت اهتمامنا فى سياق آخر. (انظر ما أسلفناه). ومن حيث أن بعض الإجراءات الهامة التى اتخذت فى ذلك اليوم العظيم نجدها أيضاً فى عبادة المجمع (مثل التبريك قبل القراءة، ووقوف الجماعة، وشرح وتفسير الشريعة)، فإنه يمكن القول بأن الكاتب إنما كان فحسب يسترجع قراءته لعاداته وتقاليده الخاصة من خلال منظور سابق لعهد قديم مجيد. ولقد دارت حوله الشكوك أيضاً، كما سبق أن ذكرنا، بأنه كان متشيعاً ومنحازاً لفريقه وسجل أموراً لصالحة وذلك من خلال مقاطعته ذروة مذكرات نحميا حين أوشك على الاقتراب منها وإقحامه بفظاظة ذلك الكم من المادة التى تتجاهله للأخذ بمناصرة عزرا على حسابه (نح ٨-١٠) تلك المادة التى كان يجب أن يختتم بها الأصحاح الثامن أو العاشر من عزرا.

وإذا قلنا إن نحميا لم يُتجاهل حقيقة هنا، ولكن كان له حضوره ودوره البارز (نحميا ٨: ٩؛ ١٠ : ١)، فلقد نجاوب إما أن هذه التعبيرات من أخطاء النسخ (مرتين) أو أنها من عمل المنقح المناصر للحشمونيين كما أسلفنا كتصحيح لتحيّز الكاتب. وهذه لا تُعد دليلاً على ما حدث (كما سبق أن تأكد لنا) وهى هنا لا تفضل على أى رواية منافسة.

حقاً إن الشك قد يصل إلى حد التطرف حتى أنه فى بعض الأحيان يجنح إلى أمور عسرة التصديق، يدركها الذين يشكون. لقد حذرنا أحد الكتّاب، بألا نقع مثلاً فى أسر حيوية عزرا ٣:٣ (هتاف الجمع المحتشد الذى جمع ما بين الفرح والنوح)،

وعلّمنا أن نقرأه باعتباره مجرد وسيلة لجأ إليها الكاتب ليؤكد محدودية الهيكل الثاني. ولا يجب أن يكون هذا هو الأمر الواقع والحقيقى. وهناك كاتب آخر لم يكن فى طاقته أن يتقبل حقيقة سقوط مطر غزير فى هذا اليوم والذى قاطع سير الإجراءات المتضمنة فى عز ١٣:١٠. إن هذا الوصف الرائع لهطول الأمطار الغزيرة لم يُقصد به سوى أن يذكّرنا بالكتابات الأبوكريفية، ويسهم فى استنتاج أن الأصحاحين اللذين تناولا الإجراءات التى اتخذها عزرا فى موضوع الزيجات المختلطة ليست لهما حجيتهما أو مصداقيتهما وإنما هما مجرد أسطورة؛ ويلقيان الضوء فحسب على الأقلية اليهودية التى عانت ضيقاً شديداً فى الحقبة المكابية.

هناك بون شاسع ما بين هذه الدرجة من عدم التصديق وبين النزعة المحافظة نسبياً لبعض المفسرين التى بنوا عليها بعض الشروحات والتفسيرات الحديثة، ومع ذلك ومن منطلق الاقتناع الراسخ بأن المؤرخ الإخبارى Chronicler (والمدعو هكذا) قد زخرف الماضى وأعاد صياغته بما يناسب عصره، نجد أن هذا الأمر ليس عليه خلاف كبير بين علماء النقد وما تبدى أنه تاريخ اعتبر بأنه ليس أكثر من لاهوت غير نظامى متحزّب أو فكر كهنوتى، يلوى أعناق الماضى ليكون فى خدمة الحاضر، أو بدقة أكثر فى خدمة الحزب الكهنوتى والمضاد لحزب الغيورين والذى لمجد المنقّح يظهر مرة أخرى مناصراً لهذا الحزب الأخير.

إلا أنه من الأهمية بمكان أن ندرك أن التقييم المتدنى للمحتوى الحقيقى لسفرى عزرا - نحميا ليس قائماً فى أساسه على أمور جوهرية غير محتملة للقصة المروّية فيهما، فثمة تفصيلات متباينة قد يتقبلها أحد الدارسين على أنها محتملة، فى حين أن غيره قد يراها بعيدة الاحتمال، ولكن من الممكن الوصول إلى المعنى الجيد والكامل من خلال السياق الكامل لتتابع الأحداث، ومن بينها ذلك الجزء الذى كان موضعاً للهجوم العنيف وهو الأصحاحات ٨- ١٠ من سفر نحميا من حيث الموضع الذى تشغله حالياً فى السفر. إن جذور هذه الشكوك يكمن فى مكان آخر أعمق من

هذا غوراً، وأعني به نقد الأسفار الخمسة بالأسلوب الذي جرى التعامل به معها. وأخيراً أرى أنه من واجبي الرجوع إلى هذا الموضوع مرة أخرى، حتى وإن كان فيه شئ من التكرار الممل.

فلو أننا أخذنا بوجهة نظر القائلين بأن المدونة التشريعية الكاملة والتي يطلق عليها الشرائع الكهنوتية في الأسفار الخمسة والفرق الضخمة من المغنين والطوائف التي تكوّن هيئة العاملين في خدمة الهيكل على أنها ليست من عمل موسى وداود وإنما تعود إلى عصر ما بعد السبي، فإنه يتحتم علينا معالجة أسفار الأخبار وعزرا ونحميا (سواء أكان كاتبها واحداً أو أكثر) باعتبارها تاريخاً عقائدياً متطرفاً. وليس هناك أي بديل، إذ أننا نجد في الأسفار هذه المؤسسات والتي يبدو أنها كانت معروفة تماماً منذ عدة قرون سابقة على السبي، وأنه قد أعيد إقامتها على القواعد القديمة والمعتقد بأنها كانت ما تزال قائمة في موضعها وبالقدر الذي كان في إمكانهم عمله- لقد خصّص سفر أخبار الأيام العديد من الأصحاحات عن إقامة داود لهذه الطوائف، وهي تعطينا، وعلى نحو ما فعل عزرا ونحميا فيضاً زاخراً من الأسماء ومقتطفات عن أعمالهم لتزويدنا ليس بمجرد صورة وصفية وتخطيطاً لمجتمع خيالي أو مثالي، وإنما ما يفهم منه أنهم شريحة من الحياة داخل ساحات الهيكل بتقاليده اللاوية، في فترات من التاريخ، كان خلالها لا يعترف نقاد الأسفار الخمسة بأنه كان ثمة وجود تاريخي لها. إن سفر عزرا يقدم لنا في افتتاحيته سجلاً يظهر فيه الكهنة واللاويون تميز بعضهم عن بعض، ذلك أن هاتين الطائفتين تظهران في عزرا على أنهما طائفتان مستقرتان منذ أمد بعيد، لكل منها اختصاصاتها ودرجاتها ومنزلتها، هذا في الوقت الذي كانت فيه أسر من بين اللاويين تكون طوائف المغنين والبوابين، وعلى النحو الذي يظهر في القصة، تجدهم يعملون ليس بحسب طقوس طرأ عليها التطوير والتعديل ولكن «بحسب ما هو مكتوب في ناموس موسى» و«بحسب توجيهات داود ملك إسرائيل» (عزرا ٣:٢ و ١٠).

وحين يواجهنا مثل هذا الدليل، فإنه إما أن نسلّم بتأكيده على قدم الأسفار الخمسة، وإما أن نقول مع غالبية علماء النقد الذين قدّمنا عينة منهم، أن أسفار الأخبار وعزرا ونحميا (بل والأسفار الخمسة ذاتها) هى كما قال البعض مستعيرين تعبير العهد الجديد (خرافات مصنعة) (٢بط ١ : ١٦).

وعلينا أن نقاوم مثل محاولة تفويت الموضوع ببساطة. فليس هناك ما يستحق التقدير فى الإشارة بأنبياء نحن لا نعترف بهم. ومع ذلك، فإذا كان (كل الكتاب موحى به ونافع) (وهو ما أؤمن به)، فإن ما جاء به من شرائع الله وطرقه، وعنايته واهتمامه بتحقيق مقاصده من خلاله يتحدث إلينا بقوة كما تحدث إلى الذين من قبلنا.

هـذا الكتـاب :

الهدف من اصدار هذه السلسلة « التفسير الحديث للكتاب المقدس » هو مساعدة قارىء الكتاب المقدس على فهم معنى النص الكتابى ودلالته .

ولكل سفر مقدمة خاصة مختصرة لكنها عبارة عن معالجة عميقة للتعرف على كاتب السفر وزمن كتابته . وهى معلومات تفيد القارىء حتى يعرف غرض السفر والجو العام له .

وهذا الكتاب تفسير قيم للدارسين والمدرسين الذين يبحثون عن معالجة علمية للموضوعات الأساسية التى تربط البحوث العلمية المتعمقة بالنص الكتابى .

وهذا المرجع يقدم تفسيراً لكل مقطع من مقاطع السفر على حدة مع تبويب هذه الأجزاء ووضع عناوين لكل جزء .

كما يقدم تفسيراً لكل آية ويواجه مشكلات التفسير ولا يتهرب منها . كما أنه يحتوى على مذكرات إضافية تقدم مناقشات أوفى لبعض المشكلات الهامة بهدف التعمق فى الدراسة للوصول إلى المعنى الحقيقى للنص الكتابى وتوضيح رسالته لنا .



١٠١.٩١٧٣